علي نصوح الطاهر

قصة

خلاف الملأ الأعلى على خلق الإنسان

مراجعة النص وتدقيقه
محمود عواد

مراجعة الكتاب من منظور إسلامي
د. عبد العزيز الخياط

الدار المتقدمة للنشر والتوزيع

علي نصوح الطاهر

قصة "خلاف الملأ الأعلى على خلق الإنسان" في القرآن الكريم

المراجعة من منظور إسلامي
د. عبد العزيز الخياط

مراجعة وتدقيق النص
محمود عواد

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢١٣٧ / ٩ /٢٠٠٥)

٢١١
الطاهر، علي نصوح
قصة " خلاف الملأ الأعلى على خلق الإنسان " / علي نصوح
الطاهر. _ عمان: الدار المتقدمة ، ٢٠٠٥
(٢٠٠) ص
ر.إ : (٢١٣٧/ ٩ / ٢٠٠٥).
الواصفات:/ الثقافة الإسلامية // الإنسان // الخلق /

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

* رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر : ١٩٧٢ / ٨ / ٢٠٠٥.
* رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : ٢١٣٧ / ٩ / ٢٠٠٥.

الدار المتقدمة للنشر والتوزيع
عمان – الأردن
تلفون: ٥٥١٦١٧٣ ٦ ٩٦٢ ٠٠
يطلب من المكتبة العربية -عمان – تلفون: ٤٦٢٥٧٦٥ ٦ ٩٦٢ ٠٠

صف المادة
حسام درويش

تصميم الغلاف
دارين أسعد

مقدمة المؤلف

علي نصوح الطاهر

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على سيد المرسلين
سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

"تفسير القرآن الكريم كما فهمته" تم في الثامن والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٩٦هـ الموافق ٢٣ أغسطس سنة ١٩٧٦م، وقد استغرق التفسير ثلاث عشرة سنة. أما دراساتي الإسلامية التي دفعتني لمحاولة التفسير فبدأت سنة ١٩٤٢ حين خطر لي أن اخرج كتاباً عن الزراعة في القرآن الكريم. وقررت أن أستخرج بنفسي من القرآن الآيات ذات الصلة بالموضوع – وهكذا أعدت قراءة القرآن باحثاً متمعناً، فإذا بأسلوب القرآن يجذبني إليه فيأسرني بحلاوة تعبيره ومتانة سبكه وجميل هديه وصدقه ... واستغرقت قراءة القرآن كاملاً واحداً وعشرين يوماً تجمعت لدي خلالها ثلاث وستون صفحة من الآيات الزراعية. وإذا بي بنفس الوقت أرى بين السطور كثيراً مما يخالف ما كنت أفهمه من أمور الدين ومن رسالة الإسلام التي تلقيتها أثناء دراستي أو كنت أسمعها من أبي. ووجدت في القرآن كتاباً فذاً في تحفيزه ودعوته للإقبال على العلم ومحاربة الرذيلة وبث الفضيلة وبناء المجتمع الإنساني، وجعل للعقل المقام الأول في حياتنا. وأيقنت أن الإسلام منذ أن أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته يدعو إلى العلم ويحارب الخرافة والعقائد الشعبية في وسطه الجاهلي القبلي، ويحارب الإفتئات والكذب على الله الذي عممه أحبار اليهود وغيرهم في الجزيرة العربية، ويشيد بما كان الإنسان مقدماً عليه من تقدم عظيم، مقرراً أن الحياة قائمة على نظام أزلي سننه لا تتبدل، وهو قائم على العلم الصحيح والحكمة البالغة والرحمة وعمل الخير، وهذه جميعاً هي الأسس التي تقوم عليها الحضارة الإنسانية.

واستولى عليّ القرآن وفتح أمامي آفاقاً واسعة للإطلاع، وأخذت مكتبتي تنمو بسرعة واحتوت على أحسن ما كتب عن الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ورسالته من قبل المسلمين والغربيين باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية. واهتممت كثيراً بما وجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام من نقد الناقدين من رجال الأديان الأخرى، ولفت نظري بصفة خاصة التركيز في النقد على موضوع القصص في القرآن الكريم، وبخاصة النظرية القائلة بأن اليهود كانوا أساتذة النبي في تعاليمه وقصصه وأنهم ضحكوا عليه وزودوه بالمتناقص من القصص من أخبار أنبيائهم، مما أوقع القصص القرآني في تعارض حسب زعمهم ... فأعدت قراءة القرآن مراراً وكنت في كل مرة أكتشف فيه أشياء جديدة تؤكد سمو رسالته وصدقها، ووجدت أن المستشرقين أشتطوا في النقد والاتهام وأن اتهاماتهم يجب أن توجه إليهم لا إلى الفكر الإسلامي، وأن القرآن الكريم بين الغرض من ذكر القصص الإسرائيلي في القرآن، وأن هذا القصص لم يكن موجهاً إلى المسلمين بل إلى اليهود أولاً، يسجل عليهم ما هم فيه من تعارض ويثبت عليهم نصوص رواياتهم حتى لا يتهم بالافتراء عليهم .. قال تعالى في سورة النمل الآية "٧٥"، بسم الله الرحمن الرحيم

"**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ❖ وَإِنَّهُ لَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ❖ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ❖ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**" صدق الله العظيم

ثم بين القرآن الهدف من ذكره للقصص المسيحي والجاهلي العربي، وجميعه متعارض، وذلك في قوله تعالى في سورة النحل "٦٤" "**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**" ودفع القرآن المسلمين إلى الاهتمام برسالة نبيهم أولاً وبناء مجتمعهم وعدم الاهتمام بأخبار الماضين الذين رحلوا وأنقضى أمرهم وذلك في سورة البقرة "١٤١" في قوله تعالى: "**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**".

هـذا ولم يحكـم القـرآن في خلافات أهـل الكتـاب القصصيـة بـل بـين أن الله سيقضي بحكمه يوم القيامـة فيمـا كـانوا فيـه يختلفـون. فـالقرآن ليس كتـاب قصـص وتاريخ، ولكنه رسالة تشريعية لبناء مجتمع إنساني جديد...

ولـذا أخـذت أحقق وأدقـق فيمـا رواه القـرآن مـن القصـص الكتـابي والجـاهلي لأقف على صحة ما ذهبت إليه، واستمر البحث المضني في التنقيب في التوراة بكتبها المختلفـة والتلمـود بكتبـه العديـدة والأناجيـل القانونيـة والمحرّمـة، مـع نقـص مصـادر المفسرين المسلمين، فأيد البحث أن جميع مصادر المفسرين المسلمين إسرائيلية تلمودية في أغلبها أما المصادر المسيحية فأبو كريفيه (أي المحرّمة التي لم يعترف بصحتها وتم إخفاؤها) في الغالب ... ولم يَفِ المفسرون المسلمون موضوع القصص في القرآن الكريم ما يجب من بحث مقارن، فأدخلوا العقائد الكتابية على صلب العقيدة الإسلامية من حيث لا يعلمون.

وقـد واقتنعـت إقتناعـاً جازمـاً بـأن الفكـر الإسـلامي إذا تخلـص مـن الفكـر الغريب الذي أدخل عليه ورده إلى مراجعه الأصلية، أسـدى إلى الرسالة الإسـلامية أجل خدمـة، إذ يكـون بـذلك قـد تخلـص للأبـد مـن فكـر متهافـت كـان السـبب في عـزوف المفكرين الأحرار في العالم عن الإسـلام ونقـدهم إيـاه، فـإذا تخلـص الفكـر الإسـلامي منـه تسـبب ذلـك في إقبـال المسـتنيرين مـن رجـال الغـرب علـى اعتنـاق الإسـلام والإيمـان بصدق نبيه وسمو رسالته.

وختاماً أقول ... لقد أقدمت على تفسير القرآن الكريم ولم يكن قصدي أن أنشره، وإنما قصدت قبل كل شيء أن أتثبّت من حسن ديني وصدقه وصحته وأثره في رقـي الإنسـان بترقيـة مفاهيمـه. وأسـأل الله أن يكـون قـد وفقـني فيمـا هـدى إلى إظهـار صحة ذلك وأن يغفر لي زلاتي.

التقديم

بقلم الأستاذ الدكتور عبد العزيز الخياط

بسم الله الرحمن الرحيم

رحم الله علي نصوح الطاهر، فقد كان على مستوى راقٍ من الخلق والدماثة والوفاء والفكر، عرفته قبل أن ألقاه، يوم كنت طالباً بالأزهر أواخر سنة ١٩٣٩م إلى منتصف ١٩٤٧م، عن طريق أخيه الذي كان يدير متجراً لوالده في حي الجّمالية بالقاهرة.

وقعت النكبة الأولى بقيام إسرائيل وفشلنا في جهادنا، واضطررتُ بعد ذلك إلى العمل مدرساً في الأردن، وبدأت صلتي بالأستاذ علي نصوح الطاهر الذي كان مديراً للزراعة في عمان، وكثيراً ما كنت أزوره في بيته في مزرعة الجبيهة النموذجية التي أنشأها، وأتدارس معه كثيراً من آرائه، وكان قد ألف أول كتاب عن الشجرة المباركة "الزيتونة" وهو أول وأوفى كتاب أُلّف فيها حتى الآن.

استمرت العلاقة بيني وبينه طيلة تقلبه في المناصب. وبعد تقاعده قرر السكنى في مصر، في الوقت الذي انتقلت وعائلتي إلى القاهرة للحصول على درجة الدكتوراه من الأزهر سنة ١٩٦٧م، وكنتُ وإياه نلتقي أحياناً كثيرة، فنزور شيوخ الأزهر وكبار العلماء في مصر. كان علي نصوح الطاهر يشرح لنا فكره الجديد حول أوائل سور القرآن وقصصه، فيجد معارضة أحياناً، وأحياناً يجد قبولاً. ثم رجعت إلى عمان وبقي هو في القاهرة يعقد جلساته يوم الاثنين مع محبيه وبعض العلماء، حتى توفي رحمه الله، وأهدى مكتبته لمجمع اللغة العربية في عمان وفاء للبلد الذي عاش فيه.

ومنذ مدة اتصل بي الأخ الباحث "محمود عواد" وأخبرني أنه قد أطلع على نداء لابن أخي المرحوم على نصوح الطاهر، السيد سامي الطاهر، يطلب فيه المساعدة على نشر بحث عمه حول الخلق في القرآن والكتب المقدسة. ورغب الأستاذ عواد أن

يشركني في مراجعة البحث من الناحية الإسلامية وكتابة تعريف به وبمؤلفه. فسعدت بذلك وفاء لعلي نصوح الطاهر وتعريفاً للناس بآرائه.

قرأت البحث وتذكرت المحور الذي يدور حوله مما كنا نسمعه منه وهو "رأيه في القصص القرآني". والبحث جزء من تفسير كبير له يبلغ عدة أجزاء فيه جلاء حقيقة وتوضيح رؤية، وتوكيد على أن القرآن من عند الله، وأنه معجزة الله الخالدة. وإثبات لصدق محمد ونبوته، وأمانته في نقل كلام الله، وبالتالي بيان أن القرآن إنما ينقل اختلاف الروايات في الكتب عن خلق آدم، ومما كان يتناقله الناس عن أصحاب الديانات من الآراء المضلّلة، وعن قصص الملائكة وإبليس والأنبياء والمعتقدات الباطلة، مما يتناقض مع العقل والمنطق وعظمة الخالق وقدرته، ومما ينزه الله سبحانه عما نسبته هذه الروايات من خرافات هي من وضع الشعوب الوثنية، وأن اليهود تبنوها وزادوا عليها من خيالهم من قصص نسبوها للخالق سبحانه ووصفوه بالعجز والظلم واضطراب التفكير وعدم القدرة على تدبير العالم وخضوعه للملائكة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وصدق الله (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً)[1]، كما اخترعوا الأكاذيب على الأنبياء مما يعرف بالإسرائيليات، والأشد قبحاً وفظاعة أنهم زعموا أن إبليس خلق السماوات والأرض، وكل ذلك لإظهار علمهم بالغيب وإثبات أنهم "شعب الله المختار".

وقد أكد المؤلف على أن ما رواه القرآن من الروايات المختلفة مما هو مسطور في الكتب الدينية ومما هو سائد في محيط النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إنما هو بيان لخلافاتهم وتناقض رواياتهم وعدم صحتها، وأن الله سبحانه سيبين ما اختلفوا فيه يوم القيامة. قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)[2] ،وقال: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[3] ،وقال: (انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

---

[1] سورة الكهف (٥١).

[2] سورة النمل (٧٦).

[3] سورة النحل (٦٤)

يَفْتَرُونَ)[1]، ويؤكد أن الله سيفصل بينهم، ويبيّن الصحيح من الباطل يوم القيامة، قال تعالى: (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)[2]، وقال: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)[3]، ويؤكد أن محمداً عليه الصلاة والسلام لم يكن له علم بما يختصم فيه الملأ الأعلى، قال تعالى: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ}٦٧{ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ}٦٨{مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ}٦٩{ إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ}٧٠{)[4].

ونحن مع المؤلف في رأيه. ولكن أحب أن أبين أن القرآن يؤكد حين يرجئ بيان الفصل فيما يختلفون فيه إلى يوم القيامة، أن القرآن (هدى ورحمة) وأن محمداً على شريعة من الأمر (وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}١٧{ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}١٨{)[5]، وقد أخالفه في بعض الآراء مثل خلق الإنسان من جرثومة. لكني معه في اختلاف الروايات في الكتب المقدسة واضطرابها وتناقضها وأن القرآن ذكرها مبيناً ما فيها من تناقض واضطراب، وأنه سيفصل بينهم يوم القيامة.

وإني أتوقع أن يثير هذا الكتاب ضجة ويعارضه أناس، ويؤيده كثيرون، لكن كاتبه كان صادقاً في إيمانه مخلصاً في بيانه، منصفاً لنبيه، ومحقاً في غايته توكيداً لعظمة القرآن وإعجازه، وإثباتاً لنبوة محمد وعدم تأثره أو إلتصاقه بخرافات عصره وتحريف اليهود في توراتهم وأكاذيبهم في تلمودهم، ودحضاً لآراء المستشرقين الذين زعموا أن محمداً كان ينقل القصص من كتب اليهود والنصارى نقلاً مبتوراً، وتنقية لما علق بأذهان الناس من الإسرائيليات. ولا سيما أن الكاتب كان على اطلاع واسع

---

[1] سورة الأنعام (٢٤).

[2] سورة النحل (١٢٤).

[3] سورة السجدة (٢٥).

[4] سورة ص (٦٧ -٧٠).

[5] سورة الجاثية (١٧ -١٨).

بكثير من الكتب الدينية ، وبالتلمود الذي لم ينشر بالعربية بل نشر بلغات أجنبية منها الفرنسية التي كان علي نصوح الطاهر يتقنها ، وبالمراجع الأجنبية المتعلقة بالموضوع.

فجزى الله السيد سامي الطاهر اهتمامه بنشر فكر عمه نصوح، والسيد محمود عواد على استجابته لإنجاز هذه المهمة وبارك لهما في قصدهما وعملهما.

والله ولي التوفيق

مقدمة الكتاب

بقلم محمود عواد

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل عامين ونيّف، طُلب إليّ الرأي في بحث المرحوم على نصوح الطاهر، الموسوم "قصة خلاف الملأ الأعلى على خلق الإنسان". أدركت وأنا أجول ببصري بين السطور متفحصاً ما فيه من فكر جديد ومنهج مبتكر، ضرورة أن يرى النور. استشرت رجلاً من أهل الذكر والفكر مشهود له بالجرأة في قول الحق. وحين انساب صوته الهامس في مسمعي عبر الهاتف مؤيداً الفكرة، فرحت، وشكرت سماحة العالم الجليل، وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأسبق، الأستاذ الدكتور عبد العزيز الخياط.

سعيت للقاء الأستاذ سامي الطاهر، الذي كان اسمه يذيل صفحة مرفقة مع البحث ينشد فيها المساعدة على نشره. فقابلت أولاً ابن عمه الأستاذ هاني الطاهر، الذي زودني بما لديه من نتاج عمهما المرحوم، وكان جُله مخطوطاً وأقلّه مطبوعاً، وقد توزع على العلوم الدينية والزراعية والتاريخ والفلسفة والشعر والسياسة، وبخاصة المخطوط الضخم "القرآن كما فهمته" والذي يقع في ثمانية عشر جزءاً، استغرق ثلاثة عشر عاماً كتابة، وما يقارب ثلاثة أمثال تلك المدّة بحثاً واطلاعاً وإعداداً. الأمر الذي يجعلك على يقين أنك بين يدي علامة بحّاثة من طراز فريد، ذي فكر ثاقب ورأي صائب وذهن وقاد وهمة عالية.

رحب سامي كثيراً بمبادرة نشر الكتاب، وقدم لنا حين التقيناه، الإذن الخطّي اللازم لطباعته ونشره على نفقتنا الخاصة. وإزاء ذلك أبدى سماحة الدكتور الخياط سماحة مضافة بالموافقة على ذلك أيضاً.

عملت على مطابقة النسخ الأربعة التي توافرت لدي من البحث وهي: اثنتان من سامي وثالثة من هاني ورابعة من صبحي الطاهر. ثم عرضت النص على المراجع المشار إليها في البحث، الموجودة في مكتبة الجامعة الأردنية، ومكتبة عبد الحميد شومان في عمان، وبخاصة المراجع التالية:

- الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد).
- إنجيل برنابا (من الأناجيل الأبوكريفية - أو المحرمة).
- روايات (أساطير) اليهود، (باللغة الإنجليزية):

(The Legends of the Jews, v.1+5, by Ginzburg)

- مجمع البيان للطبرسي.
- تفسير الخازن.
- بدائع الزهور لمحمد بن إياس.
- تلبيس إبليس لابن الجوزي.

وقد بذلتُ جهداً في ضبط أسماء المراجع الأجنبية حيثما ذكرت في ثنايا البحث، وكذلك المصطلحات والأسماء. وكان كتاب الدكتور فاضل عبد الواحد علي "سومر: أسطورة وملحمة" ذا عون في هذا المجال. أما الآيات القرآنية فقد تم ضبطها باستخدام الحاسوب، وقام بذلك السيد حسام درويش، الذي أعاد طباعة النص مرّات عدة قبل أن يصبح في هيئته الأخيرة بين دفتي كتاب. ولا داعي للقول إن ذلك قد تم بعد قيامي بإجراء التصحيح اللغوي والتدقيق الطباعي مراراً.

في نسختَيْ سامي، قُسِّم البحث إلى فصول، على غير النحو الذي كتبه المؤلف. وفي أحد تلك الفصول تغير موضع الفقرات كلية. كما أضيف فصل جديد إلحاقاً بالبحث، لم يكن فيه أصلاً. وحَمَلت الفصول عناوين فرعية داخلية لم تكن موجودة فيه أيضاً. أعدتُ ترتيب الفصول بالكيفية التي وضعها المؤلف، وكذلك الحال بالنسبة لفقرات الفصل المشار إليه. وفي حين أبقينا على العناوين الفرعية داخل كل فصل، حيث أن ذلك لا يتناقض أو يتنافى مع الأمانة العلمية في المحافظة على النص الأصلي، فقد حُذف الفصل الملحق بالبحث. ولم يكن كل ذلك دون جهد ومشقة.

في هوامش الكتاب وَضعتُ أمام ملاحظات المؤلف أرقاماً (١، ٢، ٣)، أما الملاحظات التي أضافها سامي وعواد، فقد وُضعت أمامها نجمة (❖) تمييزاً لها عن ملاحظات المؤلف.

وبعد ، فليس من المحبّذ أن يخمن أحد مدى القبول والاستحسان اللذَيْن سيحوزهما هذا الكتاب، أو حجم المعارضة والنقد اللذين سيلقاهما. بيد أنه ومهما يكن الرأي فيه، فإنه سيظل يحتفظ بفضل السبق في فرادة قراءته الجديدة للنص القرآني وفي تفسيره المبدع لآياته البينات، تلك التي أشكل فهمها حتى على كثير من المفسرين، ناهيك عن القارئين العاديين، فبدت متناقضة، لأنها كانت تسجل تناقض الروايات المختلفة التي وردت في قصص اليهود والنصارى، وعرب الجزيرة المتأثرين بها في ذلك الزمان. أما القرآن، فليس فقط لم يقرها، بل ورفضها رفضاً قاطعاً، وأرجأ البت في أمرها إلى يوم الوقت المعلوم، يوم يحكم الله بينهم فيما هم مختلفون. فالمؤلف على يقين تام بأن الآيات القرآنية منزهة تماماً عن لغو وكذب وافتراء أولئك اليهود الذين ادّعوا احتكار الوحي الإلهي زماناً طويلاً.

وكل الذي نطمح إليه أن يفتح هذا النهج المبدع كوّة في الفكر الإسلامي، تعين أولي الألباب على إعادة قراءة النص القرآني على نحو سليم، وتهديهم إلى التفسير الصحيح لما كان غامضاً من آي الذكر الحكيم.

والله ولي الصادقين المخلصين.

ترجمة حياة المؤلف

بقلم: سامي الطاهر

ولد علي نصوح الطاهر في مدينة يافا سنة ١٩٠٦ ميلادية، وكان والده من كبار التجار فيها. اضطر للهجرة إلى مصر عام ١٩١٢م على أثر أزمة مالية شديدة، مصطحباً زوجاته الثلاثة وأولاده السبعة. استقر بهم المقام في القاهرة حيث أتم نصوح دراسته الابتدائية والثانوية. وفي سن السادسة عشرة ألتحق بالجامعة الأميركية بالقاهرة ولكنه لم يستمر فيها طويلاً.

لظروف خاصة اضطر لمصاحبة والدته في العودة إلى مدينة نابلس بفلسطين، حيث عمل مدرساً. وفي سنة ١٩٢٥م عمت الاضطرابات الوطن الفلسطيني بسبب زيارة اللورد بلفور. دعا نصوح الأساتذة والطلبة للمشاركة في الإضراب، مما أدى إلى فصله من العمل.

اقتنع بضرورة مقاومة الزحف الاستعماري اليهودي على فلسطين، بنفس الوسيلة التي كانوا يتبعونها، وهي إقامة المستعمرات الزراعية. نشر الفكرة بين أصدقائه، وتقبلها سبعة منهم، فسافروا جميعاً إلى فرنسا لدراسة الزراعة فيها. حصل هو على دبلوم الزراعة العالي من جامعة نانسي ثم التحق بكلية العلوم بجامعة السوربون للحصول على الدكتوراه.

وفي عام ١٩٣١م عاد إلى مصر حيث حصل واخوته على الجنسية المصرية. ثم رجع إلى فلسطين حيث بدأ حياته العملية باستئجار قطعة أرض، وأخذ يزاول الفلاحة بيديه. ذاع صيته في المنطقة، ووصلت أخباره إلى مسامع الإدارة الزراعية الإنجليزية ففاوضته على العمل مسؤولاً عن المناطق الجبلية في فلسطين، ثم عيّن مديراً لأول مستنبت حكومي، حيث بهر بنجاحه كبار المسؤولين الإنجليز. فقد كان ينظر للأمر على أن اختياره لأداء تلك المهام، يشكل تحدياً قومياً بالنسبة له. أحب شجرة الزيتون وبدأ في تأليف كتابه الموسوعي عنها، وقد أتمه وطبعه بعد انتقاله للأردن حيث قبل عرضاً من حكومة الأردن للعمل مديراً عاماً للزراعة. أحبه سمو الأمير عبد الله بن الحسين أمير البلاد آنذاك (الملك فيما بعد)، وتكررت بينهما لقاءات، كانا يتجاذبان

خلالها أطراف الحديث ويتطارحان قرض الشعر ويلعبان الشطرنج، الذي أضاف إليه سنة ١٩٤٦ (بعد انتهاء الحرب العالمية) دبابتين حيث لاحظ انتصار الالمان في معركة الفلاندرز بفضل تفوقهم في الدبابات. ثم أضاف قاذفتي قنابل، حيث أن سلاح الطيران قد رجح كفة الحرب، وتبعاً لذلك أضاف أربعة مربعات جديدة فأصبحت الرقعة ذات ١٤٤ مربعاً (١٢×١٢) ثم أضاف القنبلة الذرية، ولذا سمّي الشطرنج الذري. وقد لاقى صدى طيباً ونجاحاً في انجلترا، حين زارها وألقى محاضرات عنه.

شكل انتقاله للعمل بالأردن عام ١٩٤٦م خسارة مادية شخصية له، إذ رفضت حكومة فلسطين الإنجليزية انتدابه للعمل بالأردن وأصرت على استقالته. ففقد بذلك مدة خدمة ١٤ سنة، أثرت على مسار حياته الماديّة في المستقبل بعد إحالته على التقاعد.

كانت ميزانية الزراعة في الأردن هزيلة جداً، وعدد موظفيها حوالي ثمانية أفراد، والنظام الإداري بدائياً. وبالجملة كان على هذا المدير الجديد أن يبدأ من الصفر. وبعد دراسة لأحوال الزراعة قرر بدء النشاط بإقامة مستنبت للكرمة في جرش، وعندما نجح في ذلك توالت إقامة المستنبتات في جميع أنحاء البلاد. كما حقق نجاحاً باهراً في الاكثار من زراعة أشجار الفاكهة والزيتون، وتحسين محصول القمح، وكافح طويلاً حتى استطاع نشر المدارس الزراعية في طول البلاد وعرضها. لقد حقق طفرةً زراعية كبيرة في الأردن ووضع أساساً فنياً لعمل مستقبلي تنهض به الأجيال الجديدة من الشباب. ومن بين أهم انجازاته إنشاء مستنبت الجبيهة الذي كان يضم مئات الأشجار المثمرة والحرجية على مساحة ألف دونم، والتي اتخذت مكاناً لانشاء الجامعة الأردنية عام ١٩٦٢م.

تولى نصوح منصب وزير الزراعة ثلاث مرات ومنصب نائب رئيس الوزراء للإعمار ثم عين سفيراً للمملكة الأردنية لدى إيران وأفغانستان. وأحيل على التقاعد بنهاية سنة ١٩٦٧م.

أقام في عمان فترة قصيرة، لكن تكاليف المعيشة كانت أكبر من راتبه التقاعدي، مما اضطره للعودة إلى القاهرة، وبيع سيارته حتى يخفض من نفقاته، عاش منكباً على مؤلفاته، وأصبح منزله ملتقى زوار القاهرة من أصدقائه في العالم العربي.

تميّز على نصوح بالانطلاق الفكري الحر المدعم بقدرة فائقة على استكشاف مكنون الكلمات وسبر أغوار الأحداث. فخرج علينا أول ما خرج بكشفه الرائع عن مدلول الأحرف المقطعة في القرآن الكريم في كتابه (أوائل السور)، ثم تفرغ في السنوات الأخيرة من حياته، لكتابة تفسير القرآن في كتابه الموسوعي (القرآن كما فهمته).

انشغل كثيراً بقضايا أمته العربية وحمل همومها، وكتب عن القومية العربية - الطريق للوحدة العربية، الاستيطان اليهودي - وغير ذلك من الخواطر والتعليقات السياسية. ومن أهم تلك الخواطر مخطوط حول (اليقظة العربية) في ٨٩ صفحة (لم يطلع عليه أحد بعد). كما قدم لنا كتابه (مجامع النسب في قبائل العرب).

كان يكتب الشعر ويقفيه ويناظر به محبيه، وترك لنا من بعده كتابه (ذكريات أدبية) وكتابه الفلسفي (الروح الخالدة) في الرد على ألفية ابن سينا.

أهدى نصوح مكتبته إلى مجمع اللغة العربية في عمان وكانت تحتوي على نفائس من الأسفار النادرة من المراجع التلمودية والتوراتية والإنجيلية، وتراجم للقرآن الكريم بالإنجليزية والفرنسية والإسبانية، فضلاً عن المراجع الإسلامية باللغة العربية والأجنبية. ومن أهم ما تم إهداؤه كتاب عن سيدنا محمد بالإنجليزية يحوي رسوماً لرينيه المستشرق الفرنسي المسلم، كذلك نسخة نادرة ضخمة مصورة من الكتاب المقدس وهي من أثمن النسخ القديمة. كما ضمت أوراقه الخاصة، وفيها كثير من المكاتبات الرسمية والخصوصية الهامة. أما المكتبة الزراعية فتحوي الكثير من الكتب الثمينة باللغة الفرنسية وأهمها انسيكلوبيديا العنب في سبعة مجلدات نادرة.

حصل نصوح على عدة أوسمة من الأردن وفرنسا وألمانيا وإيران. وقد أحب في حياته الرحلات وتسلق الجبال وركوب الخيل، وأجاد لعبة الشطرنج والتنس والبلياردو. ولم يذق طعم الخمر ولا دخن سيجارة في حياته.

توفي بهدوء إثر أزمة قلبية عام ١٩٨٢م وسجى جثمانه للصلاة عليه في ظلال شجرة الموالح التي أحبها، ودفن في مقبرة العائلة بمدينة نصر بالقاهرة، رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته.

الفصل الأول

قصة خلاف الملأ الأعلى على خلق الانسان في القرآن الكريم

- القرآن يسجل الخلاف الذي يدعيه أهل الكتاب
    - سورة ص
    - سورة الأعراف
    - سورة طه
    - سورة الإسراء
    - سورة الحجر
    - سورة الكهف
    - سورة البقرة

تسجيلات القرآن الكريم لقصة الخلق

سجل القرآن، في العهد المكي بإيجاز بليغ، ما ورد عن خلق السماوات والأرض والإنسان في محيط النبي عليه السلام من أهل الكتاب من اليهود والنصارى وخاصة نصارى نجران، والعرب، مما أشاعه اليهود قبل غيرهم بينهم مما كان متداولاً بين أيديهم في التوراة والتلمود، وما تفرع منهما، وفي الأناجيل المختلفة، وخاصة الأبوكريفية (المحرمة) وكانت تفاصيل ذلك تفيض بلبلة وتناقضاً بصورة لم تخف على النبي عليه السلام، ولا تخفى على كل من يتعمق بدراسة ما ورد، إذا استعمل العقل المتفحص الناقد... ولقد علق الفكر الإسلامي على كل ذلك تعليقاً لاذعاً كما سيرى المدقق فيما يلي:

ورد أول ذكر لقصة خلق آدم في سورة (ص) وهي السابعة والثلاثون في ترتيب النزول، ثم تتابع التسجيل في سورة الأعراف، وهي الثامنة والثلاثون في ترتيب النزول، ثم في سورة طه، وهي الرابعة والأربعون، ثم في سورة الإسراء وهي التاسعة والأربعون، ثم في سورة الحجر، وهي الثالثة والخمسون، ثم في سورة الكهف وهي الثامنة والستون، وجميعها مكية، ثم في سورة البقرة وهي أول السور المدنية... ولقد كانت تفاصيل قصة آدم وسجود الملائكة له، وعصيان إبليس، وإقامة آدم في الجنة هي المشهد المتكرر بتفاصيل مختلفة، مع تعليق القرآن عليها تعليقاً لاذعاً وهادماً للافتراء والكذب اللّذين كان اليهود يقومون بنشرهما بين البشر، فكانوا يكذبون على أنفسهم، ويكذبون على غيرهم، مدعين باطلاً بأنهم أهل العلم، وشعب الله، المختار لرسالته الذي خصه بوحيه دون شعوب العالم، وأوقفهم ربهم على تفاصيل الخلق، وخلاف الملائكة مع الله في خلافة آدم، وفي السجود له، وفي إقامته في الجنة...

ولقد أبدى القرآن رأيه في قصة خلاف أهل السماء (الملأ الأعلى) على خلق آدم في قوله تعالى في الآيات التي سجلت الخلاف في صورة (ص)، كأنه يهيئ القارئ ليدرك أنه يمهد لنفي القصة من أساسها، فكيف غاب هذا عن أذكياء المفسرين، فاستمع إلى قوله تعالى: **(قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ}٦٧{ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ}٦٨{ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ}٦٩{ إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ}٧٠{ إِذْ قَالَ**

رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ }٧١{ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}٧٢{ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}٧٣{ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ}٧٤{) (ص٦٧ -٧٤) إلى آخر الآيات، وسنعود إلى ذلك بالتفصيل بعد قليل...

وبذلك فإن القرآن قد نفى وقوع الخلاف واستبعده عن الملأ الأعلى، ثم ندد القرآن باليهود وسماهم المضلين في سورة الكهف، فاستمع إلى قوله تعالى ما أجمله: (مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً) (الكهف:٥١) وبذلك نفى القرآن كل ما أذاعه اليهود بين البشر من قصص خلق السماوات والأرض، واعتبر اليهود مضلين، وأن الله لا يتخذ المضلين عضداً... وقد أوضح القرآن بصراحة ما بعدها صراحة، أنه يسجل قصص تاريخ اليهود التي يختلفون فيها أي يتناقضون فيها فاستمع إلى قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}٧٦{ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}٧٧{)(النمل ٧٦ -٧٧).

وفي قوله تعالى: (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (النحل:٦٤).

والقرآن بذلك يسجل خلافاتهم المتناقضة في تاريخهم، والتي تدل على أنهم في شك مما ورد في كتبهم مريب دون أن يجلو الحقائق في تلك الخلافات، إذ ترك ذلك لله عز وجل ليطلعهم عليه يوم يقفون بين يديه، ولقد أوضح القرآن ذلك في أكثر من مناسبة في قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)(السجدة:٢٥) إذ لو كان القرآن يبين الحقيقة في الخلاف في هذه الدنيا، لما كان هناك محل لقوله: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)(السجدة:٢٥)... فضلاً عن أن الله لو بيّن حقائق خلافاتهم في هذه الدنيا، لأقحم النبي في جدل بيزنطي في خلافاتهم دون طائل، ولاتهموا محمداً حينئذ بالافتراء، ولما آمنوا بحكمه ولتحدوا النبي في بيان السند الذي يستند عليه في بيان حقيقة ضاعت في بطون التاريخ منذ قرون طويلة، ولذلك يبين القرآن رأي الفكر الإسلامي في

خلافاتهم في أكثر من مناسبة، فاستمع إلى قوله تعالى: (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)(يونس: من الآية١٩) وقوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ)(هود:١١٠) وقال تعالى عن أهل الكتاب : (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) (الشورى:١٤).

مما سبق تتبين مهمة القرآن بوضوح فهي محصورة في تدوين الخلافات بأسلوب القرآن لإظهار الاختلاف فيما يدعيه أهل الكتاب على لسان الله - وسيجد القارئ فيما يلي ما سجله القرآن في هذا الصدد، مع دراسة تحليلية لقصص الخلق بأسرها كما ادعاها أهل الكتاب ورواها القرآن، تظهر التناقض العجيب الذي اكتشفه القرآن في هذا القصص - فالتناقض الواقع ليس تناقض القرآن ولكنه تناقض القصص التي دونها القرآن مما ذكر أهل الكتاب على لسان الله عز وجل، دون وحيه أو علمه...

ما ورد في القرآن الكريم من روايات الخلق

.تسجيلات سورة ص (السابعة والثلاثون في النزول):

(قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ}٦٧{ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ}٦٨{ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ}٦٩{ إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ}٧٠{ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ}٧١{ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}٧٢{ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}٧٣{ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}٧٤{ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ}٧٥{قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}٧٦{قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ}٧٧{وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ}٧٨{قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}٧٩{قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ}٨٠{إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ}٨١{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ

لَـأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِـينَ}٨٢{إِلَّـا عِبَـادَكَ مِـنْهُمُ الْمُخْلَصِـينَ}٨٣{ قَـالَ فَـالْحَقُّ وَالْحَـقَّ أَقُولُ}٨٤{لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ}٨٥{)(ص٦٧ -٨٥).

خلاصة قصة إبليس في سورة (ص):

١ - الله يقول للملائكة إنه خالقٌ بشراً من طين دون أن يسميه آدم.

٢ - وأنه إذا انتهى من تسويته وإحيائه فليقعوا له ساجدين، هذا يدل على أن الأمر بالسجود لآدم كان قبل خلقه.

٣ - سجد الملائكة أجمعُون إلا إبليس فهو في هذه الحالة من الملائكة، ولكنه كفر إذ أبى أن يسجد واستكبر.

٤ - سأل الله إبليس لماذا لم يسجد لما خلقه الله بيديه؟ (انظر التشبيه) أكان ذلك استكباراً، أم كان إبليس من العالين عن أمره (راجع التلمود — جنزبرغ ص٥٩).

٥ - قال إبليس إنه خير منه، وإن الله خلقه من نار، وخلق البشر من طين (مع أن الشائع أن الملائكة خلقها الله من نور).

٦ - قرر الإله طرده من مملكة السماء، وحرمه من رحمته إلى يوم القيامة أي لعنه.

٧ - طلب إبليس من الله إمهاله حتى يوم البعث فوافق الرب على طلبه.

٨ - أقسم إبليس بعزة الرب بأنه سيغوي البشر أجمعين، واستثنى إبليس منهم عباد الله المخلصين.

٩ - أطلق الرب يد إبليس في البشر أجمعين، قبل استثناء إبليس للمخلصين، وقال فالحق والحق أقول تهديداً لإبليس، لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين.

تسجيلات سورة الأعراف (وهي الثامنة والثلاثون في النزول):

(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ}١١{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن

نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}١٢{قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ}١٣{قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}١٤{قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ}١٥{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ}١٦{ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}١٧{قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ}١٨{وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}١٩{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ}٢٠{ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ }٢١{فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ}٢٢{قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}٢٣{قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}٢٤{قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ}٢٥{)(الأعراف ١١ -٢٥).

خلاصة تسجيلات سورة الأعراف:

١ - الإله خلق الإنسان ثم صوره.

٢ - أمر الملائكة بالسجود فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين (دون ذكر السبب تكبراً أو إباء أو استكباراً) وهو في هذه الحالة من الملائكة .. ولا تبين الآية أن الملائكة بأسرهم سجدوا كما مر معنا في سورة (ص) وكان الأمر بالسجود بعد الخلق.

٣ - سأله الإله لماذا لم يسجد إذ أمره الله بالسجود.

٤ - أجاب إبليس أنه خير من آدم إذ خلقه الله من نار وخلق آدم من طين.

٥ - أمر الله بإهباطه من السماء حيث لا يجوز أن يتكبر فيها ، ويجب أن يخرج ذليلاً.

٦ - طلب إبليس إمهاله إلى يوم البعث.

٧ - وافق الرب على طلبه.

٨ - أقسم إبليس بما أغواه الله أن يقعد للجنس البشري على صراط مستقيم، ليبعدهم عنه ثم تحدى الإله بأنه سوف يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم وسوف لا يجد الله أكثرهم شاكرين.

٩ - إبليس لم يستثن أحداً من غوايته كما مر معنا في سورة (ص).

١٠ - الإله يطرد إبليس من الجنة، ويهدده بأن يملأ جهنم منه وممن يتبعه من البشر.

١١ - يُطلب من آدم أن يسكن هو وزوجه الجنة.

١٢ - ويحذر آدم من الاقتراب من شجرة معينة.

١٣ - يظهر الشيطان في الجنة (مع أن الإله طرده منها) ويغويهما بالأكل منها ليظهر لهما سوءاتهما.

١٤ - يدعي الشيطان لهما أن الله حرم عليهما الأكل من الشجرة حتى لا يصبحا خالدين أو ملكين من الملائكة ... وبذلك يكون قد قال لهما عن شجرة المعرفة إنها شجرة الخلد (راجع شجرة الخلد وشجرة المعرفة في الجنة في الكتاب المقدس).

١٥ - ذاقا من الشجرة فبدت لهما سوءاتهما.

١٦ - الإله يعاتب آدم وزوجته بقوله (أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ) مع أن القصة لم تتضمن ذلك.

١٧ - ليس في الآية (القصة) أن آدم وزوجته يندمان.

١٨ - ليس في الآية (القصة) ما يشعر أن الله غفر لهما بل طردهما من الجنة هما وإبليس أعداء لبعضهم البعض وبذلك يكون هناك طردان لإبليس.

١٩ - ليس في القصة الأخيرة أي وعيد بعذاب جهنم.

تسجيلات سورة طه وهي (الرابعة والأربعون في النزول):

(وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}١١٥{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى}١١٦{ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}١١٧{ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى}١١٨{ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى}١١٩{ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ

الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى}١٢٠{فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى}١٢١{ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}١٢٢{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}١٢٣{})(طه ١١٥ -١٢٣).

خلاصة تسجيلات سورة طه:

١ - أمر الرب الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس فإنه أبى، وهذا يدل على أنه كان ملاكاً.

٢ - لم يطرده الرب لمخالفته أمر السجود، بل حذر آدم وزوجته منه على اعتبار أنه عدو لهما.

٣ - هذا معناه أن إبليس بقي في الجنة بعد رفضه السجود لآدم، وهذا يخالف ما ورد في سورتي الأعراف و(ص).

٤ - الرب يحذر آدم من إبليس ويعد آدم بأن لا يجوع في الجنة ولا يعرى، ولا يظمأ ولا يضحى.

٥ - إبليس يوسوس لآدم ويغريه أن يدله على شجرة الخلد (وهي المشار إليها في الكتاب المقدس) وملك لا يبلى بعد أن يأكل هو وزوجته منها.

٦ - أكلا منها أي من الشجرة التي قال لهما إنها شجرة الخلد، فبدت لهما سوءاتهما، وهذا يدل على خلط بين شجرتي الخلد والمعرفة، أو أن إبليس خدع آدم فقال له عن شجرة المعرفة إنها شجرة الخلد.

٧ - لما بدت سوآتهما آخذا يخصفان عليهما من ورق الجنة (قيل إن ورق التين، استعمل لهذه الغاية).

٨ - ليس في الآيات أي نهي من الله لآدم عن الأكل من أية شجرة.

٩ - غوى آدم بعصيانه أمر ربه، وأمر ربه هنا أن يحذر من الشيطان، فلم يحذره ولم يكن الأمر بعد الأكل من شجرة.

١٠ - أمر الرب بطرد إبليس وآدم أعداء لبعضهما البعض من الجنة، وإهباطهم إلى الأرض.

١١ - ليس هناك وعيد من الله أو ذكر لجهنم، وإعدادها لأتباع إبليس.

تسجيلات سورة الإسراء (وهي التاسعة والأربعون في النزول):

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً} ٦١{ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً}٦٢{ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُوراً}٦٣{ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً}٦٤{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً}٦٥{)(الإسراء ٦١ -٦٥).

خلاصة تسجيلات سورة الإسراء:

١ - الرب أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس، وهذا يعني أنه كان من الملائكة.

٢ - قال إبليس أأسجد لمن خلقت طيناً أي من طين، ولم يشر إلى أنه خلق من نار مما يدل على الخلاف على خلقه.

٣ - إبليس يهدد ولكن بغير شدة، ويقول للإله إذا أخرتني إلى يوم القيامة لأغوينَّ ذرية آدم، واستثنى قليلاً منهم.

٤ - طرد الرب إبليس، ثم أطلق الرب يد إبليس في بني آدم جميعاً، وبين أن عباده ليس له عليهم سلطان.

٥ - تحدى الإله إبليس أن يتخذ ما يراه مناسباً لإغواء البشر وبين له ميدان عمله (راجع خلاصة تسجيلات سورة الأعراف رقم ٨).

٦ - بين الرب أن من تبع إبليس من البشر فإن جزاءهم موفور – كما أن جزاء إبليس موفور – دون أن يشير إلى جهنم أو غيرها.

٧ - بين الله أن عباده مستثنون من سلطانه.

تسجيلات سورة الحجر (وهي الثالثة والخمسون في النزول):

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ}٢٦{وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ}٢٧{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ}٢٨{ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ}٢٩{فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ

أَجْمَعُونَ}٣٠{إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ}٣١{ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ}٣٢{ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ}٣٣{ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ}٣٤{ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ}٣٥{ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}٣٦{ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ}٣٧{ إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ}٣٨{ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}٣٩{ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}٤٠{ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ}٤١{ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}٤٢{ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ}٤٣{ (الحجر ٢٦ -٤٣).

خلاصة تسجيلات سورة الحجر:

١ - الإنسان خلق من صلصال من حمأ مسنون وليس من طين.

٢ - الجان خلق من نار السموم.

٣ - الإله يقول للملائكة إنه خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون ولم يسمه آدم.

٤ - إذا سواه ونفخ فيه من روحه فليقعوا له ساجدين، وهذا يدل على أن الأمر بالسجود كان قبل خلق آدم.

٥ - سجد الملائكة أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين (فهو من الملائكة).

٦ - سأل الإله إبليس لماذا لم يكن مع الساجدين؟

٧ - أجاب بأنه لم يكن ليسجد لبشر خلق من صلصال من حمأ مسنون.

٨ - لم يقل إبليس إنه خلق من نار.

٩ - غضب الإله عليه وأمر بطرده من الجنة (طرده).

١٠ - ولعن الإله إبليس إلى يوم القيامة.

١١ - طلب إبليس من الرب إمهاله إلى يوم القيامة.

١٢ - وافق الرب على طلبه.

١٣ - قال إبليس متحدياً يا رب بما أغويتني لأجملن لهم الأرض ولأغوينهم أجمعين .. واستثنى إبليس عباد الله المخلصين.

١٤ - قال الله ليس لإبليس سلطان على عباده المخلصين، وأطلق يده في غيرهم من البشر.

١٥ - جعل جهنم موعدهم أجمعين، وليس لإبليس ذكر بالنسبة لجهنم فالوعيد لا يشمله هنا.

تسجيلات سورة الكهف:

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً} ٥٠ {مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا} ٥١ {)(الكهف ٥٠ -٥١).

خلاصة سورة الكهف:

١ - قال الله للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس، وبينت الآية أن إبليس كان من الجن وهذه رواية جديدة.

٢ - فسق إبليس عن أمر ربه، وهذا يعني أن الله أمر الملائكة والجن ليسجدوا لآدم، وليس هناك ذكر للجن بتاتاً في السور الأخرى، وتدل الآية على أن الله كان يستعمل الجن مع الملائكة.

٣ - بينت الآية أن لإبليس ذرية من الجن.

٤ - الظاهر أن قوله "أفتتخذونه" إلى قوله "بدلاً" موجه للملائكة وأنه يشير إلى انضمام فريق من الملائكة إلى إبليس في عصيانه الرب (راجع تمرد الملائكة في التلمود).

٥ - ينفي القرآن بتاتاً قصص الخلق التي يذيعها اليهود ويقول مقرراً بشدة (مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ) أي خلق آدم والجنس البشري.

٦ - يسمي القرآن اليهود بالمضلين ويقول الله إنه لا يتخذ المضلين عضداً.

تسجيلات سورة البقرة (وهي أول السور المدنية نزولاً):

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}٣٠{ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}٣١{قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}٣٢{قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ}٣٣{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}٣٤{وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ}٣٥{فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}٣٦{فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}٣٧{قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}٣٨{)(البقرة ٣٠ -٣٨).

خلاصة تسجيلات سورة البقرة:

١ - القصة تظهر الله يتشاور مع الملائكة في خلق آدم، وجعله خليفة لله في الأرض.

٢ - يدلي الملائكة برأيهم وتظهرهم القصة أنهم كانوا على علم عظيم بطبيعة البشر، وحبهم للفساد، وسفك الدماء، مع أن آدم لم يكن قد أنجب ولا تزوج.

٣ - قال الله لهم: إنه يعلم ما لا يعلمون.

٤ - أراد الله أن يظهر جهل الملائكة فعلم آدم الأسماء كلها، ثم جمعه مع الملائكة فامتحنهم الله بمعرفة أسماء الأشياء كلها، وطلب إليهم تسميتها إن كانوا صادقين في ادعائهم المعرفة.

٥ - اعترفوا بجهلهم وأنهم لا يعلمون إلا ما علمهم إياه الله.

٦ - عندئذ طلب الرب من آدم أن ينبئهم بأسمائها (الأشياء).

٧ - أنبأ آدم الملائكة بالأسماء.

٨ - يتطلع الرب إلى الملائكة بعد أن جهلهم وقوله تعالى (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ).

٩ - الرب يطلب من الملائكة أن يسجدوا لآدم.

١٠ - سجد الملائكة إلا إبليس فإنه أبى واستكبر وبذلك كان من الكافرين.. إبليس هنا من الملائكة.

١١ - لم يغضب الله على إبليس لعدم السجود ولم يطرده من الجنة.

١٢ - قال الله لآدم يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما.

١٣ - نهاهما عن الاقتراب من "هذه الشجرة" والغالب أن القصة تشير إلى أن الله أراهما الشجرة التي نهاهما من الاقتراب منها، وإن اقتربا منها فسيكونان من الظالمين لأنفسهما. (تأمل: إنه يقول لا تقربا، ولا يقول لا تأكلا أو تتذوقا، كما ورد في سور أخرى).

١٤ - أوقعهما الشيطان في زلل عن الشجرة فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم.

١٥ - غضب الله عليهم جميعاً، وأمر بإهباطهم إلى الأرض على أن يكونوا أعداء بعضهم لبعض، ولهم فيها مستقر ومتاع إلى حين.

١٦ - ندم آدم وطلب صفح ربه وتاب فعفا عنه. وإذا كان الرب قد غفر لآدم فمن أين جاءت قصة خطيئته، التي كانت أساس نظرية الفداء عند المسيحيين والتي كان الفادي فيها ابن الرب؟؟.

١٧ - برغم عفو الرب عنه فإنه أهبطه إلى الأرض ووعد من يتبع هدى الرب أن لا خوف عليه ولا هو يحزن.

الفصل الثاني

خلق الإنسان في كتب اليهود والنصارى

١ - خلق الإنسان في التوراة:

الإصحاح الأول لسفر التكوين

الإصحاح الثاني لسفر التكوين

الصحاح الثالث لسفر التكوين (سقوط آدم)

٢ - خلق الإنسان في التلمود:

(عن كتاب عقائد اليهود تأليف جينز برج)

أ. آدم في التلمود

ب. فقرات عدة

ج. استرسال

٣ - خلق الإنسان في الأناجيل المحرّمة (الأبوكريفية):

أ. خلق الإنسان في إنجيل حنا الإنجيلي

ب. خلق الإنسان في إنجيل برثلوميو

ج. خلق الإنسان في إنجيل برنابا

الفصل الخامس والثلاثون

الفصل التاسع والثلاثون

الفصل الأربعون

الفصل الحادي والأربعون

١- خلق الإنسان في التوراة

أ- نقلاً عن الإصحاح الأول من سفر التكوين من ١١-٣١ (مقتطفات):

وقال الله "لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه، بزره فيه على الأرض." وكان كذلك، فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً كجنسه، وشجراً يعمل ثمراً بزره فيه كجنسه ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوماً ثالثاً.

وقال الله "لتفض المياه زحافات ذات نفس حية، وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء" فخلق الله التنانين العظام، وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها، وكل طائر ذي جناح كجنسه.... ورأي الله ذلك أنه حسن. وباركها الله قائلاً "أثمري واكثري وأملئي المياه في البحار. وليكثر الطير على الأرض". وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوماً خامساً....

وقال الله "لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها بهائم، ودبابات، ووحوش أرض كأجناسها". وكان كذلك. فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها، والبهائم كأجناسها، وجميع دبابات الأرض كأجناسها. ورأى الله ذلك أنه حسن... وقال الله "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم، وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض". فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم "أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها، وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض". وقال الله "إني قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزراً على وجه كل الأرض، وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزراً لكم يكون طعاماً.... ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية، أعطيت كل عشب أخضر طعاماً". وكان كذلك. ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً، وكان مساء وكان صباح يوماً سادساً...

تعليق:

١ - يفهم مما تقدم أن الإنسان خلق حسب المعلومات الواردة في هذا الاصحاح ذكراً وأنثى في اليوم السادس من الخلق، وكان خلقه آخر الكائنات الحية.

٢ - أن الله خلق الذكر والأنثى على صورته هو، وبذلك فإن الإنسان يشبه الله في خلقه، وليس هذا الشبه قاصراً على الذكر دون الأنثى، فالذكر على صورة الله، والأنثى كذلك، أي أن الله على صورة الإنسان الذكر والأنثى أي أن له يدين ورجلين ورأساً ومعدة وذكراً وفرجاً معاً ... إلخ. إن هذا النص أدى إلى أن ذكر التلمود أن آدم كان بوجهين.

٣ - يفهم أيضاً أن البذور والأشجار خلقت في اليوم الثالث أي قبل الإنسان.

٤ - يفهم أن جميع المخلوقات قد خلقت بأمر الله كن فيكون .. وهذا يخالف التلمود.

٥ - يفهم أن خلق آدم وحواء كان على الأرض ولم يكن في السماء.

ب- مقتطفات من الاصحاح الثاني من سفر التكوين:

ورد في الإصحاح الثاني من سفر التكوين أي نفس السفر السابق، وبعد الإصحاح الأول مباشرة ما يختلف مع المعلومات السابقة، ويعطي تفاصيل جديدة اعتباراً من الآية الأولى حتى الآية ٢٥ ونصه:

"فأكملت السماوات والأرض وكل جندها. وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً".

هذه مبادئ السماوات والأرض حين خلقت. يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات. كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض، وكل عشب البرية لم ينبت بعد، لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض، ولا كان إنسان ليعمل الأرض. ثم كان ضباب يطلع من الأرض، ويسقي كل وجه الأرض. وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حيةً. وغرس الرب الإله جنة في عدن

شرقاً، ووضع هناك آدم الذي جبله. وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل. وشجرة الحياة في وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشر.

وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس: اسم الواحد(فيشون)، وهو المحيط بجميع أرض الحويلة، حيث الذهب. وذهب تلك الأرض جيد. هناك المقل وحجر الجزع. واسم النهر الثاني (جيجون)، وهو المحيط بجميع أرض كوش. واسم النهر الثالث (حِدَّاقل)، وهو الجاري شرقي أشور. والنهر الرابع (الفرات).

وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها، وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: "من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت".

وقال الرب الإله: "ليس جيداً أن يكون آدم وحده، فاصنع له معيناً نظيره".

وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم، ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها.... فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية. وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره. فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم: "هذه الآن عظم من عظامي، ولحم من لحمي. هذه تدعى امرأة لأنها من امرءٍ أخذت". لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً.... وكان كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان.

تعليق

١ - في هذا الاصحاح كان خلق الإنسان قبل الحيوانات البرية وطيور السماء، وقبل الأشجار، وقبل البذور، وهذا يناقض ما ورد عن ذلك في الاصحاح الأول مناقضة صريحة، إذ كان خلق الإنسان بعدها جميعاً.

٢ - كان خلق آدم أولاً، ثم كان خلق الأنثى من أحد أضلاعه، وهذا يناقض ما ورد في الاصحاح الأول، حيث ذكر أن الذكر والأنثى خلقا في اليوم السادس على صورة الله.

٣ - جبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، وكذلك جبل جميع الحيوانات والطيور في الأرض، وهذا يجعل الإله عمل بنفسه في جبل آدم وبقية الحيوانات، ولم يكن الخلق بأمره كن فيكون، بل كان بعمله بنفسه، وهذا يناقض ما ورد في الاصحاح الأول .. وهذا أيضاً يجعل الخلق (إعطاء الحياة كان مسبوقاً بالتصوير) أي صور أولاً ثم خلق ..

٤ - يبدو من وصف الجنة أنها على الأرض، وليست في السماء، فأنهارها الموصوفة هي أنهار الأرض المعروفة لأهل الكتاب في أيامهم .. وإذا كانت الجنة في الأرض فأين تذهب قصة طرد آدم من الجنة، وإهباطه إلى الأرض، وقصص خلاف الملأ الأعلى، وإهباطه إلى الأرض وغيرها.. وإذا كان آدم وحواء قد خلقا على الأرض، وكانت الجنة في السماء فهذا معناه أن الله خلقهما على الأرض، ثم رفعهما إلى الجنة، ثم أهبطهما إلى الأرض ثانية بعد أن عصيا الرب.

٥ - يفهم أيضاً بأن آدم وضع وحده في بداية الأمر في الجنة دون حواء ... وكان النهي عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر لآدم وحده.

٦ - يمكن أن يفهم أيضاً بأن جبل آدم من تراب كان في السماء، وبذلك فإن التراب يكون قد أحضر من الأرض، وهذا يناقض ما ورد في الاصحاح الأول من السفر.

٧ - كان في الجنة شجرتان إحداهما شجرة الحياة (الخلد) والثانية شجرة معرفة الخير والشر، ولم يكن آدم ممنوعاً من الأكل من شجرة الحياة، ولكن الإله نهاه عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر لئلا يموت.

٨ - إنَّ نهي آدم من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر من قبل الله، وتحذيره إياه من الموت في حالة أكله منها، معناه أن آدم كان يفرق بين الخير والشر، وأن الله علمه ذلك.. لأنه لو كان لا يفرق بين الخير والشر،

فكيف يمكنه تنفيذ أمر الله. وبذلك يكون تحذيره له بأنه لو أكل منها موتاً يموت لا معنى له، لأنه لا يفرق بين الحياة والموت.

٩ - إن تسمية آدم للأشياء بأسمائها يدل على معرفة واسعة وليس على جهل مطبق كما تحاول القصة إظهاره به.

مخالفة آدم:

ج- مقتطفات من الإصحاح الثالث من سفر التكوين (من الآية ١-٢٤).

وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت للمرأة: "أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة". فقالت المرأة للحية: "من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلا تموتا". فقالت الحية للمرأة: "لن تموتا! بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما، وتكونان كالله عارفين الخير والشر". فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل، فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر.

وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال له: "أين أنت؟" فقال "سمعت صوتك في الجنة فخشيت، لأني عريان فاختبأت". فقال: "من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟" فقال آدم "المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت" فقال الرب الإله للمرأة: "ما هذا الذي فعلت" فقالت المرأة: "الحية غرتني فأكلت". فقال الرب الإله للحية: "لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه". وقال للمرأة: "تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك". وقال لآدم: "لأنك سمعت لقول امرأتك أوصيتك، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تنبت لك،

وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب، وإلى تراب تعود". ودعا آدم اسم امرأته "حواء" لأنها أم كل حي، وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما.

وقال الرب الإله "هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر..... والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً. ويأكل ويحيا إلى الأبد". فأخرجه الرب الإله من جنة عدن، ليعمل الأرض التي أخذ منها، فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم[1]* ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة.

التعليق:

١ - الحية تتكلم وتغري حواء على الأكل من شجرة معرفة الخير والشر، وتلعب دور الشيطان في الجنة، ويعتبر هذا مصدر القصة التي تقول: إن إبليس دخل في بطن الحية إلى الجنة.

٢ - كانت حواء تعرف أن الرب الإله حرم على آدم وعليها الأكل من ثمر الشجرة التي في وسط الجنة .. لئلا يموتا.

٣ - لم يقل الشيطان لآدم وحواء إنهما سيخلدان إذا أكلا من شجرة معرفة الخير والشر، وإنما قال لهما: إنهما سيصبحان عارفين الخير والشر، وبذلك يشبهان الله في ذلك ...

٤ - الرب يمشي في الجنة ولمشيه صوت ... وهو يمشي بعد ساعات القيظ حين يهب الريح ..

٥ - لم يكن هناك طرد للشيطان بعد أن أكل آدم وحواء من الثمرة الممنوعة، وإنما كان هناك عقاب الحية في تكوينها الجسماني .. وكان هناك عقاب للمرأة في إتعابها بالحبل وعقاب لآدم بلعنة الأرض بسببه، ولذلك بالتعب يأكل منها.

---

[1] الكروبيم: ملائكة الجنة؛

* أو الكهنة. راجع التوراة جاءت من جزيرة العرب، كمال الصليبي، ص٢٧٧، ط٢، ١٩٨٦، مؤسسة الأبحاث العربية.

٦ - يفهم من السرد أن شجرة الحياة لم تكن محرمة على آدم، وأنه لم يأكل منها، وإن الإله نسى أن يحرمها على آدم بدليل خوفه في آخر القصة، من أن يمد آدم يده إليها، كما مد يده إلى شجرة معرفة الخير والشر، ويصبح خالداً مثله كما أصبح واحداً من الملأ الأعلى شبيهاً بالله، بعد أن أصبح عارفاً الخير والشر، ولذلك تخلص الإله منه ووضع ملائكته الكروبيم لحراسة طريق شجرة الحياة ... وأخرج الرب الإله آدم من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها.

٧ - لا يفهم إن كان الطرد إهباطاً إلى الأرض، لأن جنة عدن ليس معروفاً أين هي أكانت على الأرض أم في السماء؟ ويفهم من هذه النصوص أنها كانت على الأرض، فيكون آدم قد طرد من بقعة في الأرض حولها الله إلى جنة ليعيش فيها، فلما عصى طره منها إلى أرض خام جديدة، تحتاج إلى عناء لتحويلها إلى جنة، فهي بذلك على الأرض أيضاً، فإذا كان ذلك كذلك فأين هي هذه الجنة وماذا أصابها بعد ذلك، مع أن كل تفاصيل الكتاب توحي بأنها من "مقار" الملأ الأعلى؟!

٢- خلق الإنسان في التلمود

ملخصاً من الصفحة ٥٠-٩٣ من كتاب (معتقدات اليهود) لجينزبرج
Legends of the Jews, by Ginzburg; V.1, PP50-93

(وهي جميعها مقتبسة مما ورد في التلمود وكتبه المختلفة....)

لقد كان الإنسان الكائن الحي الوحيد الذي خلقه الله بيديه .... أما عن بقية المخلوقات فخلقت بالكلمة (أي كن فيكون)....(٥٠)

وقد استشار الإله في خلق الإنسان السماوات والأرض، ثم استشار الملائكة، فلم يكونوا من رأي واحد..... إذ أيد ملاك الحب خلقه بينما عارضه ملاك الحق، وأيده ملاك العدل، وعارضه ملاك السلام.... فأهبط الإله ملاك الحق من السماء إلى الأرض، فاعترض الملائكة على هذا الإجراء مع ملاك الحق من قبل الإله.... فقال الإله سيتفجر الحق مرة ثانية من الأرض (٥٢+٥٣).

ولو علم الملائكة كل الحقائق عن خلق الإنسان لكانت معارضتهم لله أشد، ولكن الله أخبرهم فقط عن المتقين، وأخفى عنهم كل ما يتعلق بحياة الشريرين..... وعلى الرغم من وقوفهم على نصف الحقيقة، فإنهم اعترضوا على خلق الإنسان وقالوا لله متهكمين ما هذا الإنسان الذي تفكر فيه كثيراً.

واستدعى الإله فرقة الملائكة التي كان يقودها الملاك ميكائيل، وسألهم عن رأيهم في خلق الإنسان، فاعترضوا عليه بتهكم فمد الإله خنصره باتجاههم، فالتهمتهم النيران جميعاً ما عدا ميكائيل فإنه نجا... ثم استدعى الإله فريقاً آخر كانوا بقيادة الملاك جبرائيل، فعارضوا في خلق الإنسان، فأحرقهم الإله أيضاً ما عدا جبرائيل فإنه نجا.....(٥٣)

ثم استدعى الإله فريقاً ثالثاً كان يقودهم الملاك لابيل، وكانوا قد تلقنوا درساً من إحراق زملائهم فقالوا: "يا إله العالم .... إنه لحسن تفكيرك بخلق الإنسان فاخلقه حسب إرادتك، وسنكون له مرافقين ووزراء ونطلعه على جميع أسرارنا، ولذلك غير الإله اسم لابيل إلى رافائيل، أي المخلص لأنه خلص ملائكته بفكره الصائب.....(٥٤).

التعليق:

1 - خلق الإنسان بيدي الله (راجع سورة ص).
2 - استشار الإله الملائكة في خلق الإنسان (راجع سورة ص تلميحاً والبقرة تفصيلاً).
3 - تعطى اللوحة صورة لله بأنه مكار إذ لم يطلع الملائكة على جميع ما يتعلق بخلق الإنسان، ولو أطلعهم لكانت معارضتهم أشد.
4 - تعطى صورة قبيحة عن مملكة السماء، إذ تظهر الملائكة يستهزئون بالرب (خيال يهودي).
5 - الإله يحرق الملائكة ولا ينجو منهم إلا مكائيل وجرائيل.

وبعد أن وافق الملائكة على فكرة خلق الإنسان، أمر الله جبرائيل أن يذهب ويحضر له تراباً من جهات الأرض الأربع ليخلق منها الإنسان..... (٥٤).

إلا أن الأرض رفضت السماح لجبرائيل بأن يأخذ منها التراب المطلوب، بحجة أنها ستلعن بسبب الإنسان وأصرت على أن يأخذ الإله منها ما يشاء إذا صمم على خلق الإنسان فلما سمع الإله ذلك مد يده وأخذ غبار الأرض (تراباً) من جهاتها الأربع وخلق الإنسان الأول ... (٥٤+٥٥)

وكان التراب من ألوان مختلفة، تشمل الأحمر والأسود والأبيض والأخضر الأحمر (الأصفر) فكان الأحمر للدم، والأسود للغائط، والأبيض للعظام والشرايين، والأخضر الأحمر (الأصفر) للجلد الباهت ...(٥٥)

ولقد كان خلق الإنسان في اليوم الأول من الخلق ... (٥٦)

وخلقه الله بيديه نامياً نمواً كاملاً كبقية الحيوانات، فلم يكن كطفل، بل كان كشاب ابن العشرين سنة ... وكان حجم جسمه ضخماً يصل من السماوات إلى الأرض ... وما يقابل ذلك من الشرق إلى الغرب... (٥٩)

ثم نفخ الإله في أنف آدم روحه من نفسه هو الذي يتنفسه (أي يتنفسه الإله)....(٦٠)

ثم أوحي إليه بتاريخ البشرية مفصلاً في حياته ومن بعده، وأطلعه عليه بالتفصيل فعرف خلفاءه الأنبياء من بعده.... الخ

ولما كان عمر آدم ساعة واحدةً، جمع الإله كل مملكة الحيوانات في حضرته (وهذا يدل على أن الحيوانات خلقت قبله).... ودعا الملائكة للحضور إليه فحضروا..... وطلب الإله إليهم أن يسموا الأنواع المختلفة بأسمائها ....فلم يكونوا في مستوى الإجابة، ولم يستطيعوا ذلك – إلا أن آدم قال: يا سيد العالم... إن الاسم الصحيح لهذا الحيوان هو ثور وذلك الحيوان حصان، وذلك أسد وذلك جمل وسماهم جميعاً بالتتابع...

ثم سأله عن اسمه ما يكون؟ فقال آدم لأني خلقت من أديم الأرض...

.وبطبيعة الحال لولا أن الروح القدس في آدم لما تمكّن آدم من تسميتهم... (٦١ -٦٢)

وبعد أن وهب الله آدم نفساً حية (روحاً) دعا جميع الملائكة للسجود لآدم فرفض الشيطان السجود، وكان كبير الملائكة، وكان له اثنا عشر جناحاً بينما كان للملاك الواحد ستة أجنحة... ويفهم أن الملائكة سجدوا، لأنهم لو لم يسجدوا لذكروا مخالفين مع إبليس...(٦٢+٦٣).

تعليق

١ - الإله يأمر جبريل بإحضار التراب من الجهات الأربع من الأرض، في حين يذكر إنجيل برثلوميو أن الذي أحضر التراب هو ميكائيل..

٢ - يفشل جبرائيل في إحضار التراب، فيمد الإله يده ويأخذه بنفسه، وهذا يتناقض مع ما سبق.

٣ - كان التراب من ألوان مختلفة.

٤ - كان خلق الإنسان في اليوم الأول من الخلق، وهذا يناقض ما ورد في سفر التكوين الإصحاح الأول..

٥ - خلق آدم نامياً كاملاً وكان جسمه ضخماً يصل من السماء إلى الأرض.

٦ - الإله ينفخ في أنف آدم وزوجه من نَفَسِه الذي يتنفسه هو، ويعلمه كل ما سيحدث في العالم في حياته ومن بعد موته.

٧ - يفهم من النص أعلاه أن الحيوانات خلقت قبل آدم، وهذا يناقض ما ورد في سفر التكوين الإصحاح الثاني.

٨ - يفهم من النص أعلاه أن كبير الملائكة كان مع الملائكة عندما عجزوا عن تسمية أسماء الحيوانات، وأنه رفض السجود معهم، وأن كبير الملائكة هو الشيطان.

٩ - لا يذكر سفر التكوين قصة سؤال آدم عن تسمية الأشياء بحضور الملائكة، بل سماها وحده ولم يكونوا حاضرين.

وقال الشيطان للإله في رفضه السجود لآدم "لقد خلقتنا من بهاء السكينة، والآن تطلب إلينا أن نسجد لمن خلقته من التراب؟"

فقال له الله إن هذا التراب أعقل منك، فطلب الشيطان من الله أن يجري اختباراً له مع آدم للتدليل على ذلك... فقال الإله، لقد خلقت حيوانات وطيوراً وزحافات، وسأحضرها جميعاً إليك وإلى آدم، إذا استطعت أن تسمي أسماءها فسأطلب إلى آدم أن يقدم لك أشرف الاحترام، وسيكون مقرك أنت بعد السكينة مباشرة من بهائي... ولكن إذا لم تستطع أن تسميها وأعطى آدم أسماءها التي وضعتها لها، فستخضع أنت لآدم، وسيكون له محل في جنتي، وانطلق الإله إلى الجنة وتبعه الشيطان....

فلما رأى آدم الرب قال لزوجته دعينا نعبد الله ونسجد لخالقنا....

وحاول الشيطان تسمية الحيوانات فلم يستطيع إعطاء أسماء الاثنين الأولين منها، وكانا ثوراً وبقرة... فأحضر الله له غيرهما، وكانا جملاً وحماراً، وفشل الشيطان في تسميتها فالتفت الإله إلى آدم وسأله أن يسميها فسماها فاضطر الشيطان للاعتراف بتفوق آدم عليه، ولكنه انطلق بصياح شرس عال (٦٣)، ورفض السجود لآدم....

وتبع الشيطان فريق الملائكة الذين كانوا بقيادته... وطلب الملاك ميكائيل من الشيطان أن يسجد لصورة الله (أي آدم) وهدده بأن الله سيغضب عليه إذا رفض

ذلك، فقال الشيطان: إذا غضب عليّ فسأجعل عرشي فوق نجوم الله، وسأصبح عالياً مثله!

فقذف الإله الشيطان بعنف، وقذف من تبعه من الملائكة خارج السماء إلى الأرض، ومنذ ذلك الحين بدأت العداوة بين الشيطان والإنسان...(٦٤)

تعليق:

١ - لم يطرد الإله الشيطان، بل قَبِل أن يجري له اختباراً ثانياً مع آدم.
٢ - نسي المؤلف أن الشيطان كان موجوداً مع الملائكة عندما سمى الحيوانات، وأعطى اسم جمل من بين الأسماء التي سماها آدم، فجعل الشيطان يعجز عن تسمية الجمل.
٣ - الشيطان يرفض السجود لآدم برغم فشله.
٤ - ميكائيل هو الذي طلب من الشيطان السجود لآدم وليس الله.
٥ - تبع الشيطان فريق من الملائكة الذين كانوا تحت قيادته.
٦ - قذف الإله الشيطان ومن معه إلى خارج السماء.
٧ - وعد من الله لآدم بأن يزرع الجنة إذا عجز إبليس عن تسمية المخلوقات .. مع أن الكتاب يقول بأن الذي زرع الجنة هو الله وليس آدم.
٨ - الشيطان يقول إنه خلق من بهاء السكينة ولم يقل إنه خلق من نار؟

وبقي آدم في الجنة مع زوجته حواء، وكانت الحية شهيرة بين الحيوانات، وكانت لديها أحسن الصفات، وكانت تشبه الإنسان في بعض صفاتها، إذ كانت تقف على قدمين كالإنسان وكانت في ارتفاع الجمل....(٧١)

وكان ذكاء الحية سبباً في كفرها، إذ كانت حسودة للإنسان وخاصة من ناحية جنسية وكان هذا هو السبب في تفكيرها بتسبب الموت لآدم... وكانت على معرفة عظيمة بأخلاق الإنسان وهذا دفعها لأن تحاول خديعته بالإغراء، ولذلك اتصلت بحواء لأنها تعرف أن النساء تسهل خديعتهن....

فقالت الحية لحواء: اصحيح أن الإله قال لا تأكلا من جميع شجر الجنة؟ فقالت حواء نستطيع أن نأكل من جميع شجر الجنة ما عدا الشجرة المغروسة في وسط الجنة... وإننا لا يجوز حتى أن نلمسها وإلا موتاً نموت... ولقد قالت حواء ذلك، إذ كان آدم لخشيته من أن تخرج حواء على أمر الرب قد منع حواء من لمس الشجرة، مع أن الإله نهى عن الأكل منها فقط.

فدفعت الحية حواء فلمست الشجرة رغماً عنها... وقالت الحية أنت ترين أن لمس الشجرة لم يسبب لك الموت، وكذلك فإن الأكل منها سوف لا يؤذيك... إن الإرادة الشريرة هي التي أملت هذا التحريم، لأنك إذا ما أكلت من الشجرة فستصبحين كالإله... وكما أنه يحي ويميت، فستصبحين أنت قادرة على أن تميتي وتحيي... إنه هو نفسه أكل ثمرة الشجرة ثم خلق العالم...(٧٢+٧٣)

واستعجلت الحية حواء لتأكل من ثمرة الشجرة، فهزت الشجرة هزاً عنيفاً فأسقطت من ثمارها، وأكلت الحية منها، وقالت: "كما إنني لا أموت من الأكل منها فكذلك أنت سوف لا تموتين" فقالت حواء: "الظاهر أن جميع ما حرم آدم علىّ كذب"... ولم تأكل حواء من الثمرة، بل ذاقت قشرتها فقط، ولما لم تمت فإنها أكلتها(٧٣)، فتمثل لها ملاك الموت أمامها فظنت أن حياتها انتهت وقررت أن تجعل آدم يأكل بدوره منها حتى لا يتزوج زوجة ثانية...وتطلب هذا الإغراء لآدم منها دموعاً وانتحاباً لتغريه بالأكل... ولم تكتف بإغراء آدم وحده، ولكنها أعطت من الثمرة إلى جميع المخلوقات الحية فأكلوا منها ما عدا الطير ملحم، إذ رفض أن يأكل منها وقال لحواء: ألم يكف أنك عصيت الرب، وجلبت الموت للآخرين حتى تأتي إلي أيضاً لآكل وأموت! سوف لا أطيعك...

تعليق:

١ - آدم وحواء في الجنة، وكانت الحية في الجنة أيضاً.

٢ - الحية هي التي تحاول إغواء حواء لطرد آدم وزوجته من الجنة.

٣ - حواء لم تأكل من الثمرة بل ذاقت قشرتها أولاً.

وسمع بعد ذلك صوت إلهي يقول لآدم وحواء: لقد أُعطي لكما الأمر فما أطعتماه، وفوق ذلك تريدان أن تغريا الطير ملحم ولكنه ثبت واتقاني، مع أني لم آمره بشيء، ولذلك فإنه لن يذوق طعم الموت لا هو ولا نسله، وسيحيون إلى الأبد في الجنة.

فقال آدم لحواء: هل أعطيتني من الشجرة التي نهيتك عن الأكل منها؟ لا بد أنك أعطيتني، لأن عيني تفتحتا... وكانت أولى نتائج ذلك أن آدم وحواء عرفا أنهما أصبحا عاريين، بينما كان جسداهما مغطيين بجلد حيوان قرني وملتفين بسحاب المجد فشعرا (٧٤) بالحياء....

وأخذ آدم يجمع من أوراق الجنة ما يوارى جسديهما (سوآتهما) فرفضت الأشجار إعطاءهما من ورقها ما عدا شجرة التين... لأنها كانت الشجرة المحرمة.

وانتظر الإله حتى غطيا جسديهما بأوراق التين، وسمع آدم الملائكة يتحدثون عن سقوطه، وما كانوا يقولونه لله عنه... وكانوا يتساءلون فيما بينهم باستغراب ألا يزال يمشي في الجنة؟ ... إنه لم يمت بعد، فقال الإله: أنا قلت له في اليوم الذي تأكل من الشجرة فإنك موتا تموت....

وأنتم لا تعلمون ماذا عنيت بقولي "اليوم" فإنه يوم من أيامي، وهو بألف سنة مما تعدون (٧٥)... ولذلك سوف أعطيه يوماً من أيامي، وسيعيش ٩٣٠سنة، ويترك سبعين سنة لأحفاده...

ولما سمع آدم وحواء الإله قادماً اختبآ بين الأشجار، وشعر آدم بالخوف حينما سمع صوت الرب.... فقال آدم للرب: سمعت صوتك في الجنة فخفت... فقال الإله لم تكن تشعر بالخوف قبلاً... أما الآن فإنك خائف...

وقال الإله أين أنت؟ وأراد بذلك أن يعلمه الأدب، فلا يدخل على أهل بيت قبل أن يعلن عن نفسه، وفي ذلك بنفس الوقت تأنيب شديد له، واتاحة الفرصة له، لأن يندم على عصيانه... ولكن آدم كان بعيداً عن ذلك، ولم يطلب الغفران، ولو طلبه لحصل عليه... وعلى العكس من ذلك، قذف آدم الإله وجدف عليه لما سأله الإله: "هل أكلت من الشجرة التي أمرتك أن لا تأكل منها" فلم يعترف آدم بخطيئته ووجد عذراً لنفسه بقوله:" يا إله العالم طالما كنت وحيداً لم أقع في الخطيئة (٧٦)، ولكن بعد أن جاءتني المرأة غرتني...."

فقال الإله: أنا أعطيتكها لتعينك، وأنت ناكر للجميل حينما تتهمها بقولك إنها أعطتني من ثمر الشجرة، إذ لم يكن يجوز لك أن تطيعها لأنك أنت الرأس، وليست هي الرأس.... وكان الرب قد توقع ذلك قبل خلق الأنثى، فهو العليم الذي يعلم كل شيء، ولذلك لم يخلق الأنثى إلا بعد أن طلب آدم معيناً له حتى لا يلوم الرب بعد ذلك على خلقها إذ يكون خلقها بناء على طلبه.... وحذت حواء حذو آدم في عدم الاعتراف بخطيئتها، ولم تطلب أيضاً غفران الرب، ولو طلبته لغفر لها... والله، من رحمته العظيمة، لم يقرر إدانة آدم وحواء إلا بعد أن ظهر إصرارهما على الخطيئة...

تعليق:

١ - آدم لا يعرف أنه أكل من الثمرة مما يوحي أن حواء وضعت شيئاً منها في فمه وهو نائم.

٢ - عرف آدم وحواء أنهما أصبحا عاريين، بينما كان جسداهما مغطيين بجلد حيواني قرني. وملتفين بسحاب المجد، وهذا يدل على تناقض، إذ لا يبدو أنهما حسب هذه الصورة عاريين. (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى) (قرآن كريم).

٣ - رفضت أشجار الجنة إعطاء أوراقها لآدم ما عدا شجرة التين.

٤ - آدم لا يعترف بخطيئته بل يجدف على الرب.

٥ - لو طلب آدم وحواء غفران الرب لغفر لهما.

ولم يفعل الإله هذا مع الحية، بل لعنها قبل سماع دفاعها، لأنها كانت شريرة، والشريرون عادة يحسنون الحجاج ولو كان سألها لقالت له: أنت أعطيتهما أمراً وأنا خالفته، فلماذا أطاعاني ولم يطيعاك؟ ... ولذلك لم يدخل في نقاش مع الحية، ولكنه أوقع عليها عشر عقوبات... (٧٧) (ولا داعي للإطالة بذكرها).

وقد حضر الملائكة قرار الإدانة الذي أمر به الرب على الحية، بعد أن كان قد أمر بإحضار عرش يحمله سبعون من الملائكة وجلس عليه، وعهد بتنفيذه إلى الملائكة، فنزلوا إلى الأرض ونفذوه.

أما حكم إدانة حواء فاشتمل علىٰ عشر لعنات من الإله (ولا داعي لذكرها أيضاً).... وقرأ الحكم وسيط، أي أن الله نفسه لم يفه به (ويعتبر اليهود أن الله لم يكلم امرأة قط إلا سارة زوجة إبراهيم)(٧٨).

وكان الحكم بإدانة آدم يشتمل على عشر عقوبات وهي:

١ - تجريده من لباسه الإلهي.

٢ - عليه أن يكسب عيشه بعرق جبينه.

٣ - الأكل الذي يأكله يتحول من الجيد إلى الخبيث.

٤ - أولاده يتيهون في الأرض.

٥ - جسده يعرق.

٦ - يميل للشر.

٧ - يكون جسده فريسة للديدان.

٨ - يكون للحيوانات قوة عليه إلى حد قتله.

٩ - تكون أيام حياته قليلة وملأي بالمتاعب.

١٠ - تسجل عليه أعماله في الأرض(٧٩).

وقد أشفق الإله كثيراً علىٰ آدم وحواء بعد خطيئتهما، ومنح لهما ملابس من جلد الحية، وكان من الممكن أن يسمح لهما بالبقاء في الجنة لو استغفرا الله، ولكنهما رفضا التوبة فكان عليهما أن يغادرا الجنة خوفاً من أن معرفتهما الشبيهة بمعرفة الله للخير والشر تلح عليهما بتخريب شجرة الحياة (الخلود)، فيتعلمان كيف يخلدان، ولذلك طردهما الإله من الجنة، ولم يسمح للعدالة الإلهية المطلقة أن تسودهما ولكنه مزجها بالرحمة.

وعندما انصرف آدم وزوجه قال الله: إنه لمن المؤسف أن آدم لم يستطع أن يطيع الأمر الذي عهدنا به إليه ولو لفترة قصيرة.

وأخذ آدم وحواء يبكيان ويستدران الرحمة بمرارة، وأشفقت الملائكة عليهما، ولم تنفذ (الملائكة) أمر الرب حتى تسترحم منه أن يخفف الحكم عليهما، إلا أن الله تشدد وقال: هل كنت أنا المخالف للعهد؟ وهل أصدرت حكماً خاطئاً

(ظالماً)... وكذلك رفض الإله تضرع آدم بأن يعطيه من ثمرة شجرة الحياة، ولكنه وعده إذا عاش حياة تقية فإنه يعطيه منها يوم القيامة حيث يعيش إلى الأبد (٨٠+٨١).

وبعد طرد آدم من الجنة تضرع للإله أن يشمله برحمته، ويقبل توبته، إنه التواب الرحيم، فقبل الله توبته، وهداه وأرسل إليه الملاك رازيل ومعه كتاب مقدس من الله بيّن فيه جميع ما سيحدث في العالم حتى موته، وفيه معلومات عما سيحدث لأولاده وأحفاده، وقد علمه الملاك رازيل جميع ما فيه، وأخبره بأن أحفاده إذا قرأوا كتابه بطهارة، وقلوب مخلصة، وتواضع ذهني، وأطاعوا أوامره فسيكونون أبراراً مثله وسيعلمون حوادث المستقبل بالتفصيل من حيث الكوارث والوحوش الكاسرة، والفيضانات والخصب والمحل والجفاف.....الخ.

وقرأ رازيل عليه الكتاب، ولما سمع آدم كلمات الله فيه وقع مغشياً عليه من الخوف، فأعاده الملاك إلى وعيه، وشجعه وقال: خذ الكتاب مني واحفظه لأنك ستأخذ العلم منه، وتكون عاقلاً، وستعلم محتوياته إلى اللذين يستحقون أن يتعلموها....(٩٠ -٩٢).

٣- خلق الإنسان في الأناجيل المحرمة

أ- خلق الإنسان في إنجيل حنا الإنجيلي

مقتطفات (صفحة ١٨٩ من الابوكريف)

"وبعد ذلك فإني أنا حنا سألت الرب (أي المسيح) .. كيف يقول الناس إن آدم وحواء خلقا من قبل الرب، ووضعا في الجنة لينفذا أوامر الرب الأب ... وأنهما أسلما بعد ذلك للموت؟ فقال الرب (أي المسيح): استمع إلي يا حنا المحبوب من أبي .. إن الرجال المجانين هم الذين يقولون هكذا بخديعتهم، في أن أبي عمل أجساداً من الطين! ولكن بالروح القدس عمل هو كل قوى السموات وقد وجد أن القديسين لهم أجساد من الطين بسبب خطيئتهم، ولذلك أسلموا للموت .. وقد سألت الرب (أي المسيح) .. لما سقط الشيطان أين سكن؟

فأجاب لقد غير أبي مظهره بسبب تكبره .. وأخذ النور منه، وأصبح وجهه كالحديد المحمى، وأصبح وجهه شبه إنسان تماماً ... ولقد سحب بذيله القسم الثالث من ملائكة الله...

وقد طرد بعيداً عن عرش الله ومن رئاسة السموات، فهبط الشيطان في جلد السماء، ولم يجد راحة لا لنفسه ولا لمن كان معه من الملائكة ...

ولقد خاطب الشيطان الأب بعد ذلك قائلاً: "انظرني سأعوض لك لقاء ذلك" فأشفق الأب عليه، وأنظره وأنظر من كان معه طيلة المدة التي رغبوا إلى سبعة أيام (وهي أيام الخلق).

وبذلك فقد جلس الشيطان في جلد السماء، وأمر الملاك الموكل بالهواء، وكذلك الملاك الموكل بالمياه، فرفعا الأرض وظهر أنها جافة، فأخذ تاج الملاك الموكل على المياه، ومن نصفه عمل نور القمر، ومن النصف الأخر عمل نور النجوم، ومن الأحجار الكريمة صنع كل جنود النجوم، وبعد ذلك جعل الملائكة وزراءه حسب أوامر الله ... وكذلك حسب أوامر الأب الخفي صنع الرعد والمطر والبرد والثلج ووكل بعد ذلك ملائكته عليها.

وأمـر الأرض أن تخـرج كـل حيـوان للتغذيـة، وكـل الزحافـات والأشـجار والأعشـاب ... وأمـر البحـر أن يخـرج الأسمـاك، وكـذلك طيـور السـماء ... وفوق ذلـك فإنه صـمم شـكل إنسـان وجعلـه علـى صـورته، وأمـر مـلاك السـماء الثالثـة أن يـدخل في الجسـد الطـين ... وأخـذ أيضـاً منـه، وجعـل جسـداً آخـر في شـكل امـرأة، وأمـر مـلاك السـماء الثانيـة أن يـدخل في جسـدها ... ثـم أمـرهم أن يعملـوا اللحـم الـلازم للأجسـاد الطين...

ثم صمم مدبر الشر في عقله أن يصنع جنة، وأدخل الرجل والمرأة فيها، وأمر بإحضار قصبة وغرسها الشيطان في وسط الجنة، وبذلك أخفى الشيطان مقصده، فلم يعرفا خديعته .. وجاء إليهما وقال: من كل ثمر الجنة تأكلان ولكن من شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكلا ... ودخل الشيطان في ثعبان شرير، وأغرى الملاك الذي كان في المرأة، وهيج شهوته في حواء في غناء ثعبان، ولذلك يقال لمن يفعلون بشهوة أبيهم أبناء الشيطان وأبناء الأفاعي حتى نهاية العالم. ثم نفث الشيطان في الملاك الذي كان في آدم سموم الشهوة، وهي تنتج أبناء الأفاعي وأبناء الشيطان إلى نهاية العالم" ....

ب- خلق الإنسان في إنجيل برثلوميو

ص ١٧٥-١٧٨

Gospel of Bartholomew
The Apocryphal New Testament Oxford 1945

الرواية على لسان بليار (الشيطان):

لقد كان اسمي في البدء سطنايل، ومعناها رسول من الله، ولكن لما رفضت صورة الله (أي السجود لآدم) غير أسمى إلى سطاناس، ومعناها حارس النار (ترتاروس) ..

لقد كنت أول الملائكة خلقاً ... لما خلق الله السماوات أخذ حفنة من نار وخلقني، ثم خلق ميكائيل، ثم جبرائيل، ثم أوريل، ثم رافائيل، ثم ناثانيل، ثم ملائكة آخرين ...

ولقد كنت أنتقل في العالم وأعود، وطلب الله من ميكائيل أن يحضر إليه كتلة ترابية من أركان الأرض الأربعة، وماء من أنهار الجنة الأربعة ... ولما أحضر ميكائيل المطلوب كون الإله آدم في الإقليم الشرقي، وصور الكتلة التي لم تكن ذات شكل قبل ذلك، ومد فيها أعصاباً وشرايين وشدها بمفاصل ... ثم عبدها لأنها كانت صورة الله ولذلك عبدها.

وقال ميكائيل لي عندما عدت من أطراف الأرض أسجد لصورة الله التي عملها كصورته، فقلت أنا خلقت من نار، وأنا أول ملاك خلق، فهل أسجد لطين ومادة...؟ فقال ميكائيل: أسجد وإلا فإن الله سيغضب عليك... فقلت له فسوف لا يغضب الله عليّ، ولكني سأضع عرشي عالياً مقابل عرشه، وسأكون مثله. فغضب الإله عليّ وأهبطني، ثم سأل الملائكة الستمائة الذين كانوا تحت قيادتي إن كانوا سيسجدون لآدم، فأجابوا سنفعل كما فعل الملاك الأول، ولا نسجد لمن هو أقل منا، فأمر الإله بإهباطهم معي....

ولما سقطنا إلى الأرض لبثنا سنة في حالة إغماء (بدون شعور) ثم أيقظت إبني سالبسان وتشاورنا في كيفية خديعة الإنسان الذي طردنا بسببه من السماء، ونفذت الخطة كما يلي:

أخذت قارورة معي، ونزحت العرق من صدري ومن تحت شعر ذراعي، واغتسلت، ثم أخذت أوراق تين في يدي، ومسحت العرق من صدري ومن تحت ذراعي، ورميت القارورة بجانب تيارات المياه التي تجري من مياه الأنهار الأربعة... فشربت حواء منها، وتحركت شهوتها، وكان يجب أن تشرب منها لأستطيع غوايتها....

خلق الإنسان في انجيل برنابا*

(بغض النظر عمن يكون مؤلف الإنجيل فالرواية المذكورة فيه لا بد وأنها كانت من الروايات المتداولة...(زمن النبي صلى الله عليه وسلم))

الفصل الخامس والثلاثون

وانصرف يسوع من أورشليم، وذهب إلى البرية وراء الأردن، فقال تلاميذه الذين كانوا جالسين حوله: "يا معلم قل لنا كيف سقط الشيطان بكبريائه، لأننا كنا نعلم أنه سقط بسبب العصيان... ولأنه كان دائماً يفتن الإنسان ليفعل شراً"(٥٢).

أجاب يسوع ... "لما خلق الله كتلة من التراب وتركها خمسة وعشرين ألف سنة بدون أن يفعل شيئاً آخر... علم الشيطان الذي كان بمثابة كاهن ورئيس للملائكة لما كان عليه من الإدراك العظيم، أن الله سيأخذ من تلك الكتلة مائة وأربعة وأربعين ألفاً موسومين بسمة النبوة، ورسول الله الذي خلق الله روحه قبل كل شيء بستين ألف سنة... ولذلك غضب (الشيطان) فأغرى الملائكة قائلاً: "انظروا سيريد الله أن نسجد لهذا التراب... وعليه فتبصروا في أننا روح، وأنه لا يليق أن نفعل ذلك"...(٥٢)

"لذلك ترك الله كثيرون... من ثم قال الله يوماً لما التأمت الملائكة كلهم: "ليسجد توا كل من اتخذني رباً لهذا التراب"...(٥٢)

فسجد له الذين أحبوا الله... أما الشيطان والذين كانوا على شاكلته فقالوا: "يا رب إننا روح، ولذلك ليس من العدل أن نسجد لهذه الطينة"...(٥٢)

ولما قال الشيطان ذلك أصبح هائلاً ومخوف المنظر... وأصبح أتباعه مقبوحين... لأن الله أزال بسبب عصيانهم الجمال الذي جمّلهم به لّما خلقهم...(٥٣)

---

* انجيل برنابا: ترجمه من الإنجليزية الدكتور خليل سعادة، وطبع على نفقة مطبعة المنار لصاحبها السيد محمد رشيد رضا. يطلب من مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بميدان، الأزهر بمصر ١٩٥٨.

فلما رفع الملائكة الأطهار رؤوسهم رأوا شدة قبح الهولة التي تحول الشيطان إليها ، وخر أتباعه على وجوههم إلى الأرض خائفين...(٥٣)

حينئذ قال الشيطان: "يا رب إنك جعلتني قبيحاً ظلماً ، ولكني راضٍ بذلك لأني أروم أن أبطل كل ما فعلت"...(٥٣)

وقال الشياطين الآخرون: "لا تدعه رباً يا كوكب الصبح لأنك أنت الرب".(٥٣)

حينئذ قال الله لأتباع الشيطان: "توبوا واعترفوا بأنني أنا الله خالقكم"...

أجابوا "إننا نتوب عن سجودنا لك، لأنك غير عادل، ولكن الشيطان عادل وبريء، وهو ربنا".

حينئذ قال الله "انصرفوا عني أيها الملاعين، لأنه ليس عندي رحمة لكم..."

وبصق الشيطان أثناء انصرافه على كتلة التراب، فرفع جبريل ذلك البصاق مع شيء من التراب، فكان للإنسان بسبب ذلك سرة في بطنه...(٥٣)

الفصل التاسع والثلاثون:

حينئذ قال يوحنا: "حسناً تكلمت يا معلم، ولكن ينقصنا أن نعرف كيف أخطأ الإنسان بسبب الكبرياء"...

أجاب يسوع: "لما طرد الله الشيطان، وطهر الملاك جبريل تلك الكتلة من التراب التي بصق عليها الشيطان، خلق الله كل شيء حي من الحيوانات التي تطير، ومن التي تدب وتسبح، وزين العالم بكل ما فيه... فاقترب الشيطان يوماً من أبواب الجنة... فلما رأى الخيل تأكل العشب أخبرها أنه إذا أتى لتلك الكتلة من التراب أن يصير لها نفس، أصابها ضنك، ولذلك كان من مصلحتها أن تدوس تلك القطعة من التراب على طريقة لا تكون بعدها صالحة لشيء... فثارت الخيل وأخذت تعدو بشدة على تلك القطعة من التراب التي كانت بين الزنابق والورود. فأعطى الله من ثم روحاً لذلك الجزء النجس من التراب الذي وقع عليه بصاق الشيطان، الذي كان أخذه جبريل من الكتلة... وأنشأ الكلب، فأخذ ينبح... فروع الخيل... فهربت... ثم أعطى الله نفسه للإنسان، وكانت الملائكة كلها ترنم: "اللهم ربنا تبارك أسمك القدوس".(٥٨)

فلما رأى الله الإنسان وحده قال:" ليس حسناً أن يكون وحده" فلذلك نومه وأخذ ضلعاً من جهة القلب، وملأ الموضع لحماً... فخلق من تلك الضلع حواء، وجعلها امرأة لآدم... وأقام الزوجين سيدي الجنة... وقال لهما: "انظرا إني أعطيكما كل ثمر لتأكلا منه خلا التفاح والحنطة"... (٥٩+٦٠)

ثم قال لهما: "إحذرا أن تأكلا شيئاً من هذه الأثمار... لأنكما تصيران نجسين... فلا أسمح لكما بالبقاء هنا، بل أطردكما ويحل بكما شقاء عظيم....(٦٠)

الفصل الأربعون:

فلما علم الشيطان بذلك تميز غيظاً... فاقترب إلى باب الجنة حيث كان الحارس حية مخوفة، لها قوائم كجمل، وأظافر أقدامها محددة من كل جانب كموسى... فقال لها العدو "اسمحي لي بأن أدخل الجنة".

أجابت الحية: "وكيف أسمح لك بالدخول وقد أمرني الله بأن أطردك"...

أجاب الشيطان: "ألا ترين كم يحبك الله إذ أقامك خارج الجنة لتحرسي كتلة من الطين وهي الإنسان؟ فإذا أدخلتني الجنة أجعلك رهيبة، حتى إن كل أحد يهرب منك فتذهبين وتقيمين حسب إرادتك...

فقالت الحية: "وكيف أدخلك"؟

فأجاب الشيطان: "إنك كبيرة فافتحي فاك، فأدخل بطنك... فمتى دخلت الجنة ضعيني بجانب هاتين الكتلتين من الطين اللتين تمشيان حديثاً على الأرض" (٦٠).

ففعلت عندئذ الحية ذلك... ووضعت الشيطان بجانب حواء، لأن آدم زوجها كان نائماً... فتمثل الشيطان للمرأة ملاكاً جميلاً وقال لها: "لماذا لا تأكلان من هذا التفاح وهذه الحنطة؟" أجابت حواء: "قال لنا إلهنا إنا إذا أكلنا منها صرنا نجسين، ولذلك يطردنا من الجنة....".

فأجاب الشيطان: "إنه لم يقل الصدق... فيجب أن تعرفي أن الله شرير وحسود... ولذلك لا يحتمل أنداداً، ولكنه يستعبد كل أحد... وهو إنما قال لكما

ذلك لكيلا تصيرا ندين له... ولكن إذا كنت وعشيرك تعملان بنصيحتي فإنكما تأكلان من هذه الأثمار كما تأكلان من غيرها... ولا تلبثا خاضعين لآخرين... بل تعرفان الخير والشر كالله، وتفعلان ما تريدان... لأنكما تصيران ندين لله" (٦١).

فأخذت حينئذ حواء وأكلت من هذه الأثمار... ولما استيقظ زوجها أخبرته بكل ما قال الشيطان... فتناول منها ما قدمته له وأكل...

وبينما كان الطعام نازلاً ذكر كلام الله... فلذلك أراد أن يوقف الطعام... فوضع يده في حلقه حيث كل إنسان له علامة...(٦١)

الفصل الحادي والأربعون:

حينئذ علم كلاهما أنهما كانا عريانين... لذلك استحييا وأخذا أوراق التين وصنعا ثوباً لسوأتيهما...فلما مالت الظهيرة إذا بالله قد ظهر لهما ونادى آدم قائلاً:" آدم أين أنت؟"...(٦١)

فأجاب: "يا رب تخبأت من حضرتك لأني وامرأتي عريانان... فلذلك نستحي أن نتقدم أمامك".

فقال الله: "ومن اغتصب منكما براءتكما إلا أن تكونا أكلتما الثمر فصرتما بسببه نجسين ولا يمكنكما أن تمكثا في الجنة".

أجاب آدم: "يا رب إن الزوجة التي أعطيتني طلبت مني أن آكل فأكلت منه".

حينئذ قال الله للمرأة: "لماذا أعطيت طعاماً كهذا لزوجك؟".

أجابت حواء: "إن الشيطان خدعني فأكلت".

فقال الله: "كيف دخل ذلك الرجيم هنا؟".

أجابت حواء: "إن الحية التي تقف على الباب الشمالي من الجنة أحضرته إلى جانبي". فقال الله لآدم: "لتكن الأرض ملعونة بعملك، لأنك أصغيت لصوت امرأتك، وأكلت الثمر، لتنبت لك حسكاً وشوكاً،... ولتأكل الخبز بعرق وجهك... وأذكر أنك تراب وإلى التراب تعود". وكلم حواء قائلاً: "وأنت التي أصغيت للشيطان... وأعطيت زوجك الطعام تلبثين تحت تسلط الرجل الذي يعاملك كأمة وتحملين الأولاد بالألم"(٦٢).

ولما دعا الحية دعا الملاك ميكائيل الذي يحمل سيف الله وقال:" أطرد أولاً من الجنة هذه الحية الخبيثة... ومتى صارت خارجها فأقطع قوائمها ، فإذا أرادت أن تمشي يجب أن تزحف".

ثم نادى الله بعد ذلك الشيطان فأتى ضاحكاً... فقال له "لأنك أيها الرجيم خدعت هذين وصيرتهما نجسين، أريد أن تدخل في فمك كل نجاسة فيهما وفي كل أولادهما ، متى تابوا عنها وعبدوني حقاً فخرجت منهم، فتصير مكتظاً بالنجاسة". فجأر الشيطان حينئذ جأراً مخوفاً وقال: "لما كنت تريد أن تصيرني أردأ مما أنا عليه فإني أجعل نفسي كما أقدر أن أكون".

حينئذ قال الله: "انصرف أيها اللعين من حضرتي".

فانصرف الشيطان... ثم قال الله لآدم وحواء اللذين كانا ينتحبان" أخرجا من الجنة" وجاهدا أبدانكما ولا يضعف رجاؤكما"....

قال يسوع: "هكذا أخطأ الشيطان وآدم بسبب الكبرياء... أما أحدهما فلأنه أحتقر الإنسان، وأما الأخر فلأنه أراد أن يجعل نفسه نداً لله".(٦٢+٦٣)

الفصل الثالث

خلق الإنسان في بعض الروايات العربية المستقاة من محيط النبي

١. بدائع الزهور

٢. مجمع البيان

٣. تفسير الخازن

١- من كتاب بدائع الزهور: لمحمد بن إياس (ص٤١-٤٨)*

بعث الله جبرائيل إلى الأرض ليأتيه بقبضة منها، فلما أتاها جبرائيل أقسمت عليه إني أعوذ بعزة الله الذي أرسلك أن لا تأخذ مني شيئاً يكون للنار فيه نصيب، فلم يأخذ منها شيئاً، ورجع إلى ربه وقال: يا رب قد استعاذت بك مني، فكرهت أن آخذ منها شيئاً. فأمر الله ميكائيل أن يمضي إليها ويقبض منها قبضة من تراب، فأقسمت عليه وقالت له مثلما قالت لجبرائيل، فبّر بقسمها ولم يأخذ منه شيئاً، فأرسل الله إليها عزرائيل، فلما هبط إليها وكزها بحرية كانت معه، فاضطربت فمد يده إليها فأقسمت عليه وقالت له مثل ما قالت لأخوته، فقال لها: أمر الله خير من قسمك وقبض قبضة من زواياها الأربع من جميع أديمها من أسودها وأبيضها وأحمرها، من سهلها وجبلها وأعاليها وأسفلها، ثم أتى بتلك القبضة بين يدي الله تعالى فقال: لِم لَمْ تجبها وقد أقسمت بي عليك، فقال: يا رب أمرك أوجب، وخوفك أرهب، فقال له إذاً أنت ملك الموت – وقابض الأرواح ومنتزعها من الاشباح، ولم يكن قبل ذلك ملك الموت...

ثم أن الله تعالى أمر عزرائيل أن يضع تلك القبضة على باب الجنة... ثم أمر الله خازن الجنة أن يعجنها بماء التسنيم.

فلما عجنت تركت أربعين سنة حتى صارت طيناً لازباً، ثم تركت أربعين سنة أخرى حتى صارت صلصالاً كالفخار، ثم جعل من تلك العجينة جسداً مصوراً وألقاه على طريق الملائكة التي تصعد منها وتهبط وترك أربعين سنة ملقى على تلك الهيئة....

ثم إن الله أظهر آدم إلى الوجود... ثم قالت الملائكة إلهنا هل خلقت خلقاً أفضل منا؟ فقال الله: أنا الذي خلقته بيدي، وقلت له كن فيكون ثم إن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فكان أول من سجد جبرائيل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون، ثم إن الله تعالى أمر إبليس بالسجود لآدم فأبى وامتنع من السجود، فقال الله له ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي؟ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وأنا الذي عبدتك دهراً طويلاً قبل أن تخلقه، فقال الله له:

---

*بدائع الزهور في وقائع الدهور، أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٥٦هـ، ١٩٣٧م.

علمت منك المعصية في سابق علمي، فلم تنفعك العبادة، أخرج من رحمتي مذموماً مدحوراً، لاملأن جهنم منك وممن تبعك... فقال إبليس أنظرني إلى يوم يبعثون. فقال إنك من المنظرين، فعند ذلك تغيرت خلقته وصار شيطاناً رجيماً....(ص ٤١، ٤٤).

(تعليق): هذه الرواية خليط من روايات التلمود والأناجيل السرية.

...فأوحى الله تعالى إلى آدم هذه جنتي،ودار كرامتي، أدخلا فيها وكلا منها حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة، فتكونا من الظالمين، وأشهد عليهما الملائكة....

إن أول شيء أكله آدم من فواكه الجنة النبق، وقيل: إن أول شيء أكلاه العنب، وآخر شيء الحنطة، لأنها أكلت على العصيان... وكان آدم يطوف في الجنة، فإذا جاء إلى جهة شجرة الحنطة نفر عنها للعهد الذي بينه وبين الله تعالى بعدم الأكل منها، وكانت شجرة الحنطة أعظم شجر الجنة، ولها سنابل، وفيها الحب كل حبة قدر رأس البعير... وكانت أحلى من العسل، وأبيض من اللبن... ولما علم إبليس بدخول آدم وحواء الجنة، وعلم أن آدم منع من أكل شجرة الحنطة، أتى باب الجنة وأقام عنده نحواً من ثلاثمائة سنة، وهي ساعة من ساعات الآخرة فكان ابليس ينظر إلى من يأتي إلى جهة باب الجنة، فجاء طير مليح الملبوس يقال له الطاووس، وكان سيد طيور الجنة، فلما رآه إبليس تقدم إليه وقال أيها الطير المبارك من أين جئت؟ فقال من بساتين آدم، فقال إبليس لك عندي نصيحة، وأريد أن تدخلني معك، فقال: ولم لا تدخل بنفسك! فقال: إنما أريد أن أدخل سراً. فقال الطاووس: لا سبيل إلى ذلك، ولكني آتيك بمن يدخلك، فذهب الطاووس إلى الحية، ولم يكن في الجنة أحسن منها خلقاً فكان رأسها من الياقوت الأحمر، وعيناها من الزبرجد الأخضر، ولسانها من الكافور، وقوائمها مثل قوائم البعير، فقال لها الطاووس: إن على باب الجنة ملكاً من المكرمين، ومعه نصيحة فأسرعت الحية إليه فقال لها: هل لك أن تدخليني سراً إلى الجنة، ولك مني نصيحة، فقالت الحية وكيف الحيلة؟ قال لها: افتحي فاك، ففتحته فدخل فيه إبليس وقال لها: ضعيني عند شجرة الحنطة، فوضعته عندها، فأخرج إبليس

مزماراً وزمر تزميراً مطرياً، فلما سمع آدم وحواء المزمار جاءا ليسمعا ذلك، فلما وصلا إلى شجرة الحنطة قال إبليس تقدم إلى هذه الشجرة يا آدم، فقال: إني ممنوع، فقال إبليس: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، فإن من أكل من هذه الشجرة لا يشيب ولا يهرم، ثم أقسم بالله إنها لا تضرهما، وأنه ناصح لهما، فظن آدم أنه لا يتجاسر أحد على أن يحلف بالله كذباً... فمن حرص حواء على الخلود في الجنة تقدمت وأكلت، فلما نظر آدم إليها حين أكلت ووجدها سالمة، تقدم وأكل بعدها، فلما وصلت الحبّة إلى جوفه طار التاج عن رأسه، وطارت الحلل أيضاً... فأمر الله جبرائيل بإخراجهما من الجنة فأخرجهما، ونودي عليهما بالمعصية، فكان آدم وحواء عريانين فطافا على أشجار الجنة ليستترا بأوراقها، فكانت الأشجار تنفر عنهما، ورحمته شجرة التين فغطته، فتستر بورقها، وقيل: غطته شجرة العود، وقيل: شجرة الحناء... قال كعب الأحبار: لما صار آدم عرياناً أوحى الله تعالى له: أخرج إليّ لأنظرك، فقال آدم: يا رب لا أستطيع ذلك من حيائي منك وخجلي... قيل ثم إن جبرائيل أخذ بيد آدم وهو عريان مكشوف الرأس، فهبط به إلى الأرض عند غروب الشمس من يوم الجمعة، فأهبط على جبل من جبال الهند يقال له الراهون، وأما حواء فذهب عنها حسنها وجمالها، وأبتليت بالحيض، وانقطع عنها ذكر النسب، فيقال: أولاد آدم، ولا يقال أولاد حواء...

وأهبطت حواء عند ساحل البحر المالح بجدة... وأما إبليس اللعين، فإنه خرج عن طور الملائكة، وصار شيطاناً رجيماً، فلما أهبط من الجنة نزل بأرض العراق نحو البصرة، ويقال إنه نكح نفسه بنفسه فباض أربع بيضات ففرق في كل قطر من الأقطار بيضة، فجميع من في الأرض من الشياطين من تلك البيضة... وقيل: إنه نكح الحية التي دخل في جوفها في الجنة حين أهبطت إلى الأرض فباضت الأربع بيضات. (ص٤٥ -٤٨).

تعليق:

إن جميع ما سبق خليط من روايات يهودية ومسيحية، خرجت في قالب عليه مسحة عربية إلا أن الأساس بقي في التلمود والأناجيل المحرمة، كما لا يخفى على القارئ إذا قارن بين هذه النصوص جميعاً...

٢- من كتاب مجمع البيان للطبرسي* ج ١ صفحات (١٧٦-١٩٥)

كان الملائكة من سكان الأرض، وقيل كان في الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء فأهلكوا، فجعل الله آدم وذريته بدلاً منهم (١٧٦).

إن خلقاً يقال لهم الجن كانوا في الأرض فأفسدوا فيها، فبعث الله ملائكته أجلتهم من الأرض، وكان الملائكة هؤلاء سكان الأرض من بعدهم (١٧٧).

قيل: إن الله علم آدم جميع الأسماء والصناعات، وعمارة الأرضين، والأطعمة والأدوية، واستخراج المعادن، وغرس الأشجار ومنافعها وجميع ما يتعلق بعمارة الدين والدنيا، وقيل علمه أسماء جميع ما خلق بجميع اللغات (١٨٠).

وقيل: علمه ألقاب الأشياء ومعانيها وخواصها، وهو أن الفرس يصلح لماذا، والحمار يصلح لماذا... الخ (١٨١).

تعليق: (جميع ما سبق مستمد من التلمود).

اختلف في إبليس هل كان من الملائكة أم لا؟ ذهب قوم أنه منهم واختلفوا عليه.

فمنهم من قال: كان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض. ومنهم من قال: أنه يسوس ما بين السماء والأرض.

تعليق: (أبو كريف).

وقيل أنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة.

تعليق: (برثولوميو) (١٨٩).

وقيل: كان لإبليس ذرية ونسل....

---

* مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تصحيح وتحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، والسيد فضل الله اليزدي الطبطبائي، الجزء الأول الصفحات (١٧٦ - ١٩٥)، دار المعرفة للطباعة والنشر، وفي منشورات دار الحياة الصفحات (١٦٢ - ١٨٨) ط١، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

وقيل: إن إبليس أب الجن وآدم أب الإنس.

وقيل إن إبليس مخلوق من نار، والملائكة روحانيون خلقوا من الريح في قول بعضهم ومن النور في قول آخر... وهم لا يتناسلون ولا يطعمون ولا يشربون.

وقيل: إن إبليس لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء، وكان من الجن، وكان مع الملائكة، وكانت الملائكة ترى أنه منها...(١٩٠).

وروي أن الملائكة كانت تقاتل الجن فسُبي إبليس وكان صغيراً، وكان مع الملائكة فتعبد معها ثم أمروا بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس.

وروي أن إبليس كان قبل أن يرتكب المعصية ملكاً من الملائكة أسمه عزازيل، وكان من سكان الأرض وكان سكان الأرض من الملائكة يسمون الجن، ولم يكن من الملائكة أشد اجتهاداً ولا أكثر علماً منه فلما تكبر على الله وأبى السجود لآدم وعصاه، لعنه وجعله شيطاناً وسماه إبليس...(١٩١)

تعليق: (تلمود وأبو كريف).

ولما أخرج إبليس من الجنة، ولعن، وبقي آدم لوحده استوحش، إذ ليس معه من يسكن إليه، فخلقت حواء ليسكن إليها... وروي أن الله ألقى على آدم النوم، وأخذ منه ضلعاً فخلق منه حواء.

تعليق: (التوراة)...

فاستيقظ آدم، فإذا عند رأسه امرأة فسألها من أنت، قالت امرأة قال: لِمَ خلقت. قالت لتسكن إليّ، فقالت الملائكة ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالوا: ولم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من حي.

تعليق: (خليط بين التوراة والتلمود والعرب).

واختلف في الجنة التي أُسكن فيها آدم فقيل: هي جنة من جنان السماء غير جنة الخلد، وقيل: هي جنة من جنان الدنيا في الأرض...(١٩٤)

واختلف في الشجرة التي نهى آدم عنها فقيل: هي السنبلة، وقيل: هي التينة، وقيل: هي شجرة كافور، وقيل: هي شجرة العلم علم الخير والشر... وقيل: هي شجرة الخلد التي كانت تأكل منها الملائكة...(١٩٥)

من كتاب تفسير الخازن الجزء الأول- صفحات (٣٥-٣٩)*

قيل: إن الملائكة أجسام لطيفة هوائية، خلقت من النور، تقدر أن تتشكل بأشكال مختلفة، مسكنهم السماوات. عن وهب بن منبه (من علماء الإسرائيليات) لما أراد الله أن يخلق آدم أوحى إلى الأرض:إني خالق منك خليقة، منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني، فمن أطاعني أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار... قالت الأرض أتخلق مني خلقاً يكون للنار؟ قال: نعم، فبكت الأرض فانفجرت منها العيون إلى يوم القيامة، فبعث الله إليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من أحمرها وأسودها، وطيبها وخبثها، فلما أتاها ليقبض منها قالت: أعوذ بعزة الله الذي أرسلك إليّ أن لا تأخذ مني شيئاً، فرجع جبرائيل إلى مكانه وقال: يا رب استعاذت بك مني فكرهت أن أقدم عليها، فقال الله لميكائيل انطلق فأتني بقبضة منها، فلما أتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت لجبرائيل، فرجع إلى ربه فقال ما قالت له ... فقال لعزرائيل: انطلق فأتني بقبضة من الأرض، فلما أتاها قالت الأرض: أعوذ بعزة الله الذي أرسلك أن لا تأخذ مني شيئاً، فقال: وأنا أعوذ بعزته أن أعصي له أمراً، وقبض منها قبضة من جميع بقاعها: من عذبها ومالحها، وحلوها ومرها، وطيبها وخبيثها وصعد بها إلى السماء، فسأله ربه - وهو أعلم بما صنع - فأخبره بما قالت الأرض، وبما رد عليها، فقال الله وعزتي وجلالي لأخلقنّ مما جئت به خلقاً،ولأسلطنك على قبض أرواحهم لقلة رحمتك، ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار، ثم تركها ما شاء الله، ثم أخرجها

---

* كتاب تفسير الخازن المسمى باب التأويل في معاني التنزيل، تأليف علاء الدين على بن محمد إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، المتوفى سنة ٧٢٥هـ. ضبطه وصححه عبد السلام محمد علي شاهين، الجزء الأول الصفحات (٣٥ -٣٩)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ سنة ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

فعجنها طيناً لازياً مدة، ثم حمأً مسنوناً مدة، ثم صلصالاً، ثم جعلها جسداً وألقاه على باب الجنة، فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته، لأنهم لم يكونوا رأوا مثله، وكان إبليس يمر عليه ويقول: لأمر ما خلق هذا، ونظر إليه فإذا هو أجوف، فقال: هذا خلق لا يتمالك، وقال يوماً للملائكة: إن فضل هذا عليكم ما تصنعون، فقالوا: نطيع ربنا ولا نعصيه، فقال إبليس في نفسه لئن فضل عليَّ لأعصينه، ولئن فضلت عليه لأهلكنه.

وعلم الله آدم أسماء كل شيء من الحيوان والجماد خلقه، فقال: يا آدم هذا بعير وهذه فرس وهذه شاة، وقيل: علم آدم اللغات كلها. (٣٥ -٣٦)

قيل: سمي إبليس إبليساً لأنه أبلس من رحمة الله، أي يئس، وكان أسمه عزازيل بالسريانية، وبالعربية الحارث، فلما عصى غير اسمه فسمي إبليس وغيرت صورته.(٣٧)

واختلفوا في الجنة التي أمر آدم بسكناها فقيل: إنها جنة كانت في الأرض، بدليل أنه لو كانت الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لما أخرج منها آدم...

وقيل: إن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء، فمنعه الخزنة، فأتى الحية وكانت صديقة لإبليس، وكانت من أحسن الدواب، لها أربع قوائم كقوائم البعير، وكانت من خزان الجنة، فسألها أن تدخله الجنة في فيها فأدخلته ومرت به على الخَزَنَة وهم لا يعلمون... وقيل: إنّما رآهما على باب الجنة لأنهما كانا يخرجان منها، وكان إبليس بقرب الباب، فوسوس إليهما، وذلك أن آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال: لو أن خلدا، فاغتنم ذلك الشيطان منه وأتاه من قبل الخلد... وقيل: لما دخل الجنة وقف على آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس، فبكى وناح نياحة أحزنتهما، وكان أول من ناح، فقالا: ما يبكيك: قال: أبكي عليكما لأنكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة، فوقع ذلك في أنفسهما واغتما، ومضى إبليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد؟ فأبى أن يقبل منه، فقاسمهما بالله إني لكما لمن الناصحين، فاغترا وما ظنا أن أحداً يحلف بالله كاذباً، فبادرت حواء إلى أكل الشجرة، ثم ناولت آدم فأكل منها ...

قال الله: يا آدم أ لم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة؟ قال آدم: بلى يا رب وعزتك ولكن ما ظننت أحداً يحلف بك كاذباً... قال الله: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض، ثم لا تنال العيش فيها إلا نكداً فأُهبط من الجنة (٣٨).

وأُهبط آدم وحواء وإبليس والحية من الجنة، فهبط آدم بسرنديب (سيلان) من أرض الهند على جبل يقال له نود، وأهبطت حواء بجدة وإبليس بالإبلة من أعمال البصرة، والحية بأصبهان. (٣٩)

الفصل الرابع

أهداف التسجيلات القرآنية
لخلافات أهل الكتاب حول قصص الخلق

١ - محيط النبي (صلى الله عليه وسلم)

٢ - ادعاء اليهود بأنهم الشعب المختار

٣ - القرآن يسجل الادعاءات مع معرفته بالتناقضات

٤ - القرآن يندد بضلالاتهم

٥ - القرآن لا يفصل في خلافات أهل الكتاب

٦ - تخرصات المستشرقين بشأن القصص القرآني

٧ - دحض مزاعمهم.

٨ - خلافاتهم – هدى ورحمة للمسلمين

٩ - مفسرونا يستقون من مصادرهم

١٠ - نبأ خطير يهز المجتمع

أهداف التسجيلات القرآنية

١- محيط النبي

يظهر الأنبياء دائماً في حالات تفشي الفساد في المجتمعات البشرية ... والفساد سببه في الدرجة الأولى الجهل الذي يؤدي إلى انتشار الخرافة والرذيلة، والظلم والفوضى، والتقاليد المرهقة، فضلاً عن الكذب والضلال...

ولما كان النبي ذا رسالة، فإنه من الطبيعي أن تسجل رسالته كثيراً مما هو سائد في محيطه من المعتقدات الضالة، لتظهر الفرق بين ما تدعو هي إليه، وبين ما كان يسيطر على المجتمع من فكر ضال...

كان محيط محمد عليه السلام في زمانه يشمل قومه، وكانوا في الغالب من عبدة الأوثان، وكان يشمل فئات من اليهود والنصارى، الذين كانوا على خلافات كثيرة في معتقداتهم، وعداء شديد فيما بينهم، وكان قلة من العرب يدينون باليهودية أو النصرانية، وانتشر بينهم الكثير من أقوال أهل الكتاب من اليهود والنصارى وعقائدهم، بما فيها من الخلاف الإخباري والعقائدي، فضلاً عما كان لديهم من تراث قديم متوارث قد يحتوى أخباراً تعود إلى الأكاديين والكنعانيين وغيرهم من أجداد العرب القدامى.

ولا شك في أن خلافات أهل الكتاب من اليهود والنصارى كان مردها خلافات المصادر التي كانت بين أيديهم ... وكانت التوراة والتلمود وما تفرع عنهما من كتب مختلفة كالمشناه والهجادا والحلقة (الهلاخا) والمدارش والترجوم وغيرها هي مراجع اليهود الأساسية. أما مراجع النصارى، فكانت الأناجيل الأربعة وما تلاها من أعمال الرسل والرسائل والرؤى ... وكان لنصارى الجزيرة العربية مصادر أخرى منها الأناجيل المحرمة، المخطوطات العديدة المختلفة التي انتشرت عن طريقها كثير من المعتقدات التي قد لا نجد

لها سنداً في التوراة أو الأناجيل المعتبرة[1] ... أما العرب الوثنيون، فلم يكن لهم كتاب يستمدون منه تشريعاً أو تاريخاً، ولذلك انتشرت بينهم أقوال أهل الكتاب عن الخلق، والجنة والنار، والجن والملائكة، فكانت رواياتهم تلمودية صرفة أو أبو كريفيه أو تلمودية أبو كريفيه معاً ... فإذا علمنا أن قسماً كبيراً من أخبار الخلق التوراتية والتلمودية ذات طابع سومري أو أكادي

---

[1] الأناجيل المحرمة ويقال لها أحياً المنحولة أو المنتحلة، كثيرة عثر على عدد كبير منها، وتعرف بالأناجيل الأبو كريفيه، وذكر ابن اسحق (راجع السيرة النبوية ج٢ صفحة ٢٢٣، تحقيق السقا والأبياري) أن رؤساء نجران وكانوا نصارى كانوا يتوارثون كتباً عندهم، فكلما مات رئيس منهم فآلت الرئاسة إلى غيره، ختم على تلك الكتب خاتماً مع الخواتم التي كانت قبله ولم يكسره ... وهذا يدل على أنها كانت في الغالب من المحرمة، والغالب أنها فقدت بعد أن عم الإسلام جزيرة العرب، أو انتقلت مع رجال الدين المسيحي إلى حيث هاجروا ... كما أنه توجد بقايا لعقائد النصارى الشائعة أو المدونة في الآثار المخطوطة في الكنائس السورية والنسطورية والحبشة وغيرها، وقد أشار لها عدد من الباحثين من أمثال نولدكه وفورلسنجن واجيفان وكسلر وتوراندريه وجرنبون وجلا سر وهارتمان وغيرهم كثيرون.

❖ يضاف لها إنجيل نجع حمادي الذي اكتشف حديثاً وهو موجود حالياً بالمتحف القبطي بالقاهرة.

❖❖ ورد في أحد المصادر أن عدد الأناجيل الأبوكريفة (السرية أو المحرمة) ٢٨ إنجيلاً. منها إنجيل برنابا الذي اختلسه الراهب فراميرو من مكتبة البابا سكتس الخامس، وبعد أن قرأه أعلن فراميرو إسلامه.

❖❖❖ وفي دراسة أطلعت عليها مؤخراً وردت أسماء ٢٠ إنجيلاً محرماً، ليس بينها مثلاً إنجيل برنابا. وتقول الدراسة إن خمسة أناجيل منها قد وضعها مسيحيون مستقيمو الرأي بهدف إيراد ما لم ترد إشارة إليه في "الأناجيل القانونية" مثل الإخبار عن أقرباء مريم العذراء، ويوسف الصديق وأعمال السيد المسيح الإعجازية منذ طفولته في المهد إلى حين بلوغه سن الشباب. "وثلاثة أناجيل أخرى وضعها متنصرو اليهود" لاستمالة المسيحيين لحفظ الرسوم (الطقوس) الموسوية، ونفي إمكان الخلاص بدون أعمال الرسل". وهناك اثنا عشر إنجيلاً وضعها المبتدعون من (الغنوسيين) و (منكري التثليث) وغيرهم، لنشر تعاليمهم، والدس على المسيحيين الصحيحين". وتقول الدراسة إن بعض تلك الأناجيل المحرمة لم يصل إلينا إلا أسماؤها مثل إنجيل (برثولماوس)، ولعله هو إنجيل برثولوميو... علماً بأن هذا الإنجيل وكذلك إنجيل يوحنا الإنجيلي الذين استخدمهما المرحوم المؤلف في الدراسة، وكما أوضح، هي من منشورات: Clarendon Press, Oxford, 1945.

أو كنعاني فالغالب أن اليهود اقتبسوها في المنفى وثبّتوها في الكتاب على أنها وحي كتابي ...

٢- إدعاء اليهود بأنهم شعب الله المختار

وكان اليهود زمن النبي، يذيعون في المجتمع العربي، كما أذاعوا في كل مجتمع وجدوا فيه، من تفاصيل خلق السماوات والأرض والملائكة وسكان السماء وخلق آدم، ما يظهرهم في عيون الناس بأنهم أهل العلم الذي لا يمارى، وذوو الاتصال بالخالق وأهل الوحي الذين اختارهم الله من دون البشر لبث تعاليمه، فاحتكروا الوحي الإلهي قروناً مع أن تاريخهم يدل على أنهم قوم بدو جّهال من رعاة الحيوانات الذين لا يمكن أن تخرج منهم رسالة حضارية، وهم في حالة البداوة، ولا خرجت منهم هذه الرسالة بعد خروجهم المزعوم من مصر، بل بقوا على بداوتهم قروناً، وكانوا قوماً جفاة غلاظ القلوب، ولم يرو التاريخ في صفحاته تعاليم في القسوة والوحشية تشبه تعاليمهم الدينة ... ولقد بقوا في فلسطين عدة قرون على حالتهم البدوية في الخيام، فما نقلوا إليها حضارة مصر ولا أبقوا على حضارة الكنعانيين والفلسطينيين الذين كانوا من أرقى شعوب حضارة، ولا أقاموا حضارة يهودية خاصة بهم.

ويؤكد رجال الآثار والتاريخ أن اليهود سطوا على آثار حضارة الكنعانيين والفلسطينيين، والبابليين والسومريين والأكاديين الفكرية، وادعوها لأنفسهم[1] وثبتوها في التوراة على أنها وحي من عند الله وهذا ما أسقط التوراة في نظر علماء الآثار بعد أن كذبت الحفريات ادعاءاتهم، ودفع حتى برجال الدين المسيحي إلى اعتبار أخبار الكتاب المقدس غير حاوية لكثير من الأخبار الصحيحة[2]... ومن ذلك ما يتعلق بخلق السماوات والأرض والإنسان، وزادوا عليه من خلطهم ما شاء لهم خيالهم السقيم وخلقهم الغرير ....ثم خرجوا على العالم بأخبارهم الملفقة التي ورطهم بعض ما سجلوا

---

[1] راجع ما أورده أدولف لودز ص ١٠ -١٥ من كتابه Evolution de L'Humanite, Israel-Des Origines au Milieu du 8000 Siecle, Par A. Lods،

وكذلك ما كتبه ج.ب بيكي في كتابه: Lands and Peoples of the Bible

[2] راجع كتاب نشوء المسيحيةلبارنز - أسقف برمنجهام، ص ١١. The Rise of Christianity, by E. Barnes, p. 11.

فيها من التفاصيل ما لا يقره علم أو عقل، وكان فيها من المتناقضات ما كشف عن زيفها، وأظهر أنهم كانوا يضللون العالم بأكاذيبهم التي لا أول لها ولا آخر.

٣- القرآن يسجل ادعاءاتهم المتناقضة:

ولذلك سجل القرآن عليهم ما كانوا يذيعون بين الناس على أنه حقائق إلهية فظنوا وظن العرب الوثنيون معهم أن محمداً أراد أن يدخل في القرآن شيئاً من الفن القصصي، على أنه وحي من الله، وغاب عنهم أن القرآن لم يكن كتاب قصص، ولذلك فإنه لم يتوخ القصة أو الرواية لذاتها، فرواياته قصيرة مقتضبة...تكاد تشير الآية فيه إلى رواية كاملة أحياناً باستثناء سورة يوسف التي وصفها القرآن بأنها أحسن القصص، ومع ذلك فقد رواها بتفصيل لم يخرجها عن أهداف تسجيل القصص الكتابي المختلف عليه بين أهل الكتاب، كما سيمر بنا في هذا البحث.

بلى لقد غاب عنهم أن القرآن كان يسجل أقوالهم الكتابية التي كانوا يختلفون عليها، مع معرفته بما كانت تحويه من متناقضات، وما فيها من وهن فكري ليظهر لنا في أية لجة من الجهالة كان هؤلاء غارقين مدللا بذلك على كذبهم وتضليلهم، ومظهراً الفرق بين ما كانت تدعو إليه رسالة الإسلام من الرجوع إلى الله وهو المثل الأعلى للكمال الفكري، وبين ما كانوا يذيعونه بين الناس من الترهات على أنه من الله، مما لا يعود عليهم وعلى غيرهم إلا بالفرقة والتناحر مع خلوه مما يفيد في بناء المجتمع البشري، ويؤدي إلى رقيه وتطويره....

٤- القرآن يندد بضلالهم:

اتهم اليهود والعرب الوثنيون محمداً من البداية بأنه يقص أساطير الأولين، وتحدوه بعد أن سمعوا شيئاً من تسجيلاته أن يقصوا من أخبار رستم وغيره من الصناديد قصصاً أجمل من قصصه، وأخذوا يتهكمون عليه فسجل القرآن عليهم ذلك أيضاً...استمع إلى القرآن يندد بضلالهم وتخبطهم في أهداف تسجيلاته عليهم:

١ - (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) القلم: ١٥.

٢ - (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)الفرقان:٥.

٣ - (وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ}٢٤{ لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ}٢٥{) النحل:٢٥،٢٤.

٤ - (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ) الأنفال:٣١.

...... وظل القرآن يسجل بأسلوبه المركز البليغ خلافات محيطه من العرب واليهود والنصارى، وهم لا يفقهون أهداف القرآن من ذلك، فظلوا يرددون أنها أساطير الأولين حتى أعلن القرآن صراحة شيئاً من أهداف التسجيل الإسرائيلي في القرآن، مبيناً أنه خاص بتبيان مواضيع خلافاتها لبني إسرائيل قبل غيرهم، فقال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}٧٦{ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}٧٧{ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ}٧٨{ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ}٧٩{) (النمل: ٧٦ -٧٩).

ولم يكن هذا الإعلان الصريح من القرآن كافياً ليفهم معناه اليهود، والذين في قلوبهم مرض، وفي عيونهم عمى، وفي آذنهم وقر، إذ استمروا برغم ذلك يرددون قولهم: "أساطير الأولين" ولذلك عاد القرآن فأكد في سورة النحل بصورة قاطعة، أنه يسجل على جميع الفئات في محيطه من وثنيين ويهود ونصارى، الذي هم فيه يختلفون.. فاستمع إلى قوله تعالى: (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (النحل:٦٤).

وندد القرآن صريحاً باليهود وجرأتهم على الحق لأنهم كذبوا على أنفسهم وعلى غيرهم بما كانوا يفترون على الله من ادعائهم أن ما يذيعونه وحي من عند الله، ويتعجب القرآن كيف ضل عنهم كذبهم بعد ذلك، حتى لكأنهم جهلوا ان ما كانوا ينكرونه في جدالهم مع النبي عليه السلام هو نفس ما كانوا يفترون على الله والناس، فاستمع إلى تقريع القرآن اللاذع لهم في قوله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ}٢٤{ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن

يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ}٢٥{) (الأنعام: ٢٥، ٢٤)

٥- القرآن لا يفصل في خلافاتهم

وقد بين القرآن بصراحة ما بعدها صراحة أنه لا يفصل في خلافات أهل الكتاب على ما ورد من أخبارهم ما مضى منها، وما كان قائماً في زمان النبي، وقرر أن بيان حقائق الخلاف من شأن الله فهو وحده الذي يعرف الحقائق، وسيبينها للمختلفين عليها يوم يجمع الناس للفصل بينهم، وبذلك جنب الله محمداً من أن يخوض في هذه الخلافات، وأمره أن يستمر في أداء رسالته بمفاهيمه الجديدة، في دينه الجديد، ذات الأهداف المحددة، والمعالم الواضحة كما أن اطلاعه أهل الكتاب على ما في كتبهم من تعارض يعتبر وحده كافياً لإظهار ما فيها من تفسخ، يبعد كونها وحياً من عند الله، ويشكك في قيمتها الرسالية والأدبية، والإخبارية والعقلانية والحقائقية إلخ.

فتأمل قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ) (الأنعام: ١٥٩).

ولقد كان موقف القرآن من خلافات أهل الكتاب وغيرهم موقف الدارس في كتب اليهود والنصارى، والشائع في أوساط العرب مما له علاقة بأخبار الوحي، والمكتشف لما فيها من تناقض وخلاف، والمنّبه لمحيط النبي صلى الله عليه وسلم لأن يتأمل فيها، ويكتشف ما فيه من زيف وضلال، ليعرف باطلها فضلاً عما في تسجيله لكل ذلك من خدمة للفكر البشري لأن فيه تسجيلاً لتراث عقائدي، يفيد في دراسات تطور الفكر البشري وكان القرآن موجهاً المؤمنين بنفس الوقت إلى عدم إضاعة الوقت بالخوض في هذه الخلافات، من ناحية عقائدية، وإلى الاتجاه لغيرها من الفكر البناء التي تحمله رسالة نبيهم الجديد .... فاستمع إلى القرآن يدعو إلى ما بينا بأسلوبه البليغ ويعلن أنه لا يفصل في خلافات القوم ولكن الله هو الذي يفصل بين الفئات المختلفة يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون:

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ) (هود ١١٠)

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (البقرة: ١١٣)

(ولَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (يونس: ٩٣)

(إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (النحل: ١٢٤)

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (السجدة: ٢٥)

(وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}١٧{ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}١٨{) (الجاثية: ١٧، ١٨)

(قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (الزمر: ٤٦)

(وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا هم فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (يونس: ١٩)

(وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ) (الشورى: ١٤).

إن كل ما سبق يبين بوضوح ما بعده وضوح أن مهمة القرآن تسجيلية فقط لمواطن الخلاف، وليست بيانية للصحيح منها ...

ولقد اقتضى هذا التسجيل في القرآن أمانة بالغة في النقل، حتى لا يتهم بالافتراء ولذلك كانت الرواية الكتابية المشار إليها في الآية أو الآيات القرآنية، مصدقة أي سورة طبق الأصل لما هو وارد في كتب أهل الكتاب، أو منتشر بين أيديهم وأيدي محيط النبي صلى الله عليه وسلم من روايات مدونة أو شائعة، لا يستطيعون إنكارها... وإن من الآيات القرآنية ما تشير الواحدة منها إلى مرجع كتابي بعينه أو أكثر وقد تشير بدقة إلى قول ورد في سطر معين من رواية، حتى لتكاد تسجل نفس النص أحياناً كما في قوله تعالى: (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ) فإنه بنصه كما ورد في

إنجيل يوحنا ٨ - ١٥ وهذا ما أشار إليه القرآن صراحة في قوله: (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) (يونس:٣٧) (أي صورة طبق الأصل لما بين يديه من مراجع، وهي التوراة والتلمود، وكتبه المختلفة والأناجيل المعتبرة والمحرمة، ...إلخ.)

ثم عاد القرآن وأكد ذلك في نهاية سورة يوسف في قوله: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (يوسف: ١١١).

هذا ولم يكن من السهل تدوين مواطن الخلاف بأسلوب قصصي لأن القصة تحتاج إلى أسلوب قصصي قائم بذاته أما مواضع الخلاف فليست قصة أو قصصاً قائمة بذاتها، وإنما هي مقتطفات من رواية أو روايات أو أقوال في مراجع معينة، فلا علاقة في تدوينها لبلاغة أو فصاحة أو إعجاز، أو أسلوب أدبي خاص، وإذا ما ظهر على بعضها الطابع القصصي أحياناً فذلك بحكم أنه مستمد من قصة يرويها الله على أنها منسوبة إليه من قبل أهل الكتاب، مثال ذلك قوله تعالى في قصة سجود الملائكة لآدم: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ)(الأعراف: من الآية١١) وليس هذا النص تقريراً من الله أنه فعل ذلك، وإنما هو تسجيل لقول أهل الكتاب على لسانه أنه فعل ذلك في رواية تقول: بأن الخلق كان سابقاً للتصوير، وأن الأمر للملائكة بالسجود لآدم كان بعد خلقه وتصويره، وهذا هو الخلاف بين التوراة والتلمود والأناجيل المحرمة، كما سيمر معنا في هذا البحث...

٦- خرصات المستشرقين بشأن القصص القرآني

ولذلك تبدو الرواية القرآنية للباحثين السطحيين غير متكاملة أو مبتورة، أو غير منسجمة مع ما يتبعها من آيات، فتظهر أحياناً منقطعة لا تمت بصلة لما قبلها أو بعدها مما أشكل على المفسرين والمستشرقين معاً، وما لا يجوز أن يشكل على المدقق الباحث بأسلوب علمي في القرآن، فاشتغل المفسرون، ويا للأسف، بالتفسير اللفظي دون الدراسة المقارنة بعمق، واشتغل المستشرقون بالدراسة القصصية المقارنة بين قصص القرآن وقصص التوراة، فخرجوا باستنتاجات غير صحيحة، لأنهم افترضوا قبل كل شيء آخر، وأساءوا الافتراض بأن محمداً كان يقص وينقل من كتب اليهود

والنصارى، وأنه كان تحت تأثيرهم، حتى أن أحد مؤلفيهم[1] وصف تأثير المسيحية على محمد، فلم يترك له شيئاً من الذكاء والعبقرية، بل جعله تلميذاً متوسطاً من تلاميذ المسيح، وأظهره (تشارلز كتلر توراي)[2] من المتطفلين على التوراة، وكتب اليهود، فاستمع إليه يقول ما ترجمته: ويظهر هنا بوضوح فرق ظاهر جداً بين قصص القرآن وقصص الكتاب المقدس، فالأخيرة كانت نتاج أدب بالغ الكمال، كتب في أوقات مختلفة للتعليم الديني، من عمل رجال ولدوا من رواة القصص بالفطرة ... ولقد حفظت هذه القصص ووضعت بعد أن مرت عليها أدوار كثيرة من الانتخاب، واعتبرت تدريجياً أحسن نوعها، ثم أدمجت نهائياً كمنتجات نثرية دينية ... وعلى العكس من ذلك فإننا نرى في القرآن شيئاً جديداً ومعاملة مشوهة كريهة، فهو إنتاج قصص على أنها وحي منزل، لتعتبر منذ البدء من الكتاب المقدس (أي القرآن) ... فضلاً عن أن قصصه أعطيت في السابق شكلاً ثابتاً في الكتب المقدسة ... ولقد كانت هذه ورطة سببت للرسول العربي بعض التعب، لأنه إن أخرج قصة يوسف أو يونس بأسرها أو جزءاً منها من التقليد (أي الكتب الأصلية اليهودية) فإنه سيتهم بالانتحال ... وإذا روى القصص بشيء من الاختلاف، فإنه سيتهم بالتزوير (أي التحريف) ... إن قصاصاً ماهراً قد يكون في استطاعته أن يفلت من هذه الصعوبة بفنه الأدبي الشخصي، وذلك بإخراجه شيئاً جديداً مشوقاً مع المحافظة على القصة الشائعة، ولكن محمداً كان بعيداً جداً عن أن يكون قصاصاً ماهراً...إن خياله حي، ولكنه ليس مبدعاً...إن معالمه متشابهة وتكرر نفس التفاهة... وهو مغرم بالمحاورات المحزنة، ولكنه لا يدرك كثيراً روح المناظر المؤسية ولا فصولها...والتماسك المنطقي بين الحلقات غير مرتبط، ويبدو في بعض الحلقات متغيباً...هذا وقد تكون بعض النقاط الهامة اللازمة لفهم القصة عرضة لأن تترك...إن قصة سليمان وملكة سبأ تعطي صورة أخرى عن طريقة محمد في القصص بالركض والقفز، فهو فيها يظهر بصورة أوضح حتى من صورته في قصة يوسف في ميله للإبهام، إذ أن مادة القصة مأخوذة من الهجادا، ولكن كثيراً منها محذوف وهو اللازم لفهم القصة... كما أن قصة شاؤل وجوليات تعطي صورة جيدة

---

[1] راجع كتاب: القرآن والكتاب ج٢ صفحة ٤٢٨ للأستاذ الحداد.

[2] راجع كتاب: The Jewish Foundation of Islam, P.107, by Charles Cutler Torrey (1933).

للطريقة التي اتبعها النبي المكي، والتي تخونه فيها الذاكرة أحياناً، إذ خلط بين القصة وقصة جدعون ورجاله الثلاثمائة المنتخبين، والمشار إليهم في سفر القضاة (٧: ٤ -٧).

٧- دحض مزاعمهم:

لا شك لدينا في أن كتلر وغيره من أهل الكتاب والمستشرقين، غاب عنهم جميعاً قوله تعالى: (إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (النمل:٧٦) ولو أدرك كتلر ذلك لعلم أن القرآن ليس كتاباً قصصياً ولم يكن يروي قصصاً، وإنما كان يسجّل خلافات أهل الكتاب على الأخبار المدونة لديهم، والتي كانوا يعتبرونها حقائق تاريخية، أوحاها الله لكتبتها، ولم تسجلها التوراة وكتب أهل الكتاب، على أنها قصص للعبرة فقط.. ولَمّا كانت دراسته المقارنة موجهة لاكتشاف أوجه النقض والخلاف بينها وبين القصص القرآني، بل لكان قد وجه دراسته لاكتشاف التعارض الذي سجله القرآن فيها، والذي ظنه كتلر وغيره من القصص القرآني المخترع أو المفترى، ذلك لأن الرواية القرآنية وردت على أنها كانت تعتبر من الحقائق الكتابية، التي كانت بين يدي القرآن من المختلف عليه بين أهل الكتاب، ليظهر أنهم يتناقضون في أخبارهم، ويختلفون على أشياءَ هُم في شك مريب منها، فضلاً عن أنها من التفاهة بحيث لم يكن فيها أي غذاء روحي أو عقلي أو حقائق علمية لها قيمتها في حياة المجتمع وتطوره... ولأدرك كتلر وأشباهه حينئذ مدى الدراسة العلمية الواسعة في القرآن لافتراءات اليهود وتضليلهم للعالم أجمع، حتى قال الله عنهم صريحاً (وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً)(الكهف: من الآية٥١) ولما اتهم كتلر محمداً بأنه أتى بقصصه المبتورة ليثبته على أنه وحي من عند الله، لأن الذي فعل ذلك هم أهل الكتاب الذين كانوا يدعون أن قصص الخلق، وخلاف الملأ الأعلى على خلق آدم، وانشقاق الملائكة على الله، وحي من عند الله... أما محمد فإنه كشف باطل اليهود، وأظهر بوضوح ما في أخبارهم من تعارض وتهافت وافتراء على الله.....

أما اعتبار كتلر قصص الكتاب المقدس (التوراة) موضوعاً من قبل فئة من القصاصين المبدعين بالفطرة، فتلك نظرية جديدة تتبع مقاييس القرن العشرين، لأن هذا الذي يعتبره الآن قصصاً مبدعاً برغم حشوه حتى الإتخام بالأغاليط والأضاليل

والتفاهة، كان في زمانه يعتبر أسمى ما وصل إليه اليهود من الإطلاع العلمي الغيبي الذي احتكروه من دون الأمم باسم الله، فتاهوا على الناس بادعائهم عن أنفسهم أنهم أهل العلم وأهل الكتاب، حتى غدت أباطيلهم جزءاً من عقائدهم وعقائد غيرهم من الأمم التي اقتبست عنها. فكان من آثار ذلك أن وقف تقدم البحث العلمي في نشوء الكون والمخلوقات قروناً على اعتبار أن الله بين في التوراة كيف خلق السماوات والأرض والإنسان والكائنات الحية، والنباتات والأشجار فلم تعد هناك حاجة للمزيد عليها أو التعمق فيها.....

أما الفكر الإسلامي في الرسالة الجديدة، فإنه حطم الخرافات، خرافات خلق السموات والأرض التي كان اليهود يذيعونها بين الأمم في قوله تعالى: (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً) (الكهف:٥١) ثم حطم خرافة خصومات الملأ الأعلى، وانشقاق الملائكة على الله في خلق آدم التي كانوا يتشدقون بها في قوله تعالى: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ}٦٧{ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ}٦٨{ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ}٦٩{) (ص: ٦٧ -٦٩)

ثم طلب إلى الفكر الإنساني أن ينطلق في أبحاثه، ففتح باب الدرس والبحث في الخلق على مصراعيه في قوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (العنكبوت:٢٠).

٨- خلافاتهم هدى ورحمة للمسلمين:

ولقد بين القرآن للمسلمين أن بيانه لخلافات أهل الكتاب هدى ورحمة لهم، حتى لا يقعوا في مثل ما وقع هؤلاء، ولا يسيروا في طريق الضلال الذي ساروا فيه، فعليهم أن يتوخوا الصدق والدرس والتأمل، والرجوع إلى الله، وهو المثل الأعلى للكمال العقلي في السماوات والأرض، وبذلك يحملون رسالة الله الإسلامية لتطور المجتمع البشري، ولارتقاء الحضارة تأمل قوله تعالى: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (النحل:٦٤).

ويجد القارئ في هذا البحث ما سجله القرآن من مواضيع الخلاف بين أهل الكتاب، وفي محيط النبي صلى الله عليه وسلم على خلق آدم مما أدى إلى اعتقادهم في خصام الملأ الأعلى بين الملائكة والله، وكان من نتائجه انشقاق كبير الملائكة

(إبليس) على الله مع فريق الملائكة فأصبح إبليس بعد ذلك الشيطان الذي يلعب حسب معتقداتهم أهم دور في حياة الإنسان، فكان الأساس الذي استمدت منه نظرية تنازع الخير الممثل بالله، والشر الممثل بالشيطان، فانبثق منها كثير من العقائد العجيبة التي تجعل الإنسان شبيهاً بالله في صورته أحياناً وبالشيطان في صوته وفعله أحياناً أخرى، مما أدى إلى اعتبار الشيطان في العقيدة اليهودية[1] مكوناً أساسياً في طبيعة الإنسان، وبدونه ينقرض الجنس البشري، ويعتبرون هذا تفسيراً لحكمة الله بالسماح للشيطان بأن يكون نشيطاً فلا يدمره، فلا غرو بعد ذلك أن نفهم سر أخذ اليهود بأساليب الشيطان في تعاملهم مع غيرهم، حيثما حلوا بين البشر، مما أدى إلى أن خاطبهم المسيح يوماً بقوله: " أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا" يوحنا ٨ - ٤٠ -٤٨.

ولقد أدى ما سبق أيضاً إلى أن أصبح الشيطان في المسيحية كائناً حقيقياً واعتبر أعلى شأناً من الإنسان، ويقول الدكتور بوست (قاموس الكتاب المقدس ج ١ صفحة ٦٥٠) ما نصه: (ولنا في شخصيته أي "الشيطان" نفس البراهين التي لنا في شخصية الروح القدس والملائكة).

أما الفكر الإسلامي فإنه حسب ما بدا لنا في هذه الدراسة نفى كل ذلك بصراحة بالغة في قوله تعالى: (**مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً**) (الكهف:٥١).

نعود ونكرر أن الروايات التي سجلها القرآن في سورة (ص) والأعراف وطه والإسراء والحجر والكهف والبقرة التي ذكرناها في أول هذا البحث إنما هي صورة طبق الأصل للروايات المتعارضة والمختلف عليها في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يتهم بالافتراء سجلها القرآن كما هي، وهو يعلم أنها متناقضة وهو لذلك سجلها وبين أسباب تسجيلها في قوله تعالى: (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**) (النمل:٧٦) وفي قوله تعالى: (**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**) (النحل:٦٤) حتى لا يتهم النبي صلى الله عليه وسلم بالافتراء على أهل الكتاب.

---

[1] Every man's Talmud, by A. Cohen, P.58 (1943).

وقد دونا في القسم الأول من هذا الكتاب مقتطفات من المراجع الكتابية والأبوكريفية الموجودة بين يديّ، وسيجد القارئ في أثناء مطالعتها كل ما يلزم من التفصيل عن الروايات المشار إليها في هذا الكتاب.

هذا وقد شملت التسجيلات القرآنية في موضوع خلق آدم خلاف أهل الكتاب على المواضيع الآتية:

خلق السموات والأرض – خلق آدم – خلاف الملائكة مع الله على خلق آدم – شخصية إبليس، وهل كان من الملائكة أو كان من الجن، ومادة خلقه، أكانت من بهاء الله أم من نار ... هل كان خلق آدم من قبل الله، أو كان من قبل الشيطان .. هل كان تصوير آدم على صورة الله أو على صورة الشيطان .. طرد إبليس من الجنة، وهل كان لرفضه السجود لآدم أو لإغوائه آدم وحواء في الجنة .. هل كانت الجنة على الأرض أو كانت في السماء ... اتفاقية إبليس مع الله لإغواء البشر ... هل كان خلق الإنسان قبل جميع المخلوقات الحية أو كان آخرها إلى غيرذلك، كما سيمر معنا في هذه الدراسة المفصلة.

٩- مفسرونا يستقون من مصادرهم:

ومما يؤسف له أن المفسرين شغلهم التفسير اللفظي، وتغيّب عنهم أسلوب البحث العلمي الدقيق، فراحوا يستقون تفاصيل القصص من مصادرها اليهودية وغير اليهودية فأساءوا أيضاً فهم غرض القرآن التسجيلي، فأدخلوا من حيث لا يشعرون الخرافة اليهودية في العقائد الإسلامية، تلك الخرافة التي بدأ عقلاء اليهود والمسيحيين في أيامنا هذه* في التنصل منها، بعد أن أظهر العلم الحديث أن الخلق عملية معقدة لم يجلُ العلم برغم تقدمه غوامضها، وهي ليست بهذه السهولة التي تخيلها مؤلفو اليهود، فجعلوا الله جابل طين كصانع الفخار، وجعلوا الخلق عملية جبل طين ونفخ فيه من روح الله، فأين كانت عيون المفسرين من قوله تعالى: (**مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً**) (الكهف:٥١) ليفسروا

* في النصف الثاني من القرن العشرين.

عظمة الفكر الإسلامي الذي اكتشف زيف اليهود وغيرهم من مدعى العلم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان.

١٠- نبأ خطير يهز المجتمع:

ونلفت نظر القارئ المدقق إلى أن القرآن بدأ تسجيلاته المكية عن الخلق، وخلاف الملأ الأعلى على خلق آدم في صورة (ص) بقوله تعالى: **(قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ}٦٧{ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ}٦٨{ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ}٦٩{ إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ}٧٠{)** (ص: ٦٧ -٧٠) والقرآن بذلك يمهد لنفي أنباء وقوع خصام في الملأ الأعلى فيما سيقصه من أنباء هذا الخلاف المزعوم، الذي سجله وكان ختام التسجيل المكي رائعاً جداً في آخر وحدة منه، سجلتها سورة الكهف* إذ علق القرآن على أخبار السماوات والأرض، وخلق آدم بصورة لاذعة جداً في قوله تعالى: **(مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً)** (الكهف:٥١) وبذلك اختتم التعليق القرآني البحث كما بدأه بنفي قاطع لكل ما ورد فيه، وبالحكم النهائي على مذيعي أمثال هذه الأخبار من المضللين، والله لا يتخذ المضلين عضداً وهذا يعني اليهود واضرابهم.

---

* نزلت سورة البقرة في إجمالها في أول العهد المدني ولكن الغالب أن قصة الخلق التي وردت فيها نزلت مبكراً في العهد المكي متممة لزميلاتها في باقي السور، وقبل سورة الكهف. راجع كتاب (أوائل السور في القرآن الكريم)، للمؤلف علي نصوح الطاهر.

الفصل الخامس

الدراسة المقارنة للروايات المتباينة

1. خلق الإنسان
2. مادة الخلق
3. سجود الملائكة
4. عصيان إبليس وماهيته
5. محاكمته
6. جوابه لله
7. طرده
8. طلب إنظاره
9. آدم في الجنة
10. آدم وحواء في الجنة
11. الشجرة المحرمة
12. سقوط آدم
13. تفصيل الخلافات في سقوطه
14. وإضافة أخرى
15. عود إلى الروايات الكتابية
16. محاكمة آدم
17. طرده من الجنة
18. نهاية تسجيلات مشهد الطرد

١- خلق الإنسان

(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ} ٧١{ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (صّ٧١ -٧٢)

تقول الرواية إن الله أخبر الملائكة قبل خلق آدم، أي حينما كان تراباً أو كان فكرة، أنه سيخلق من الطين بشراً فإذا صوره ونفخ فيه من روحه، أي أصبح حياً فليسجدوا له، وهذا يعني أن خلق الإنسان حسب هذه الرواية لم يكن بالكلمة (كن فيكون) بل كان متدرجاً بإحضار التراب وجبله ليصبح طيناً ثمّ بتسويته، أي عمل صورة طينية له (قالب مجسم) ثم بالنفخ في أنفه لإعطائه حياة... وهي تشير إلى رواية الإصحاح الثاني من سفر التكوين[١] ونصها: "وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حيةً". أما قوله: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ) (صّ:٧١) فيشير إلى ما ورد عن ذلك في التلمود من استشارة الله لمجلسه الاستشاري المعروف بالسيرافيم[٢].

أما قوله تعالى: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (صّ:٧٢) فيفهم منه أن الأمر للملائكة بالسجود لآدم كان قبل خلق آدم، على أن يكون التنفيذ بعد خلق آدم، وقد وردت هذه الرواية في التلمود[٣].

وسجلت سورة الأعراف في نفس الموضوع رواية تختلف عما سبق... فتأمل قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) (الأعراف:١١).

والمعنى حسب هذه الرواية الكتابية، أن الله خلق إنساناً أولاً ثم صوّره، فكان الخلق قبل التصوير، وهذا يتعارض مع الرواية المسجلة في سورة (ص) والتي تقول بسبق

---

[١] سفر التكوين ٢ -٧.

[٢] Every man's Talmud, by A. Cohen, P 33.

[٣] روايات اليهود لجينزبرج ج١، ص٦٢ (باللغة الإنجليزية).

التصوير للخلق... وتختلف أيضاً في أن الأمر الصادر للملائكة بالسجود لآدم كان بعد خلق آدم، وليس قبله كما ورد في رواية سورة (ص).

وتشير هذه الرواية إلى أن خلق الإنسان كان أولاً، ثم كان تصويره ثانياً، وهذه هي رواية التلمود التي تقول بأن روح الإنسان خلقت أولاً، وكانت من روح الله، وكان خلقها قبل جميع الكائنات...

ويعتبر التصوير في قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ)(الأعراف: من الآية١١) إشارة إلى ما ورد عن ذلك في الإصحاح الأول من سفر التكوين ونصه:" وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم، وعلى الأرض، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض، فخلق الله الإنسان على صورته... على صورة الله خلقهم ذكراً وأنثى"تكوين ٢٦:٢ - ٢٨...

والخلاف على الخلق وسبق الخلق للتصوير والعكس بالعكس واسع بين الإصحاح الأول والثاني من سفر التكوين في التوراة، ثم بينهما وبين التلمود[1] والأناجيل المحرمة، فمن ذلك أن الإصحاح الأول من سفر التكوين ينص على خلق الإنسان ذكراً وأنثى في اليوم السادس[2] من الخلق، فكان بذلك آخر الكائنات الحية خلقاً وهذا يناقض ما ورد في الإصحاح الثاني من أن الإنسان خلق قبل الكائنات الحية...

وهناك تعارض بين نصوص الإصحاح الأول، والإصحاح الثاني من سفر التكوين في كيفية الخلق، فالأصحاح الأول يغلب على آياته أن الخلق كان (كن فيكون) مثال ذلك: وقال الله "لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر، يعمل ثمراً كجنسه بزره فيه على الأرض" وكان كذلك، فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً كجنسه وشجراً يعمل ثمراً بزره فيه كجنسه، ورأى الله ذلك أنه حسن، وكان مساء وكان صباح يوماً ثالثاً".

---

[1] التلمود – مدراش. (تكوين ٨ -٣ -٥) وورد مثل هذا القول في قصة امتحان الملائكة بالسجود لآدم الجديد في العقيدة النصرانية لدى بعض الفرق النصرانية، (راجع القرآن والكتاب، للأستاذ الحدّاد، ج٢، صفحة ٤٥١).

[2] سفر التكوين: ٢٨.

وتأمل قوله "وقال الله لتنفض المياه زحافات ذات نفس حية"، وقوله: "لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كأجناسها بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها ... ورأي الله أن ذلك حسن.." الخ.

وتأمل قوله: "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا" وقوله: "فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ... ذكراً وأنثى خلقهم". ونفهم مما سبق أن الخلق كان في معظم الصورة (كن فيكون). وكان خلق الإنسان آخر الكائنات الحية، وكما بينا يتعارض هذا مع ما ورد في الإصحاح الثاني في نفس السفر، حيث يقول: "وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حيّة، وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذي جبله، وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل. (وبذلك كان خلق آدم قبل خلق الأشجار وليس بعده كما مر في الإصحاح الأول) ... راجع سفر التكوين: ٢ -٧ - ٢٣).

وتأمل قوله في الإصحاح الثاني وقال الرب الإله "ليس جيداً أن يكون آدم وحده فأصنع له معيناً نظيره" ... وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء. وهذا يناقض ما ورد عن ذلك في الإصحاح الأول مناقضة واضحة، إذ نص في الإصحاح الأول أنها خلقت قبل آدم.

وتأمل قوله "وأما لنفسه (أي آدم) فلم يجد معيناً نظيره، فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها لآدم".

وهذا يناقض ما ورد عن ذلك في الإصحاح الأول من أن الله خلق الذكر والأنثى بعد جميع الكائنات، ويناقضه كذلك بجعل حواء تخلق من ضلع من آدم ولم تخلق معه كما ورد في الإصحاح الأول ...

وتقول المراجع التلمودية[1]: إن الله خلق مع آدم أنثى كان اسمها ليليث (أي ليلى) وكان خلقها من نفس المادة التي خلق منها آدم، وإنها لم تطق العيش مع آدم ففرت منه واختفت في الهواء، ثم وجدها الملائكة عند ساحل البحر الأحمر، وطلبوا

---

[1] روايات اليهود لجينزبرج ج١، ص٦٥، وج٥، صحفة ٨٧ (بند ٤٠) مع بيان المراجع العديدة.

إليها الرجوع إلى آدم وهددوها في حالة رفضها الرجوع إليه بأنها ستفقد بالموت كل يوم مائة من أبنائها من الشياطين...وفضلت هذه العقوبة على العيش مع آدم... وتقول المراجع التلمودية بأنه كان من السهل على الله أن يعوض آدم عنها بخلق حواء منه لأن آدم له وجهان، فصل الله أحدهما من آدم لما خلق حواء منه... وتعتبر هذه محاولة من علماء اليهود ليجدوا مخرجاً للتعارض الحاصل بين الإصحاحين الأول والثاني من سفر التكوين على خلق الذكر والأنثى معاً على صورة الله الذي يتعارض مع خلق حواء من ضلع آدم، ولذلك جعلوا لآدم زوجة وجعلوها تهجره ليضطر الرب لتعويضها بحواء، وجعلوا لآدم وجهين ليتمكن الرب من فصل أحدهما لخلق حواء، وإذا كان الرب حسب قولهم خلق الذكر والأنثى على صورته فكيف سيكون الرب شبيهاً بالإثنين معاً إلا أن يكون له وجهان، وجه ذكر ووجه أنثى (كما كان لآدم) ويكون له فرجان فرج ذكر وفرج أنثى (هرما فروديت) وهكذا في جميع أعضائه...

وتزيد حدة التعارض بين التوراة في إصحاحيها من سفر التكوين والمراجع التلمودية مع إنجيل حنا[1] الإنجيلي الذي نص على لسان المسيح بأن الذي صور الإنسان هو الشيطان وليس الرب الإله، وأنه صوره على صورته هو (أي الشيطان) وليس على صورة الله، وأن الشيطان هو الذي خلق الإنسان بمعونة عدد من الملائكة وكان ذلك أمر الله.

يقول التلمود في أكثر من مرجع: إن جميع الكائنات خلقت بأمر الله (كن فيكون) ما عدا الإنسان فإن الله صنعه بيده وإلى هذه الرواية أشارت رواية سجلتها صورة (ص) في قوله: **(مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)(صّ: من الآية٧٥)** راجع روايات اليهود لجنزبرج (بالإنجليزية)(٤٩).

أ- مادة الخلق

نتنقل من الخلق إلى المادة التي منها الإنسان والتي اختلف عليها أهل الكتاب أيضاً.

---

[1] راجع: The Apocryphal New Testament, Book of John The Evangelist, P. 189, Oxford Clarendon Press, 1945.

سجلت سورة (ص) رواية تقول بأن الإنسان خلق من طين في قوله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ) (ص:٧١) وتتفق أغلب المصادر الكتابية في أن الإنسان خلق من عناصر الأرض، لكنها تختلف في مادتها... فالطين لا يسمى طيناً قبل أن يجبل التراب بالماء. وقد ورد في الإصحاح الثاني من سفر التكوين ما نصه "ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقى كل وجه الأرض (ماء) وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض".

وسجلت سورة الحجر رواية تقول بأن الإنسان خلق من صلصال من حمأ مسنون أي منتن في قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) (الحجر:٢٦) وفي ذلك إشارة إلى رواية تلمودية عربية نقلها المفسرون[1]، عن وهب بن منبه، وكان من مصادر الإسرائيليات تقول بأن التراب الذي خلق منه الإنسان كان مخلوطاً من أحمرها وأسودها، طيبها وخبيثها، ومالحها وحلوها ومرها، وأن الله أراد أن يكون نصفها في الجنة ونصفها في النار، وأنه تركها ما شاء الله لها ثم أخرجها فعجنها طيناً لازباً مدة، ثم حمأ مسنوناً مدة ثم صلصالاً ثم جعلها جسداً... ويقول التلمود[2] إن التراب كان من ألوان أربعة: الأبيض والأسود والأحمر والأخضر (الأصفر) ومن هذا تخرج أنواع مختلفة من الصلصال...

ووردت في سورة الصافات رواية تقول بأن الإنسان خلق من طين لازب، وذلك في قوله: (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ)(الصافات: من الآية١١). وفي ذلك إشارة إلى ما ورد في التوراة[3] من أن الله أطلع ضباباً من الأرض قبل أن يجبل آدم... وهو إشارة كذلك إلى ما ورد في إنجيل برثولوميو[4] من أن الله جبل تراب الكتلة الترابية التي خلق منها آدم بمياه أنهار الجنة الأربعة... وهناك خلافات بين أهل الكتاب على من أحضر التراب فالتوراة تكتفي بالقول بأن الله جبل آدم من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة...

---

[1] راجع تفسير الخازن، ج١، ص٣٥ -٣٩.

[2] روايات اليهود لجينزبرج ج١، ص٥٥، ج٥، ص٧١ (بند ١٤).

[3] تكوين ٢ -٦.

[4] The Apocryphal New Testament Gospel of Bartholomew P. 179, Oxford Clarendon Press 1945.

والتلمود[1] يقول: بأن الله أمر الملاك جبرائيل بأن يذهب ويحضر إليه تراباً من جهات الأرض الأربع ليخلق منها الإنسان... فرفضت الأرض السماح له بذلك، وأصرت على أن يأخذ الله بيده ما شاء منها، فمد الإله يده وأخذ حفنة تراب من جهاتها الأربع[2]...

يقول إنجيل برثولوميو: إن الله أمر ميكائيل، وليس جبرائيل، بإحضار كتلة ترابية من أركان الأرض الأربعة وماء من أنهار الجنة الأربعة فأحضرها...

ويقول إنجيل برنابا[3]: بأن الله خلق الكتلة الترابية وتركها خمسة وعشرين ألف سنة دون أن يصنع منها شيئاً، ولا يذكر كيف خلقها.

وتقول رواية عربية يهودية نقلاً عن وهب بن منبه ملخصها: أن الله بعث جبرائيل أولاً لإحضار التراب من الأرض، فرفضت الأرض السماح له بذلك، فأمر الرب ميكائيل بإحضارها فامتنعت عليه، ثم أمر عزرائيل فأحضرها قسراً (راجع تفسير الخازن مجلد ١ صفحة ٤٠ -٤٤) وهكذا لا تلتقي هذه الخلافات ولا تنتهي...

٣- سجود الملائكة لآدم وعصيان إبليس

سجلت سورة (ص) وسورة الحجر نفس النص في الرواية التي وردت في كل منهما في قوله: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (الحجر:٢٩) ويفهم من هذا النص أن أمر السجود أعطى للملائكة قبل خلق آدم، ولما كان تراباً، والغالب أن النص هنا يشير إلى ما ورد عن ذلك في الرواية التي أوردها إنجيل برنابا في الفصل الخامس والثلاثين، والتي تقول بأن الله طلب من الملائكة السجود للتراب الذي جبل منه آدم، وكان لا يزال تراباً...

وسجلت سورة الأعراف رواية في قوله: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) (الأعراف:١١) وهي

---

[1] روايات اليهود لجينزبرج ج١، ص ٥٤ -٥٥.

[2] روايات اليهود لجينزبرج ج١، ص١٧٨.

[3] إنجيل برنابا الفصل الخامس والثلاثون.

تشير إلى ما ورد عن ذلك في التلمود، من أن الله بعد أن وهب آدم نفساً حية[1] دعا جميع الملائكة للسجود لآدم... والنصان في هاتين الروايتين متعارضان....

وسجلت سورة طه رواية في قوله: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}١١٥{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى}١١٦{)فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}١١٧{) (طه١١٥ – ١١٧) ويفهم من هذه الرواية أن الأمر بالسجود كان بعد خلق آدم، وكان في الجنة، ويشير نصها إلى ما ورد في التلمود، من أن الأمر للملائكة بالسجود صدر إليهم بعد تفوق آدم عليهم وعلى إبليس في مشهد تسمية الأشياء بمسمياتها، وهذا يتعارض مع الروايات السابقة....

أما قوله: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) (طه:١١٥) فهي إشارة إلى رواية وردت في التلمود تقول بأن الرب قال عند إنصراف آدم من حضرته بعد خطيئته "إنه لمن المؤسف أن آدم ما حافظ على الأمر الذي عهدنا إليه ولو لفترة قصيرة" وتقول المراجع العربية اليهودية: إن آدم نسى الأمر المعطى إليه، و إلى ذلك أشار بقوله: (فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً).

وسجلت سورة الكهف في قوله: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً) (الكهف:٥٠) وهي رواية لا تحدد وقت صدور الأمر للملائكة بالسجود لآدم، وفي ذلك إشارة في الغالب إلى ما ورد في إنجيل برنابا وحينما كان آدم لا يزال كتلة ترابية (راجع الفصل ٣٥ من إنجيل برنابا).

وهناك تعارض وخلافات في سجود الملائكة، وهل كان سجودهم إجماعياً أو سجد فريق منهم ولم يسجد آخرون؟... إن روايات أهل الكتاب المختلفة بهذا الصدد كثيرة سجلتها سور القرآن كما يلي:

سجلت سورة (ص): (فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}٧٣{إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (صّ ٧٣ -٧٤)

---

[1] روايات اليهود لجينزبرج ج١، ص ٦٠ -٦٢.

وسجلت سورة الحجر: (فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ{٣٠{ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ) (الحجر:٣١)

وتقول هذه الرواية: إن الله بعد أن أمر الملائكة بالسجود سجدوا بأجمعهم، ولم يرفض السجود إلا إبليس... وهي بذلك تشير إلى ما ورد في التلمود[1]، من أن الله أمر جميع الملائكة بالسجود لآدم بعد أن أعطاه روحاً حية، وأن إبليس لم يسجد، وبذلك يكونون قد سجدوا جميعاً باستثنائه...

ويذكر التلمود أيضاً أن الملاك ميكائيل طلب إلى إبليس أن يسجد مرة ثانية، بعد أن تفوق آدم عليه وحده[2] في الجنة في مشهد تسمية الأشياء بمسمياتها، كما تفوق على الملائكة بحضور إبليس، وبذلك يكون هناك أمران للسجود لآدم أحدهما خاص بالملائكة وإبليس معاً، وهو ما أشارت إليه رواية سورة الأعراف في قوله: (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) (لأعراف: من الآية١١) والثاني لإبليس وحده، وهو ما أشارت إليه سورة الأعراف ثانية في قوله: (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ)(لأعراف: من الآية١٢) والأمر هنا موجه إليه وحده، وفي ذلك إشارة إلى ما ورد في التلمود عن ذلك كما بيناه قبل قليل من أن الله[3] أعطى فرصة لإبليس لأن يثبت تفوقه على آدم في إختبار أجراه له بعد أن تفوق آدم على الملائكة في اختبار تسمية الأشياء بأسمائها، وأخذ وعداً من إبليس بالسجود لآدم إذا تفوق عليه، ووعده الرب الإله حسب الرواية بأن يعلي مقامه ويدنيه من عرشه إذا تفوق هو على آدم...

وسجلت سورة طه والإسراء والكهف نص رواية واحدة: (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) (طه: من الآية١١٦) دون أن يكون هناك تأكيد بسجودهم كلهم أجمعين كما ورد في روايتي سورتي (ص) و(الحجر)، وهي جميعاً تشير إلى ما ورد بهذا الصدد في المراجع الكتابية التي تختلف على سجود الملائكة، وهل كان إجماعياً أو جزئياً... وكان سجودهم في الجنة، إجماعياً حسب النصوص التلمودية وليس إجماعياً حسب ما ورد في

---

[1] روايات اليهود لجينزبرج ج١، ص ٦٢.

[2] المرجع السابق ص٦٤.

[3] المرجع السابق ص٦٢ -٦٣.

روايات إنجيل برثولوميو وإنجيل برنابا، وبعض روايات تلمودية، وهي تقول بانشقاق فريق من الملائكة مع إبليس وكانوا تحت إمرته.

هذا ويختلف سجود الملائكة باختلاف المشاهد التي يشير إليها القرآن في كتب أهل الكتاب، فهو يشير إلى روايات تلمودية وأبو كريفية، والأولى منها ما تشير إلى آدم بعد خلقه، ومنها ما تشير إلى آدم بعد دخوله الجنة، وأما الثانية فبحسب رواية إنجيل برنابا[1] كان المشهد حينما كان آدم كتلة ترابية، أي قبل خلق آدم، وقد انشق الملائكة إلى فريقين فريق مع الله، وفريق ناصر الشيطان... وبحسب إنجيل برثولوميو[2] لم يكن هناك أمر إلى الملائكة بالسجود لآدم، بل كان الأمر إلى الشيطان، ثم إلى ملائكته أي الفريق الذي يقوده الشيطان فانضموا إليه...

ويذكر التلمود[3] انشقاق الملائكة على الله قبل خلق آدم وحينما كان لا يزال فكرة مما أدى إلى أن أحرق الله فريقين من الملائكة، ثم وافق الملائكة بعد ذلك على خلق آدم، مما أدى إلى نشوء رواية سجودهم كلهم بالإجماع، إذ لم يعد بينهم مخالفون، وإلى هذه الرواية أشارت رواية سورة الحجر، ورواية سورة (ص): (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}٧٣{ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}٧٤{) (ص:٧٣ -٧٤).

وتلك جميعاً روايات متناقضة متهافتة، شملها تعليق القرآن العظيم في قوله تعالى: (مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً) (الكهف:٥١)

٤- عصيان إبليس وما هيته

سجلت سورة (ص) في قوله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ}٧١{ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}٧٢{ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}٧٣{ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}٧٤{ (ص٧١ -٧٤) إن هذه الرواية تجعل إبليس من الملائكة، وتجعله متكبراً عن طاعة أمر

---

[1] الفصل الخامس والثلاثون في انجيل برنابا (طبع القاهرة).

[2] إنجيل برثولوميو من الأناجيل الابوكريفية طبع اكسفورد: ١٧٨

[3] روايات اليهود لجينزبرج ج١، ص٥٣ و٥٤.

الله، وتجعله من الكافرين الذين رفضوا تنفيذ أمر الله. وهي في الغالب تشير إلى الرواية الواردة في إنجيل برنابا[1] على لسان المسيح في قوله: "وهكذا أخطأ الشيطان وآدم بسبب الكبرياء"...

وتشير أيضاً إلى روايات إنجيلَيْ برنابا وحنا الإنجيلي والتلمود، بوجود ملائكة كفروا بربهم في قصة خلق آدم، وأشارت رواية القرآن إليهم بأن إبليس كان منهم في قوله تعالى: (إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (ص:٧٤)

وسجلت سورة الأعراف: (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ)(الأعراف: من الآية١١) دون أن يشار إليه بالكفر أو الفسق كما ورد في روايات قرآنية أخرى.... وهو هنا من الملائكة....

والآية تشير إلى ما ورد عن ذلك في التلمود من أنه رفض السجود لآدم بعد تفوق آدم عليه في الجنة...

وسجلت سورة طه: (فسجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى)(طه: من الآية١١٦) وفي هذه الرواية ما يشعر بتكبره عن السجود... وإبليس هنا من الملائكة أيضاً...

وسجلت سورة الحجر: (فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}٣٠{إِلا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ) (الحجر:٣٠ -٣١) وإبليس في هذه الرواية من الملائكة...

وأوردت سورة الكهف رواية جديدة عن إبليس في قوله: (فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)(الكهف: من الآية٥٠) ويوصف إبليس فيها بالفسق، ويقال عنه بأنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة....

وتتفق أغلب الروايات السابقة، في أن إبليس كان من الملائكة إلا الرواية التي سجلتها سورة الكهف، فذكرت أنه كان من الجن، وبطبيعة الحال لا يمكن أن يكون إبليس كبير الملائكة ويكون من الجن في نفس الوقت لاختلاف مهام الملائكة عن الجن، واختلاف أوصافهم ومميزاتهم ومواد خلقهم التي وضعها أهل الكتاب حسبما تهيأ لهم...

---

[1] انجيل برنابا نهاية الفصل ٤٠.

تشير روايات السور القرآنية ما عدا سورة الكهف إلى روايات التلمود[1] وإنجيل برنابا التي تقول: إن إبليس كان كبير الملائكة، أما رواية سورة الكهف فتشير إلى ما ورد في إنجيل برثولوميو[2] على لسان الشيطان بأن الله خلقه من حفنة من النار، والجن كما هو متداول بين أهل الكتاب خلقوا من نار... ...

والذي أدى إلى هذا الإشكال هو ما ورد في كتب أهل الكتاب من معلومات متناقضة عن المادة التي خلق منها الملائكة والجن، فبينما نجد في الروايات التلمودية أن الشيطان لما كان كبير الملائكة قال للإله في اعتراضه على أمره بالسجود لآدم: "لقد خلقتنا[3] من بهو السكينة (أي من نورك) والآن تطلب إلينا أن نسجد لمن خلقته من تراب" فإننا نجد في نواحي أخرى من التلمود أن الملائكة خلقوا من نهر من نار[4] لا ينضب يشبه نهر الأردن، ويقول كذلك في ناحية أخرى، إن الملائكة خلقوا من نفس العناصر التي خلقت منها السماء فالملاك يحتوي على ٥٠٪ من الماء و٥٠٪ من النار... وفيه روايات تقول إن الملائكة خلقت من عناصر مختلفة، فميكائيل مثلاً خلق من نار، وجبرائيل خلق من ثلج، وفيه عكس ذلك أن ميكائيل خلق من ثلج، وجبرائيل خلق من نار، ولا نهاية لهذه المتناقضات والخلافات...

هذا ويقول إنجيل برنابا على لسان المسيح: إن الشيطان كان بمثابة كاهن ورئيساً للملائكة لما كان عليه من الإدراك العظيم... ويقول الشيطان عن نفسه: بأنه روح ولا يليق بالروح أن تسجد للطين...

وهناك بلبة كبيرة بالنسبة للملائكة ورئيسهم، الذي أصبح شيطاناً بعد عصيانه، إن دلت على شيء، فإنما تدل على خلط ممّن ادعوا العلم بغياً بينهم، فافتروا على الله وعلى أنفسهم وعلى الناس كل هذه الأباطيل، حتى أصبح الشيطان حقيقة

---

[1] راجع روايات اليهود لجنزبرج بالإنجليزية ج١ صفحة ٦٢ حيث يذكر إبليس كبير الملائكة ... وإنجيل برنابا الفصل الخامس والثلاثون.

[2] راجع إنجيل برثولوميو (ص ١٧٥ -١٧٨) من كتاب

The Apocryphal New Testament, Gospel of Bartholomew, Oxford, Clarendon Press 1945.

[3] روايات اليهود لجنزبرج بالإنجليزية صفحة ٦٣.

[4] تلمود ص: ٥١ Everymnn's Talmud page 51

واقعية في العقائد البشرية إذ اعتبر الشيطان لدى اليهود كبير الملائكة في زمانه، وكان له[1] اثنا عشر جناحاً، بينما لم يكن لغيره من الملائكة إلا خمسة أجنحة، وهو مكون أساسي في طبيعة الإنسان، وبدونه ينقرض الجنس البشري، ولذلك يسمح الله له بممارسة نشاطه، ولا يدمره... (راجع تلمود كوهن: ٥٨). وليس للشيطان ذكر في سفر التكوين من التوراة إلا بالإشارة إليه في قصة سقوط آدم بتمثله في الحية.

أما في العقيدة المسيحية، فكان له أكثر من اسم وإشارة، فسمي بالحية، والحية القديمة (في رؤ ١٢ - ٩) وفي ذلك إشارة إلى مكره وخبثه وظهوره أمام آدم وحواء بهيئة حية وإغرائهما بعصيان الله. ويسمونه أبدّون وأبو لّيُّون (رؤيا ٩ -١١) وبعلزبول (مت: ١٠ - ٢٥) وبليعال (٢كو ٦: ١٥)وبليار (برثولوميو) ورئيس هذا العالم (يو ١١ - ٣١)، ورئيس الشياطين (متى ٩ - ٣٤)، ورئيس سلطان الهواء الروح يعمل الآن في أبناء المعصية (أف ٨ - ٤٤)، وإله هذا الدهر (كو ٤)، وإبليس وقتال وكذاب وأبو الكذاب (يو ٨ - ٤٤)، والمشتكي على الأخوة (رؤ ١٢ - ١٠)، وخصم وأسد زائر (ابط ٥ - ٨)، والتنين والحية القديمة (رؤ١٢ - ٩).

ويقول الدكتور بوست في قاموس الكتاب المقدس ج ١ صفحة ٦٥٠ عن الشيطان: إنه كائن حقيقي في العقيدة المسيحية، وهو بحسبها أعلى شأناً من الإنسان، ورئيس رتبة من الأرواح النجسة" أكو ٦ - ٣" ويخبر الكتاب المقدس بطبيعته وصفاته وحاله وكيفية اشتغاله، وأعماله ومقاصده ونجاحه ونصيبه، ويقول: ولنا في شخصيته نفس البراهين التي لنا في الروح القدس والملائكة....

ولقد كان لإبليس في المحيط العربي مكانته، واختلف عليه، ومعظم خلافاتهم ذات مصدر أبو كريفي في الغالب، أو تلمودي، فقيل عنه: إنه كان له سلطان في سماء الدنيا، وسلطان في الأرض، وهذا مستقى من إنجيل برثولوميو، ومنهم من قال: إنه كان يسوس ما بين السماء والأرض، وهذا من نفس المصدر (أي برثولوميو) وقيل إنه كان لإبليس ذرية، وهذا القول موجود في إنجيل حنا الإنجيلي المحرم، وقيل: إنه أبو الجن، كما أن آدم أبو الإنس... وقيل: إن إبليس مخلوق من نار، والملائكة روحانيون، وهذا القول خليط من التلمود والأبو كريفا، وقيل: خلق من النار

---

[1] روايات اليهود لجنزبرج صفحة ٦٣.

وهذا قول إنجيل برثولوميو... وقيل: إن إبليس لم يكن يلي من أمر السماء شيئاً، ولم يكن من الملائكة، وكان من الجن، وكان مع الملائكة، وهذا قول يهودي عربي... وقيل: إن الملائكة كانت تقاتل الجن فسبي إبليس، وكان صغيراً وكان من الملائكة فتعبد معها، ولما أمروا بالسجود سجدوا وأبى إبليس...

وروي أن إبليس كان قبل أن يرتكب المعصية ملكاً من الملائكة أسمه عزازيل، وهذا القول تلمودي... وكان سكان الأرض من الملائكة يسمون الجن، ولم يكن من الملائكة أشد اجتهاداً ولا أكثر علماً منه فلما تكبر على الله، وأبى السجود لآدم وعصاه، لعنه وجعله شيطاناً وسماه إبليس... وهذا القول تلمودي أبو كريفي معاً...وقيل: إن لإبليس خمسة أولاد وهم: ثبر والأعور ومسوط وداسم وزكنبور، وذكر إنجيل برثولوميو من أبناء إبليس سالبسان... (راجع ما ورد من ذلك في مجمع البيان)، (وتفسير الخازن)، (وبدائع الزهور لابن إياس)، و (قصص الأنبياء لأحمد بن إبراهيم النيسابوري)، وبخاصة كتاب (تلبيس إبليس للحافظ أبي الفرج بن الجوزي ص ٣٤ -٣٥).

٥- محاكمة إبليس:

سجلت سورة (ص) في قوله تعالى: **(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ)** (ص:٧٥) وحسب هذه الرواية سأل الله إبليس عن الأسباب التي منعته من السجود لما خلق الله بيديه، وفي ذلك إشارة إلى رواية التلمود التي تدعى بأن جميع الكائنات خلقت (كن فيكون) ما عدا الإنسان، فإن الله صنعه بيده... وهي تشير أيضاً إلى رواية إنجيل برنابا (فصل ٣٥ ص٥٤) التي تقول بأن الله خلق كتلة ترابية، وطلب من إبليس والملائكة أجمعين أن يسجدوا لها فرفضوا، و إلى ذلك إشارة قوله تعالى: **(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)** وذلك إشارة إلى التراب، ولم يقل: لمن خلقت بيدي، لأن آدم لم يكن حياً بعد... وبذلك تشير الآية إلى مرجعين مختلفين معاً، وهذا إعجاز حقاً...

وسجلت سورة الأعراف رواية أخرى في قوله: **(قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ)** (الأعراف: من الآية١٢) ويوحي هذا النص بوجود أمرين للسجود أحدهما كان للملائكة مع إبليس، والثاني: كان لإبليس وحده، بديل قوله: **(إِذْ أَمَرْتُكَ)** والأمــر

هنا له وحده... ولعله يشير إلى الرواية التي تقول بأن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم بعد خلقه، وأن إبليس وحده هو الذي اعترض على ذلك، وطلب أن يدخل في اختبار مع آدم فقبل الرب طلبه، وطلب إليه السجود في حالة تفوق آدم عليه، ووعده بأن يدينه من عرشه إذا هو تفوق على آدم... ولكنه بالرغم من تفوق آدم عليه فإنه رفض الأمر بالسجود لآدم.

وسجلت سورة طه رواية ليس فيها أي سؤال من الله لإبليس عن أسباب عدم سجوده في قوله: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى}١١٦{فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}١١٧{) (طه:١١٦ - ١١٧).

وسجلت سورة الإسراء رواية ليس فيها أي سؤال من الله لإبليس عن أسباب عدم سجوده، وإنما أوردت رأساً جواباً من إبليس لله، ويبين فيه أسباب عدم سجوده، وذلك في قوله: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً}٦١{ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً}٦٢{) (الإسراء ٦١ -٦٢).

وسجلت سورة الحجر في قوله: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ) (الحجر:٣٢) رواية ليس فيها إلا استفسار من الله لإبليس لماذا لم يكن مع الساجدين، مما يمكن أن يستنتج منه أنه كان هناك في القصة فريق من الملائكة، وسجد فريق منهم ولم يسجد الآخر، فالسؤال يتضمن استفساراً من الله يتعجب من إبليس وهو كبير الملائكة، فلماذا كان مع الفريق المنشق، ولم يكن مع الفريق المطيع... وفي هذه الرواية إشارة إلى أكثر من رواية كتابية، فالتلمود وإنجيل برثولوميو، وإنجيل حنا الإنجيلي وإنجيل برنابا، أوردت أخبار انشقاق الملائكة على الله بصورة مختلفة... ولم يكن في كثير منها استجواب من الله لإبليس عن أسباب عدم السجود، ولو أن بعضها أشار إلى أن إبليس أبدى أسباب عصيانه رأساً بعد صدور الأمر إليه بالسجود... وإلى ذلك أشارت رواية سورة الإسراء في قوله: (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً)(الإسراء: من الآية٦١).

وبينت سورة الكهف فقط أن إبليس: (كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)(الكهف: من الآية ٥٠) وبذلك اعتبرته روايتها أنه فاسق، بينما صورته رواية سورة (ص) بأنه من الكافرين، والفاسق مهمل، أما الكافر فعاص مصر على العصيان....

هذا والروايات القرآنية المسجلة التي ليس فيها سؤال من الله لإبليس عن أسباب عدم سجوده، تشير إلى روايات إنجيل برثولوميو، وإنجيل برنابا، التي ليس فيها كذلك مثل هذا الاستجواب... (يرجى الرجوع إلى المدونات من الأناجيل المذكورة)...

٦- جواب إبليس لله:

سجلت سورة (ص) رواية عن إجابة إبليس لله على استجوابه له في قوله تعالى: (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)(الأعراف: من الآية١٢) وتشير هذه الرواية إلى ما ورد عن ذلك في إنجيل برثولوميو[1] على لسان الشيطان، من أن الله خلقه من نار، ولعل هذا هو الأساس الذي انبثقت منه فكرة أن إبليس كان من الجن، لأن المشهور بين أهل الكتاب أنهم خلقوا من نور...

وسجلت سورة الأعراف نفس الرد من إبليس على الله في مشهد مختلف، ولم تسجل سورة طه رواية بصدد رد إبليس على الله، لأنه لا استجواب من الله لإبليس في روايتها.

وسجلت سورة الإسراء رواية أغفلت استجواب الله لإبليس، ولكن ذكرت أن إبليس أجاب الله رأساً بعد عصيانه أمر السجود بقوله: (أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً) وهي تظهر تكبره فقط، وتشير إلى رواية إنجيل برنابا[2] التي يقول إبليس فيها: ليس من العدل أن نسجد لهذه الطينة دون الإشارة إلى المادة التي خلق هو منها... وفيها إشارة كذلك إلى ما ورد في التلمود[3] من أن إبليس قال في رده: "لقد خلقتنا من بهاء السكينة والآن تطلب إلينا أن نسجد لمن خلقت من تراب".

---

(1) The Apocryphal New Testament, Gospel of Bartholomew, p.p. 175-178, Oxford Clarenden Press.

(2) إنجيل برنابا — الفصل الخامس والثلاثون.

(3) روايات اليهود لجنزبرج ج١ صفحة ٦٣.

وسجلت سورة الحجر رد إبليس على استجواب الله له في قوله: (قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) (الحجر:٣٣) ولم يبين شيئاً من اعتزازه بمادة خلقه هو ...وهذا هو الجواب المنتظر في الرواية التي تقول إن الإنسان خلق من صلصال من حمأ مسنون، وهي يهودية عربية، تستقي مصدرها من التلمود[1] الذي ذكر أن التراب كان من ألوان أربعة وزادت في تفاصيلها في الرواية التي ذكرها[2] وهب بن منبه، بأن الملاك أخذ التراب بألوان مختلفة منها الحلو والمالح والمر، ومنها الخبيث والطيب إلى آخر ما ورد في روايته، فالرجاء الرجوع إليه. ولم تسجل سورة الكهف أية رواية من رد لإبليس على الله، لأنه لا يكن في مشهدها أي استجواب من الله لإبليس أو جواب من إبليس لله...

ويؤدي هذا التسجيل لهذه الروايات المختلفة إلى أن نستنتج بأنه كان هناك خلاف كتابي بين أهل الكتاب على حقيقة الدور الذي كان يلعبه الشيطان بين الله والملائكة والإنسان، وعلى تفاصيل قصته كاملة، فمنها ما يشير إلى محاكمة إبليس ومنها ما لا يشير إلى ذلك البتة كما سيمر معنا في القصاص الذي وقع على إبليس.

هذا ولا تذكر التوراة شيئاً من هذه المشاهد، وإنما أشار التلمود في محاكمة إبليس إلى رده على الله في رفضه السجود لآدم بقوله[3]: "لقد خلقتنا من بهاء السكينة والآن تطلب إلينا أن نسجد لمن خلقته من تراب" و إلى هذا الرد أشارت رواية سورة الإسراء... وأشارت رواية إنجيل برثولوميو[4] على لسان الشيطان إلى تكبر الشيطان وقوله: "أنا خلقت من نار وأنا أول ملك خلق فهل أسجد لطين ومادة"....

و إلى هذا أشارت روايتا سورتي (ص) والأعراف....

---

[1] روايات اليهود لجينزبرج ج١، ص٥٢ -٥٤.

[2] تفسير الخازن مجلد أول.

[3] روايات اليهود لجينزبرج ج١، ص٦٣.

[4] إنجيل برثولوميو، ص١٨٧.

٧- طرد إبليس:

سجلت سورة (ص) رواية تقول: (قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ}٧٧{ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ}٧٨{) ويفهم من هذا أن طرد إبليس كان فوراً بعد رفضه السجود لآدم، واعتراضه عليه...

وسجلت سورة الأعراف رواية أخرى في قوله: (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) (الأعراف:١٣) ... وتختلف الروايتان نصاً وتتفقان معنى في أن الطرد كان بعد رفض السجود مباشرة... ويفهم من رواية سورة الأعراف أن الأمر كان بإهباط إبليس، بينما كان الأمر في سورة (ص) بإخراج إبليس من المكان الذي حدث فيه هذا المشهد... ويفهم من رواية سورة (ص) أن لعنة الله حلت على إبليس إلى يوم الدين، ولا يفهم هذا من رواية المشهد المسجل في سورة الأعراف.

أما سورة طه فسجلت رواية لم يكن فيها طرد لإبليس من مملكة السماء، ولا كان إبليس فيها من الكافرين أو الفاسقين، وإنما كان هناك تحذير من الرب الإله لآدم.

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى}١١٦{فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}١١٧{) (طه:١١٦ -١١٧).

وسجلت سورة الإسراء رواية لمشهد ليس فيه طرد لإبليس، ولكن كان هناك تحد من إبليس لله في آدم وذريته في قوله تعالى: (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً) (الإسراء:٦٢).

وسجلت سورة الحجر رواية تشمل طرد إبليس محروماً من رحمة الله، وأن عليه اللعنة إلى يوم الدين، وهو شبيه برواية سورة (ص) وذلك في قوله تعالى: (قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ}٧٧{وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ}٧٨{) (ص:٧٧ -٧٨) ... ولم تسجل سورة الكهف أية رواية عن هذه المشاهد، فمشهدها خاص بإبليس ومن تبعه من الملائكة فقط...

ولم يكن في رواية سورة البقرة أي طرد لإبليس، لعدم سجوده لآدم، ولا أي استجواب من الله لإبليس، ولا رد من إبليس على الله، وإنما يفهم في آخر تسجيل سورة البقرة أن الله طرده مع آدم بعد إغواء آدم وحواء في الجنة.

وتشير تسجيلات القرآن هذه إلى ما يقابل ذلك في مراجع أهل الكتاب، إذ يفهم من النصوص الواردة في التلمود[1] أن الله لم يقذف الشيطان رأساً بعد رفضه السجود لآدم، وإنما أعطاه فرصة اختبار له مع آدم بعد تفوق آدم على الملائكة وسجودهم له، باستثناء إبليس، ولما تفوق آدم عليه في الاختبار المقرر، رفض إبليس السجود، فقذفه الله خارج مملكة السماء، وإلى ذلك أشارت رواية الأعراف: (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) (لأعراف:١٣) وهناك خلاف على مكان الإهباط، فإشارة التلمود تشير إلى الأرض، ويقول إنجيل برثولوميو[2]: إن الله أهبط إبليس رأساً بعد عصيانه إلى الأرض، وأنه مكث أربعين عاماً في حالة إغماء... ويقول إنجيل حنا[3] الإنجيلي: إن الله لم يطرد الشيطان، ولكن غير منظره بسبب تكبره، وأخذ النور منه، وأصبح وجهه كالحديد المحمى، ثم طرد بعيداً عن عرش الله ومن رئاسة السماوات فهبط في جلد السماء.

ويقول إنجيل برنابا[4] على لسان المسيح: إن الله غير شكل الشيطان فأصبح هائلاً مخوف المنظر، وأصبح أتباعه مقبوحين، وطرد الله الشيطان لرفضه السجود...

والتعارض بين هذه الروايات واضح فهو تعارض في أسباب الطرد، إذ ظهر في بعض الروايات أن الطرد كان لعدم السجود لآدم بعد خلقه، أو لكتلة التراب قبل خلقها، وظهر في بعضها أن الله لم يطرد إبليس لذلك، وإنما طرده لإغوائه آدم، وروت بعضها أنباء طرد إبليس من الجنة وعودته إليها، ثم طرد مع آدم، وبذلك كان له طرد لعدم السجود لآدم، وطرد لإغوائه آدم وحواء في الجنة...

هذا وليس لقصة إبليس مكان في التوراة إلا في قصة إغواء آدم، أما تفاصيل القصة فتستقى مصادرها من التلمود والأناجيل المحرمة والقانونية...

---

[1] روايات اليهود لجنزيرج ج١ صفحة ٦٣ و٦٤.

[2] إنجيل برثولوميو صفحة ١٧٨.

[3] إنجيل حنا الإنجيلي – صفحة ١٨٩.

[4] إنجيل برنابا – صفحة ٥٥.

٨- طلب إبليس من الله إنظاره:

سجلت سورة (ص) رواية عن طلب إبليس من الله انظاره في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}٧٩{ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ{}٨٠{ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ{٨١{ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}٨٢{) (ص: ٧٩ -٨٢)

ويفهم من هذه الرواية أن إبليس طلب من الله إنظاره، أي الإبقاء عليه إلى يوم القيامة، فوافق الرب على طلبه، وأنظره إلى يوم الوقت المعلوم، وتشير هذه الرواية إلى رأي كتابي يقول: بأن الله خلق السماوات والأرض في سبعة أيام، مع يوم راحته، وسيكون دوامهما سبعة أيام من أيام الخلق، أي سبعة آلاف سنة، على اعتبار أن يوم الله بألف سنة أرضية، وبذلك فإن طلب إبليس إنظاره هو لسبعة أيام من أيام الخلق، ولقد ورد هذا القول في إنجيل حنا الإنجيلي[1] حيث يقول بأن إبليس طلب إلى الله إنظاره إلى المدة التي رغبوا، أي هو ومن تبعه، وهي سبعة أيام الخلق... ويقول: إن الرب أشفق عليه ووافق على طلبه، وأنظره وأنظر من كان معه من الملائكة المنشقين، ووعد إبليس الرب لقاء ذلك بأن يسدد له هذا العطف خدمات كثيرة، فاستمع إلى ترجمة المشهد على لسان المسيح: "ولقد خاطب الشيطان الأب بعد ذلك قائلاً: أنظرني وسأعوض لك لقاء ذلك... فأشفق الأب عليه وأنظره، وانظر من كان معه طيلة المدة التي رغبوا إلى سبعة أيام (أيام الخلق) وبعد ذلك جلس الشيطان في جلد السماء، وأمر الملاك الموكل بالهواء، وكذلك الملاك الموكل بالمياه ، فرفعا الأرض وظهر أنها جافة، فأخذ تاج الملاك الموكل على المياه، ومن نصفه عمل نور القمر، ومن النصف الآخر عمل نور النجوم... وكذلك حسب أوامر الرب الخفي صنع الرعد والمطر والبرد والثلج، ووكل بعد ذلك ملائكة عليها... وأمر الأرض أن تخرج كل حيوان للتغذية، وكل الزحافات والأشجار والأعشاب، وأمر البحر أن يخرج الأسماك، وكذلك طيور السماء... وفوق ذلك صمم شكل إنسان، وجعله على صورته، وأمر ملاك السماء الثالثة أن يدخل في الجسد الطين وأخذ أيضاً منه، وجعل جسداً آخر في شكل امرأة، وأمر ملاك السماء الثانية أن يدخل في جسدها، ثم أمرهم أن يعملوا اللحم اللازم للأجساد الطين! انتهى كلام المسيح... وبذلك يكون الشيطان حسب هذه الرواية

---

[1] إنجيل حنا الإنجيلي – صفحة ١٨٩.

خالق الإنسان، وخالق الأرض والكائنات الحية وتكون قصة الخلق بما في ذلك جنة آدم من صنع الشيطان بالاتفاق مع الأب الخفي... هل يمكن أن يلتقي هذا التعارض مع التوراة والتلمود والمراجع الكتابية الأخرى؟!

هذا وتشير رواية سورة (ص) إلى أن إبليس أقسم بعزة الله ليغوينيهم أجمعين، إلا عباد الله المخلصين فإنه استثناهم من الإغواء ... (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}٨٢{ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}٨٣{) (ص: ٨٢ -٨٣) إن هذا النص يشمل معاني كثيرة لا يفهمها إلا من أتيح له أن يطلع على تفاصيل الروايات المختلفة ليسبر أغوارها، ويقف على ما تؤدي إليه معانيها...

إذ يفهم من نص التوراة[1] في نهاية الإصحاح الثالث لسفر التكوين، أن الله خاف من آدم بعد أن أصبح واحداً من مملكة السماء عارفاً الخير والشر على حد تعبيره، فخشي الإله أن يمد آدم يده ويأكل من شجرة الحياة، (وهي شجرة الخلد) فأقام الإله عليها حراسة شديدة من الكروبيم (ملائكة من ذوي الجناحين) ولهيب سيف متقد لحراسة طريقها، ولذلك طرده من الجنة إلى الأرض، وطرد معه إبليس.

ويفهم من النصوص الكتابية الأخرى أن الطرد كان لإبليس ومن تبعه من الملائكة... ويفهم من روايات قصة الإنظار وموافقة الله عليه حسب رواية إنجيل حنا الإنجيلي، أن موافقة الله على الإنظار كانت بداعي الشفقة على إبليس، وأن إبليس وعد الرب بتقديم مساعدات له لقاء هذا الإنظار، وأنه قدم المساعدات فعلاً بموافقة الرب، وأن الملائكة كانوا يخدمونه، وبذلك كان هناك شبه اتفاق بين الرب وإبليس، مما يؤدي إلى القول بأن طرد إبليس مع آدم من الجنة كان لمراقبة آدم ونسله من بعده، وحتى لا يفلحوا في أن يصبحوا كالله من حيث الخلود الذي طردهم لأجله من الجنة... وبذلك سيسهل علينا أن نفهم كيف أصبح الشيطان في العقيدة اليهودية

.

[1] "وقال الرب الإله" هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا، عارفاً الخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ويحيا إلى الأبد" .. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها .. فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن: الكروبيم، ولهيب سيف متقد، لحراسة طريق شجرة الحياة" تكوين ٣ -٢٢ إلى ٢٤.

مكوناً أساسياً في طبيعة البشر وبدونه ينقرض الجنس البشري، ولذلك سمح الله للشيطان بأن يكون نشيطاً، ولم يدمره.

أما في العقيدة المسيحية، فاعتبر الشيطان أعلى شأناً من الإنسان، ولهم في شخصيته نفس البراهين التي لهم في شخصية الروح القدس والملائكة، حتى أن إنجيل حنا[1] الإنجيلي جعله هو خالق الأكوان، وخالق آدم وحواء، وهو خالق الجنة التي أدخل إليها آدم وحواء، وهو الذي حرم عليهما الأكل من الشجرة، وهو الذي طردهما من الجنة، وكان كل ذلك حسب أوامر الأب الخفي؟؟!

هذا ويفهم من صيغة القسم المدون في سورة (ص) (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) وعداً بالإغواء، وليس تهديداً لله، والغواية هنا تشمل ذرية الإنسان إن كانت وعداً، وتشمل الملائكة إن كانت وعيداً من إبليس، لأن نصوص المشهد في كتب أهل الكتاب تؤدي إلى أكثر من مفهوم واحد للمشهد، فالتلمود مثلاً يبين أن إبليس أغوى فريقاً كبيراً من الملائكة، وتبعه وأنشق على الإله... ويؤيد التلمود رواية سجلها مؤلف إنجيل برنابا، تبين عنف ثورة الملائكة على الله (راجع الفصل التاسع والثلاثين من إنجيل برنابا).

ولعل إبليس يشير في استثنائه من الإغواء إلى الملائكة الذين بقوا على ولائهم لله بقيادة الملاك رافائيل، وإلى الملكين[2] الكبيرين ميكائيل وجبرائيل، ولعله يشير إلى الأنبياء والمصلحين من ذرية آدم.... والمعنى في بطن المؤلف.

ولقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن التهديد بالإغواء كان لبني آدم من بعده، ونحن نستبعد ذلك، لأن الموضوع المسجل في سورة (ص) يكاد يكون خاصاً بخلاف الملأ الأعلى على خلق آدم، وكان ذلك بين الله والملائكة....

وتشير رواية سورة (ص) في آخرها في قوله تعالى: (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ}٨٤{ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ}٨٥{) إلى قول المسيح بنصه في إنجيل

---

[1] إنجيل حنا الإنجيلي، صفحة ١٨٩.

[2] روايات اليهود لجنزيرج ج١ صفحة ٥٣ -٥٤.

يوحنا ٨ -٥١ "الحق والحق أقول لكم" وكان المسيح يؤنب اليهود بقوله:" أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا" والقرآن يشير بذلك إلى أن اليهود هم أتباع الشيطان، ويشير أيضاً إلى وعد الرب بأن يملأ جهنم من إبليس ومن أتباعه من الملائكة وغيرهم، المشار إليه في إنجيل متى ٢٥ -٤١ ونصه:" اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته". وهكذا تشير آية واحدة في رواية سورة (ص) إلى ثلاثة مراجع إنجيلية معاً.

وتشمل نصين متعارضين متتابعين وهما: (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}٨٢{ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}٨٣{) (ص: ٨٢ -٨٣) وهذا قول إبليس لله شكراً له على انظاره، ومبيناً نوع الخدمة التي سيقدمها للرب... ثم القول المتعارض مع هذا حيث يقول: (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ}٨٤{ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ}٨٥{) وهو المأخوذ من قول المسيح في إنجيل يوحنا "قال فالحق والحق أقول" وفي إنجيل متى "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته".

وكما يلاحظ هناك تناقض واضح، فقسم إبليس بعزة الله ووعده، يتعارض مع العذاب المعد لإبليس في قول المسيح... والقصة بأسرها متعارضة.

وسجلت سورة الأعراف رواية تختلف عن رواية سورة (ص) في قوله تعالى:

(قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}١٤{ قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ}١٥{ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ}١٦{ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}١٧{ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ}١٨{) (الأعراف ١٤ -١٨)

وتختلف هذه الرواية عن رواية سورة (ص) بالأسلوب التهديدي لإبليس بسبب غواية الله له، أي تغيير سحنته من المسحة الملائكية إلى الوصف المعطى عن ذلك في رواية إنجيل برنابا وإنجيل حنا الإنجيلي، وبأنه سيقعد لذرية آدم في طريق دينهم المستقيم لإفساد ما صنع الله بخلق الإنسان، وبينت الرواية طرق عمل إبليس مع بني الإنسان، حتى لا يجد الله له في النهاية بينهم من يشكره على صنيعه، وينتهي المشهد بطرد إبليس محقراً ومهزوماً مع وعد الرب بإدخاله ومن تبعه إلى جهنم كما مر معنا في رواية سورة (ص) التي تشير إلى ما ورد عن ذلك في إنجيل متى... هذا وتشير رواية سورة

الأعراف إلى الرواية التي ذكرها إنجيل برنابا[1] عن نفس المشهد، والتي هدد إبليس فيها بإبطال كل ما فعله الرب بقوله:" يا رب إنك جعلتني قبيحاً ظلماً (فيما أغويتني) ولكني راض بذلك، لأني أروم أن أبطل كل ما فعلت" وفي نهاية هذه الرواية يطرد الرب إبليس بقوله: " انصرف عني أيها اللعين من حضرتي"...

وسجلت سورة الأعراف أيضاً رواية أخرى، تبين أن إبليس بعد طرده لعدم سجوده لآدم عاد ودخل الجنة بعد أن أسكن الله آدم وزوجه فيها، وأنه تسبب في إخراجهما من الجنة بعد طرده منها، وفي هذا تناقض... فالتوراة ذكرت أن الحية هي التي أغرت حواء وآدم حتى طردا من الجنة ... والتلمود يقول: إن إبليس دخل الجنة بوساطة الحية، وهناك روايات تقول: انه دخلها بوساطة الطاووس[2].

فكيف دخلها إن كان أهبط إلى الأرض وطرد من ملكوت السماوات، لا شك في أن المؤلف أو مؤلفي هذه القصص، وراوي الروايات يظهرون إبليس أقدر من الله، لأن الله عجز عن منعه من العودة إلى مملكة السماء، ودخول الجنة، اللهم إلا إذا أرادوا إظهار أن دخول جنة الله أيضاً ممكن بإرادة الله، على أن يكون بالمكر والخديعة كما فعل إبليس إذ أغرى حارس الجنة على تهريبه في جوفه، وبذلك دخل الجنة، وتلك لعمري صورة منكرة لفساد مملكة السماء، وفشل الإله في إدارتها، إذ انشق عليه الملائكة وتهكموا عليه، وأعلنوا عصيانهم بشكل وقح، وانتصر إبليس عليه انتصاراً كبيراً إذ جعله يفشل في هدفه الذي توخاه من خلق آدم ليعمر الجنة، إذ

---

[1] إنجيل برنابا — صفحة: ٥٥.

[2] ورد في العقائد اليزيدية أن اليزيدي ينظر إلى الشيطان كعامل كبير في خلقه الكائنات مع الله جل شأنه، وأنه ملاك قديم ساقط أعيد بعد سقوطه ... ويعتقد أنه خالق الشر وسببه، ولهذا يتحاشى اليزيدية ذكر اسمه ويمثلونه بالطاووس والملك الطاووس، الملك هذا هو القوة العليا عند اليزيدية، بل هو جوهر عقائدهم ويقولون في أصله: أن رب العالمين غضب يوماً على الطاووس الملك ونفاه من الجنة وهو اليوم خارج عنها ولكن في آخر يوم الدين يتصالح معه رب العالمين، فيرجع إلى عليين على ما كان عليه في بدء الخلق ماشياً على صراط الحق المبين، ومن حوله جماعة من الملائكة والأولياء والقديسين يعظمون قدره، ويمتثلون أمره (راجع كتاب اليزيدية أو عبدة الشيطان لمؤلفه عبد القادر الحسيني صفحة ١٠ و١١ طبع بغداد ١٩٢٩) وتجد في هذه العقيدة آثاراً مما ورد في إنجيل حنا الإنجيلي صفحة ١٨٩.

عصاه آدم بدوره فكأنه يقول لله: إن هذا الذي أردتنا أن نسجد له لاعتبارك إياه أفضل منا، لم يكن كذلك، فكان سبب عصياننا لك، وقد عصاك هو بدوره مما أدى إلى طرده كما طردتنا....

وتبدوا القصة بأسرها خيالاً يهودياً سقيماً أظهر أن مملكة السماء فاشلة في كل شيء.

وسجلت سورة طه رواية في قوله: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى}١١٦{فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}١١٧{) (طه:١١٦ -١١٧).

وليس في هذه الرواية أي طرد لإبليس لعدم سجوده لآدم، وإنما فيها تحذير من الرب لآدم حتى لا يتسبب إبليس في طرده من الجنة ... وفي نهاية التسجيل: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)(طه: من الآية١٢٣) وكان هناك طرد للجميع، والغالب أن هذا يشمل آدم وحواء وإبليس، ومن كان معه من الملائكة.

وسجلت سورة الإسراء في قوله تعالى: (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً}٦٢{ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُوراً}٦٣{ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً}٦٤{ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً}٦٥{) (الإسراء ٦٢ -٦٥).

وتقول هذه الرواية: إن إبليس لم يستجوب من الله، ولكنه بعد رفضه السجود قال لله بأنه سيستأصل ذرية آدم، واستثنى عدداً قليلاً، وأن الله أطلق يده فيهم، وتوعده بأن جزاءه وجزاء من يتبعه موفور، وأشار الإله حسب هذه الرواية إلى ما فعل مع آدم قبل خلقه، وبعد خلقه في الرواية التي سجلها إنجيل برنابا[1]، من أن إبليس أثار الخيل التي كانت ترعى قريباً من كتلة التراب التي جبل منها آدم لترهصها بأقدامها، وتفسدها، مما اضطر الإله بعد ذلك إلى خلق الكلاب منها (أي الكتلة) لتطرد الخيل فطردتها، تأمل قوله: (وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ)(الإسراء: من الآية٦٤).

---

[1] إنجيل برنابا – صفحة ٦٠ -٦١.

وتحدى الإله إبليس أيضاً، بأن يجلب على بني آدم بصوته، وذلك إشارة إلى ما ذكرته رواية إنجيل حنا[1] الإنجيلي من أن إبليس غرس قصبة في الجنة، وعمل منها مزماراً أغرى بوساطته حواء وآدم على عصيان الرب، تأمل قوله: (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ[2] وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ) (الإسراء: من الآية٦٤) ... وتحدى الإله إبليس أيضاً بأن يشارك بني آدم في أموالهم وأولادهم، إشارة إلى ما كان يذيعه أهل الكتاب عن ممكنات أن يتزوج الشيطان من نساء الناس، ويشاركهم في أموالهم وأولادهم، وطلب إليه أن يعدهم أي يمنيهم ما يشاء، وقال الرب له إن عباده ليس له عليهم سلطان، لأن الله موكل عليهم وحافظهم منه ومن أحابيله، ولقد بينا أثناء شرح هذا التسجيل القرآني أن الرواية القرآنية تشير في معظمها إلى إنجيل برنابا المدونة في الفصل التاسع والثلاثين منه وإلى رواية إنجيل حنا الإنجيلي وهي بذلك تشير إلى أكثر من مرجع كتابي في آن واحد، وفي هذا إعجاز عجيب...

وسجلت سورة الحجر رواية في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}٣٦{ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ}٣٧{ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ}٣٨{ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}٣٩{)إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}٤٠{ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ}٤١{ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}٤٢{ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ}٤٣{) (الحجر ٣٦ -٤٣).

إن هذه الرواية قريبة من رواية سورة (ص) إلا في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}٣٩{إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (الحجر:٣٩ -٤٠). فهي هنا تشير إلى إغواء الرب لإبليس بتغيير سحنته، بينما في سورة (ص) يقسم إبليس بعزة الرب، وهذا اختلاف طفيف في الرواية، إلاّ أن ما يلفت النظر في آخر التسجيل في رواية سورة الحجر قوله: (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ) (الحجر:٤٣) ولم يقل لموعدكم أجمعين، مما يدل على استثناء إبليس من عذاب النار ويؤيد وجهة نظرنا التي بيناها في شرحنا لرواية سورة (ص) مع الروايات المقابلة من اتفاق إبليس مع الله على الإنسان....

---

[1] إنجيل حنا الإنجيلي – صفحة ١٨٩.

[2] أي بمزمارك.

ويلفت النظر أيضاً قول إبليس: "لأزينن لهم في الأرض" ويمكن أن يفهم منها وعد من إبليس لله بتكريه بني الإنسان في مملكة السماء، وبتحبيب العيش في الأرض، وبذلك يزيد اطمئنان الرب على مملكته من الإنسان... ولقد أدّى اختلاف أهل الكتاب على الدور الذي يلعبه الشيطان، إلى اعتبار الشيطان ملك الموت، على اعتبار أنه سبب خطيئة آدم التي أدت إلى موته، ولذلك وكله الإله بقبض أرواح العباد، وأعتبر أيضاً ملاك النار وحارسها، وكل ذلك بغي على العلم وإمعان في الضلال من مروجي هذه الأخبار...

واختتمت سورة الكهف جميع هذه المشاهد، وهي آخر التسجيلات المكية بتسجيل ثورة الملائكة على الله في خلق آدم، وانشقاقهم عليه في رواية تقول: بأن الله قال للملائكة (**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً**)(الكهف: من الآية ٥٠) ثم علقت سورة الكهف على آخر هذه التسجيلات تعليقاً رائعاً ينفيها بأسرها في قوله: (**مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً**) (الكهف:٥١) صدق الله العظيم.

وحباً في زيادة إطلاع القارئ على تفاصيل خلافات أهل الكتاب على محاورة إبليس نقول: ... لم تذكر التوراة من المشاهد شيئاً وإنما ذكر التلمود أن إبليس لما رفض السجود لآدم، وهُدد بغضب الله عليه، هَدد بدوره أيضاً بأنه سيجعل عرشه[1] فوق نجوم الله .. وسيصبح عالياً مثله.

وذكر إنجيل[2] حنا الإنجيلي، موضوع طلب إبليس إنظاره إلى المدة التي طلبها هو وأتباعه، وهي سبعة أيام الخلق، أي ما يعادل سبعة آلاف سنة، فوافق الرب على طلبه شفقة عليه، وأنظره المدة المطلوبة، ووعد إبليس الرب بأن يقدم له خدمات نظير هذه الموافقة، وذكر إنجيل حنا الإنجيلي أيضاً غواية الله لإبليس على لسان المسيح، الذي قال: بأن أباه – أي الله – غير منظره لتكبره، وأخذ النور منه، وصار وجهه

---

[1] إنجيل برثولوميو ص١٧٨.

[2] إنجيل حنا الإنجيلي صفحة ١٨٩، ويقول المجوس: بأن الله اتفق مع إبليس على أن يكون إبليس وجنوده في الدنيا سبعة آلاف سنة (راجع كتاب تلبيس إبليس للحافظ أبي فرج عبد الرحمن بن الجوزي – صفحة ٨٢).

كالحديد المحمى، وأصبح وجهه شبه إنسان تماماً .. ويذكر هذا الإنجيل أيضاً أن الإنظار كان بعد أن طرد إبليس بعيداً عن عرش الله، ومن رئاسة السموات، وبعد أن هبط في جلد السماء.

وذكر انجيل برنابا[1] على لسان المسيح أيضاً أن الشيطان كان عصيانه قبل خلق آدم وأن الله غير شكله فأصبح هائلاً مخوف النظر، وأصبح أتباعه مقبوحين، لأن الله أزال بسبب عصيانهم الجمال الذي جملهم به لما خلقهم، وأن الشيطان قال حينئذ لله: يا رب إنك جعلتني قبيحاً ظلماً ولكني راضٍ بذلك لأني أروم أن أبطل كل ما فعلت .. وقال الشياطين الآخرون لإبليس "لا تدعه رباً يا كوكب الصبح لأنك أنت الرب".

ويفهم من تهديد إبليس بإبطال كل ما فعل الرب بالحيلولة دون خلق آدم، أن هذا المشهد كان بعد خلق كتلة التراب التي خلق منها آدم ... ويقول إنجيل برنابا[2]: إن الشيطان بعد ذلك أثار الخيل التي كانت تأكل العشب قريباً من أبواب الجنة، لتدهس بحوافرها كتلة التراب قبل أن يصير لها نفس حي فتقضي عليها، ولذلك خلق الله الكلاب من مقطع نجس أخذه من كتلة التراب، وكان إبليس نجّسه بأن بصق عليه، فأخذت الكلاب تطارد الخيل، وإلى ذلك أشار قول رواية القرآن (**وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ**) (الاسراء: من الآية٦٤).

وأشارت سورة الإسراء أيضاً إلى استعمال إبليس صوته في الغناء بصوت ثعبان في غواية الإنسان الوارد في إنجيل حنا الإنجيلي في قوله (**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ**)(الإسراء: من الآية٦٤).

وأشارت أيضاً إلى مشاركة إبليس للناس في أموالهم وأولادهم، إلى ما ورد في إنجيل برنابا[3] بأن الله نادى الشيطان فأتى ضاحكاً فقال: "لأنك أيها الرجيم خدعت هذين، أي آدم وحواء، وصيرتهما نجسين أريد أن تدخل في فمك كل نجاسة فيهما وفي

---

[1] إنجيل برنابا – صفحة ٥٤ -٥٥.

[2] إنجيل برنابا – صفحة ٦٠ -٦١.

[3] إنجيل برنابا – صفحة ٦٥.

كل أولادهما متى تابوا عنها وعبدوني حقاً، فخرجت منهم فتصير مكتظاً بنجاسة".
وهكذا جمعت رواية قرآنية في آية واحدة ثلاثة مراجع كتابية بإيجاز معجز حقاً...

٩- آدم في الجنة:

أشارت سورة (الحجر) إشارة يفهم منها أن الله استشار الملائكة، أو أخبرهم عن خلق آدم في قوله: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}٢٨{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}٢٩{) (الحجر:٢٨ - ٢٩)

وأشارت رواية سورة (ص) إلى ذلك بنفس المعنى تقريباً، مع فارق بسيط، هو أن الله خالق بشراً من طين، وذلك في قوله: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ}٧١{ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}٧٢{) (ص٧١ -٧٢).

وأعطت سورة البقرة صورة ملخصة لما حدث في جلسة إلهية قبل خلق آدم، ورواها التلمود في أكثر من صورة لاستشارة الله للملائكة في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}٣٠{ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}٣١{ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}٣٢{ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ}٣٣{) (البقرة ٣٠ -٣٣)

ولقد كانت رواية سورة البقرة تسجيلاً ملخصاً لأكثر من موضوع واحد من مواضيع خلاف أهل الكتاب على خلق آدم، كما سنبينه فيما يلي:

الجلسة الإلهية

ورد في التلمود[1] في أكثر من مرجع، أنه كان لله مجلس استشاري من ملائكة السرافيم، وأن الله استشار[2] الأرض (وليس أهلها) والسماوات، وهذا المجلس في خلق الإنسان، ولم يكن المجلس من رأي واحد، إذ أيد ملاك الحب خلقه، وعارضه ملاك الحق، ثم أيده ملاك العدل.

وعارضه ملاك السلام... فأهبط الإله ملاك الحق من السماء إلى الأرض، واعترض الملائكة على هذا الإجراء مع ملاك الحق، فقال الإله: "سيتفجر الحق مرة ثانية من الأرض"... وتقول رواية التلمود: لو علم الملائكة كل الحقائق عن خلق الإنسان لكانت معارضتهم لله أشد، ولكن الله أخبرهم فقط عن الأتقياء من بني الإنسان، ولم يخبرهم عن الشريرين... وبالرغم من وقوفهم على نصف الحقيقة عن الإنسان، فإنهم عارضوا في خلقه، وتهكموا على الله، وقالوا له: ما هذا الإنسان الذي تفكر فيه كثيراً[3]...

فاستدعى الإله فرقة من الملائكة كان يقودها الملاك ميكائيل، فسألهم عن رأيهم في خلق الإنسان، فاعترضوا عليه بتهكم، فمد الإله خنصره نحوهم فأحرقهم جميعاً، أما الملاك ميكائيل فلم يحرقه... ثم دعا الإله فريقاً آخر كان يقوده الملاك جبرائيل، وسألهم عن رأيهم في خلق الإنسان، فعارضوه أيضاً فأحرقهم، أما الملاك جبرائيل فلم يحرقه...ثم دعا الإله فريقاً ثالثاً كان بقيادة الملاك لابيل، فاتعظوا بما حل قبلهم وقالوا: " يا إله العالم إنه لحسن تفكيرك بخلق الإنسان، فاخلقه حسب إرادتك، وسنكون له مرافقين ووزراء، ونطلعه على جميع أسرارنا" فاعتبر الإله أن الملاك لابيل خلص ملائكته من هول شديد، فغير اسمه إلى رافائيل أي المخلص...

---

[1] Every man's Talmud, by A. Cohen P.33. ومنه يفهم أن المجلس الاستشاري مكون من أوفانيم وسيرافيم والكيوت (الشيوط). أما أوفانيم فمعناها (عجلة دولاب)، أما الكيوت (أو الشيوط) فمعناها كائنات حية، والسيرافيم ملائكة بأجنحة نصف أجسامهم إنساني والآخر حيواني.

[2] روايات اليهود لجينزبرغ، ج١، ص٥٢.

[3] ذكرت إحدى روايات التلمود من أسماء الملائكة المعارضين لخلق آدم عزازيل وشمهازاي (راجع روايات اليهود لجنزبرج ج١ صفحة ١٤٨).

وهناك رواية أخرى في التلمود[1] نقلها بولانو وترجمتها كما يلي:

حينما أوشك الإله أن يخلق الإنسان، اجتمع الملائكة حوله وقال بعضهم بتعجب: "أخلق أيها الإله مخلوقاً يسبح بحمدك في الأرض كما نسبح نحن في السماء بحمدك"... إلا أن فريقاً آخر من الملائكة قال: "استمع إلينا أيها الملك القوي، ولا تخلق أحداً لأن الإنسجام المتوائم الموجود في السماء إذا أرسلته إلى الأرض سيضطرب ويخرب بوساطة الإنسان".

ثم حلت السكينة على الفريقين المختلفين حينما ظهر ملاك الرحمة قبل عرش الحظوة راكعاً على ركبتيه وكان الصوت الذي تكلم به حلواً حيث قال: "أيها الأب إخلق الإنسان، اجعله شبيهاً بصورتك، وسأملأ قلبه شفقة سماوية، وسيجدون الطريق للتسبيح بحمدك..." ثم سكت ملاك الرحمة وتكلم ملاك السلام بعيون دامعة قائلاً: "أيها الإله لا تخلقه فسيعكر سلامك، وسيل الدم سيعقب مجيئه... الهلع والفوضى والحرب ستبقّع الأرض، وسوف لا تجد لك بعد ذلك أي مكان بهيج بين ما صنعته على الأرض".

ثم تكلم ملاك العدل بصوت جاف فقال: وستعارضه يا رب، وسيكون خاضعاً لسلطتي"...

ثم اقترب ملاك الحق وقال:" لا تفعل يا إله الحق مع الإنسان... فإنك ترسل الكذب إلى الأرض" ثم صمتوا جميعاً وخرجت الكلمات الإلهية من بين الهدوء العميق: "أنت أيها الحق سوف تذهب معه إلى الأرض... وبنفس الوقت تحتفظ بطابع السماء، وتظل متداولاً بين الأرض والسماء وصلة وصل بينهما".

وهناك رواية ثالثة تقول: بأن الله أخبر الملائكة بأن ذرية آدم ستفسد في الأرض، وستسيل فيها الدماء، فقال الملائكة للرب: "أتجعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء" وهي رواية يهودية عربية.

والتعارض في الروايات الثلاث واضح، في أن الرواية الأولى جعلت الله صاحب فكرة خلق الإنسان، ولذلك عرضها على المجلس الاستشاري، أما الرواية الثانية

---

[1] راجع كتاب مقتطفات من التلمود لبولانو ص ٣٢٩ -٣٣٠ والنص الإنجليزي.

The Talmud, Polano's Translation, P329-330 Frederick warne & Co. London & New York.

فصاحب الفكرة هم الملائكة وليس الله... وفي الرواية الثالثة أن الملائكة هم الذين أوضحوا للإله بأن الإنسان سيسيل الدماء في الأرض، ويكثر الفساد، فاعتراضهم على الله اعتراض تجهيل له وتحذير من سوء عاقبة عمله، وهذه الرواية تأتلف مع الرواية التي تقول: بأن الله أخفى عن الملائكة كل شيء عن حياة الأشرار من بني الإنسان... أما الرواية الثالثة فهي تتعارض مع الأخيرة في أن الله أخبر الملائكة بأخلاق الشريرين أيضاً بعكس ما تدعيه رواية التلمود من أنه أطلعهم فقط على حياة الأتقياء من بني الإنسان...

هذا والرواية التي أظهرت الملائكة بمظهر المجهل للإله حسب خيال مؤلف القصة، وجعلت المؤلف يظهر الإله بمظهر الآخذ بثأره من الملائكة حيث جهلهم في مشهد تسمية المخلوقات أو الأشياء بمسمياتها، فجعل الإله يعلم آدم أسماء الأشياء التي خلقها، فلما عرضها على الملائكة بحضور آدم، طلب إليهم إعطاء أسمائها فما استطاعوا، وثأر لنفسه منهم، وأظهر تفوق آدم عليهم.

وليس في التوراة ذكر لهذه القصة، إنما هي من قصص التلمود المتعارض.

أما مشهد تسمية الأشياء من قبل آدم بناء على طلب الرب، بحضور الملائكة كما سجلته سورة البقرة... فالكتاب المقدس (التوراة)[1] يقول: بأن آدم سمى المخلوقات وحده، ولم يكن الملائكة حاضرين.

أما التلمود فيذكر أن الله بعد خلق آدم أوحى إليه بتاريخ الدنيا والبشرية في حياته ومن بعده، وأطلعه عليه بالتفصيل، ولما كان عمر آدم ساعة واحدة جمع الإله جميع مملكة الحيوان في حضرته ثم دعا الملائكة[2] للحضور إليه فحضروا، فطلب إليهم أن يسموا الأنواع المختلفة بأسمائها فعجزوا عن ذلك... فقال آدم: يا سيد العالم إن الاسم الصحيح لهذا الحيوان هو ثور، وذلك الحيوان هو حصان، وذلك أسد، وذلك جمل، وسماهم بالتتابع، ثم سأله الإله عن اسمه ما يكون فقال: آدم، لأنني خلقت من أديم الأرض... ويقول التلمود: لولا هبة الله بالروح القدس لآدم لما استطاع تسمية الأشياء...

---

[1] سفر التكوين، ٢: ١٩ -٢١.

[2] ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾(البقرة: من الآية٣١).

ودعا الله[1] جميع الملائكة للسجود لآدم، فرفض الشيطان السجود (ويفهم من هذا أن جميع الملائكة سجدوا لآدم ما عدا إبليس)...

ويفهم من التلمود أن تسمية آدم للمخلوقات كانت خارج الجنة، وذلك عكس ما ورد في الإصحاح الثاني من سفر التكوين في التوراة، ويفهم أيضاً أن الله دخل الجنة بعد ذلك، وأدخل الرب إبليس وآدم معه إلى الجنة، بعد[2] أن طلب إبليس من الله أن يجري له اختباراً مع آدم، فوافق الرب الإله على طلبه، ووعده الرب بأن يدنيه في مرتبته من عرشه فيجعله تالياً للسكينة، ووعد آدم في حالة تفوقه على إبليس أن يسمح له بعمل الجنة والبقاء فيها، ووعد إبليس الرب بأن يسجد لآدم إذا انتصر آدم، ولكنه لم يبر بوعده بعد انتصار آدم عليه بل أصر على عصيانه هو وفريق الملائكة الذين كانوا تحت إمرته...

ويقول التلمود في سرده لاختبار آدم والملائكة، إن إبليس كان حاضراً هذا الاختبار وأن من بين المخلوقات التي سماها آدم كان: ثور وحصان وأسد وجمل، والظاهر أن مؤلف القصة نسي أن إبليس كان حاضراً المشهد، إذ جعله يعجز عن تسمية الثور والجمل في الاختبار، مع أن آدم كان قد سماها بحضوره، فأظهر المؤلف إبليس بمظهر الغباء القبيح، مع أنه حاول طيلة القصة أن يظهره بمظهر الذكي اللامع.

انتهى الشق الأول من اختصام الملأ الأعلى في خلق الإنسان كما أخرجه مؤلفوه في المراجع الكتابية المختلفة، سجله القرآن بكل خلافاته، وبين موقف الفكر الإسلامي منه في سورة (ص) وأعلن من البداية نفيه بصورة لاذعة وقاطعة في قوله تعالى: **{قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ}٦٧{أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ}٦٨{مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ}٦٩{إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ}٧٠{}** (صّ:٦٧ -٧٠) ...والنذير المبين هنا هو الرسول الكريم، فهو نذير للمضلين مبين لضلالهم مدلل عليه....

---

[1] (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) (صّ:٧٣).

[2] روايات اليهود لجنزبرج ج١ صفحة ٦٣.

١٠- آدم وحواء في الجنة:

سجلت سورة الأعراف رواية في قوله: (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأعراف:١٩)

ويفهم منها أن أمراً أعطي لإسكان آدم وحواء في الجنة، التي عملت لهما، وسمح لهما بالأكل من حيث أرادا، وحرم عليهما الأكل من شجرة واحدة، وأنهما إذا اقتربا منها فسيكونان من الظالمين لأنفسهما، لأنهما يؤذيان أنفسهما... وتشير هذه الرواية إلى ما ذكره إنجيل حنا[1] الإنجيلي من أن الشيطان هو الذي أسكن آدم وحواء الجنة، وهو الذي حرم عليهما الأكل من الشجرة... وتختلف رواية حنا الإنجيلي مع رواية إنجيل برنابا[2] التي تقول، إن الذي أسكن آدم وحواء الجنة هو الله، ويؤيد هذه الرواية التلمود[3]... حيث يذكر أن آدم وحواء كانا في الجنة معاً في مشهد تسمية الأشياء بمسمياتها... فإلى رواية إنجيل برنابا أشارت رواية سورة البقرة في قوله تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)(البقرة: من الآية٣٥)، وقوله تعالى: (وَقُلْنَا) إشارة إلى قول المرجع الكتابي أن الله هو الذي قال، ولما كانت الرواية على لسان الله اقتضى أن يكون النص "وقلنا" أي حسب الرواية الكتابية....

وتقول رواية التوراة، وكذلك رواية إنجيل برنابا المدونة في الفصل التاسع والثلاثين منه: إن الذي أدخل آدم وحواء الجنة هو الرب الإله، وهو الذي حرم عليهما الأكل من شجرة معرفة الخير والشر...

أما ما ورد في رواية سورة الأعراف م قوله: (وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)(الأعراف: من الآية١٩) فهي تشير إلى الروايات المختلفة على الشجرة المحرمة، وهي كثيرة جداً، ولذلك لم تذكر رواية سورة الأعراف عن الشجرة إلا قوله: (هَذِهِ الشَّجَرَةَ) دون إعطاء تفاصيل عنها، لأنها تسجل الخلاف عليها فقط، وتشير إليها كموضوع من مواضيع الخلاف....

---

[1] إنجيل حنا الإنجيلي ص١٨٩.

[2] إنجيل برنابا صفحة ٦١

[3] روايات اليهود لجينزبرج ج١، ص٦٣.

والخلاف بين أهل الكتاب ليس محصوراً في الشجرة المحرمة، بل يشمل الجنة التي غرست فيها... فالتوراة تذكر أن الذي عمل الجنة هو الله، بينما كما بينا سابقاً ينفي إنجيل حنا الإنجيلي ذلك ويقول: بأن الشيطان هو الذي عمل الجنة... ولا يمكن أن يلتقي الاختلاف...

١١- الشجرة المحرمة:

أما الشجرة المحرمة التي لم تعينها رواية سورة الأعراف فتقول التوراة[١]: انها شجرة معرفة الخير والشر... ويقول التلمود: انها شجرة معرفة الخير والشر، ولكنه في مشهد تعرية آدم يقول: انها شجرة التين[٢]... ويقول إنجيل برنابا[٣] إن الذي حرم كان شجرتين إحداهما شجرة التفاح، و الأخرى شجرة حنطة... وهناك رواية أخرى تقول: انها شجرة الحنطة فقط، وكانت إحدى أشجار الجنة، وكانت ذات سنابل ضخمة، وكانت حبة الحنطة في سنبلتها قدر رأس البعير.. وقيل انها شجرة التفاح فقط، وقيل أنها شجرة الموز، وقيل إنها شجرة الكاسيا... وقيل إنها شجرة الكرمة أسكرت[٤] آدم فعصى ربه.

ويفهم من وصف التلمود لشجرة معرفة الخير والشر، أنها كانت شبه سياج لشجر الحياة[٥]، وبذلك لا يصح أن تكون شجرة التين، ولا شجرة تفاح، إلا أن يكون تين الجنة وتفاحها مما يصلح لهذا الغرض. ويقول التلمود أيضاً بأن شجرة الحياة كانت من الضخامة بحيث أن سمكها كان يعدل مسافة يقطعها الماشي في ظلها في خمسمائة عام...

ولا تختلف الرواية التي سجلتها سورة البقرة كثيراً عن رواية سورة الأعراف، إلا في قوله: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا

---

[١] الإصحاح الثاني من سفر التكوين ١٧.

[٢] روايات اليهود لجنزيرج ج١ صفحة ٧٥.

[٣] إنجيل برنابا صفحة ٦١.

[٤] روايات اليهود لجنزيرج ج١ صفحة ١٦٨.

[٥] روايات اليهود لجنزيرج ج١ صفحة ٧٠.

تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (البقرة:٣٥) أما نص رواية الأعراف فيقول: (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأعراف:١٩).

والخلاف بين النصين طفيف جداً بحيث يخفي على أكثر الباحثين فطنة، إلا أن يكون ملماً بكافة تفاصيل الروايات المختلفة، يقف على المقصود وسنشرح المقصود فيما يلي تسهيلاً لفهم القارئ.

إن المخاطب لآدم في سورة الأعراف مجهول أما في سورة البقرة (وَقُلْنَا يَا آدَمُ)(البقرة: من الآية٣٥) فالمخاطب هو الله حسب الرواية الكتابية... إن رواية سورة البقرة وهي على لسان الله تشير إلى رواية إنجيل برنابا[1] حيث يقول: "وأقام الله الزوجين سيدي الجنة وقال لهما انظرا إني أعطيكما كل شيء لتأكلا منه خلا التفاح والحنطة... ثم قال لهما: احذرا أن تأكلا شيئاً من هذه الأثمار لأنكما تصيران نجسين، فلا أسمح لكما بالبقاء هنا، بل أطردكما ويحل بكما شقاء عظيم"...

أما رواية سورة الأعراف والمتحدث فيها لآدم مجهول، فتشير إلى رواية حنا الإنجيلي[2] التي تقول بأن الشيطان هو الذي أسكن آدم وحواء الجنة وقال لهما: "من كل ثمر الجنة تأكلان ولكن من شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكلا"؟.

وتختلف التوراة مع ما سبق في أن الإصحاح الثاني من سفر التكوين يقول بأن التحريم من الأكل من الشجرة كان لآدم وحده، أما الإصحاح الثالث من نفس السفر فيفهم منه أن الله حرم على آدم وحواء معاً الأكل من الشجرة، وحرم لمسها أيضاً....

ويلفت النظر إلى قوله: (وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ) (البقرة: من الآية٣٥) في روايتي سورتي الأعراف والبقرة، مما يدل على أن إحدى الروايات كانت تقول بتحذير آدم وحواء، حتى من لمس الشجرة بدليل تحريم الاقتراب منها، وأن أخرى كانت تقول بتحريم الأكل فقط من الشجرة المحرمة، وعدم تحريم لمسها، وفي ذلك تعارض

---

[1] إنجيل برنابا صفحة ٦١.

[2] إنجيل حنا الإنجيلي صفحة ١٨٩.

واضح... إن هذا التعارض واقع فعلاً في الإصحاحين الثاني والثالث من سفر التكوين، حيث نص الإصحاح الثاني آية ١٧ على أن التحريم كان على آدم وحده، وكان للأكل من الشجرة المحرمة، أما الإصحاح الثالث آية ٣ فيقول على لسان حواء: إن الله حرم عليهما الأكل من الشجرة المحرمة، وحرم لمسها أيضاً لئلا يموتا...

ويقول التلمود[1]: إن الذي حرم لمس الشجرة هو آدم، وقد حرمه على حواء خوف أن تقع في الخطيئة، وبذلك تكون حواء قد كذبت على لسان الله، أو يكون آدم هو الكاذب على لسانه، وسيمر معنا فيما بعد ما أدى إليه هذا التناقض في البحث عن شجرة الحياة، وشجرة معرفة الخير والشر عند بحث الآيات المتعلقة بهما في طرد آدم... هذا ولم يرد في التوراة[2] ما يفهم منه أن الرب الإله حرم على آدم الأكل من شجرة الحياة، فكانت من ضمن الأكل المباح له، إلا أن مؤلف القصة في نهايتها أظهر أن الله نسي أن يحرمها على آدم، فلما أكل آدم من شجرة معرفة الخير والشر، خاف الإله أن يتقدم آدم ويأكل من شجرة الحياة أيضاً، فيصبح خالداً مثله، ولذلك قرر حراسة الشجرة، وطرده من الجنة...

وسجلت سورة طه رواية في قوله: (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى{١١٧}إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى}١١٨{ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى}١١٩{) (طه:١١٧ -١١٩) وهي تقول بأن الإله قال لآدم عن إبليس بأنه عدو له ولزوجه، وحذره من أنه قد يسبب إخراجهما من الجنة، وإذا أفلح في ذلك فسيشقى آدم... ووعد الرب آدم ألا يجوع في الجنة ولا يعرى (أي يتعرى) وألا يشكو العطش، وأن يتصون من حر الشمس.

إن في هذه الرواية إشارات إلى أكثر من خلاف على هذا المشهد في الجنة وتحذيراً لآدم من إبليس، على أنه عدو، بينما أظهرت بعض روايات أهل الكتاب التي سجلها القرآن، والتي نقلناها قبلاً عنهم أن إبليس طرد من الجنة قبل خلق آدم، أو بعد خلق آدم فما معنى تحذير الإله لآدم منه، وهو مطرود من مملكة السماء؟

---

[1] روايات اليهود لجنزبرغ ج١ صفحة ٧٢ -٧٣.

[2] التوراة سفر التكوين ٢ -٢٣ -٢٤.

إن هذه الرواية وحدها تدخل الشك إلى القصة بأسرها... غير أن مؤلف القصة تعمد أن يظهر أن مملكة السماء فوضى كمملكة الأرض التي كان يعيش عليها، فإلهها كان في مستوى ملوك زمانه عقلاً وحكماً وإدارة وتفكيراً ... الخ ولقد أظهر بذلك أن الرب الإله غير قادر على حراسة مملكة السماء، بدليل تمكن إبليس من أن يفسد حارس الجنة فأدخله إليها، فضلاً عن تمكنه من الرجوع إلى مملكة السماء بعد طرده منها، وهي التي ملئت حرساً شديداً حسب أقوالهم، فكيف اخترق إبليس كل ذلك... ولقد زاد المؤلف الطين بلة حين أظهر الإله يخشى إبليس وآدم، فجعله يضع حرساً على شجرة الحياة بعد قرار طردهما.

إن وعد الرب لآدم ألا يجوع في الجنة ولا يعرى، قد نقض، إذ ظهر بأنه تعرى في قصة طرده بعد أكله من الثمرة المحرمة.

وهكذا تضيف رواية سورة طه، وهي في الغالب عربية تلمودية الأصل ما يزيد روايات القصة تهافتاً وتناقضاً...

١٢- سقوط آدم:

سجلت سورة الأعراف رواية عن سقوط آدم في قوله تعالى: (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} ٢٠{ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} ٢١{ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ} ٢٢{) (الأعراف ٢٠ -٢٢)

تشمل هذه الرواية أكثر من إشارة لروايات مختلفة عن موضوع سقوط آدم، وتقول: إن الشيطان وسوس لآدم وحواء، أي حدثهما بما لا نفع لهما فيه، وذلك ليجعلهما يريان ما خفي عنهما من عوراتهما الجنسية ليحركها فيهما... فقال لهما: إن ربكما ما نهاكما عن هذه الشجرة إلا لكيلا تصبحا من الملائكة أو تغدوا من الخالدين، أي مثل الله... وأقسم الشيطان لهما بأنه ناصح لهما، وبذلك فإنه يكون قد خدعهما وقال لهما عن شجرة معرفة الخير والشر: بأنها شجرة الحياة... وزادت خدعته لما أقسم لهما بأنه ناصح لهما، إذ لم يخطر على بال آدم أن يقسم أحد بالله باطلاً...

فأوقعهما فيما أراده من تغريرهما، فلما ذاقا من ثمر الشجرة بدت لهما عوراتهما، فشعرا بالحياء وأخذا يستتران بورق الجنة... وأقبل الرب عليهما، فناداهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين؟.

تشمل إشارات التسجيل في هذه الرواية المواضيع الآتية:

١ - الشجرة المحرمة... وهل كانت شجرة الحياة أو شجرة معرفة الخير والشر؟

٢ - أسلوب الشيطان في الوسوسة لآدم وحواء حتى أكلا من الشجرة المحرمة.

٣ - نجاح الشيطان في تحقيق أهدافه، بجعلهما يتذوقان من الشجرة (أو يأكلان منها) حتى يتعريا ويعلما بأنهما عريانان.

٤ - تقريع الرب لهما.

٥ - الخصف من أوراق الجنة.

٦ - بحث أن الخلاف على هذه المواضيع بين أهل الكتاب واسع.

١٣- تفصيل الخلافات في سقوطه:

يفهم من نص رواية الكتاب المقدس الوارد في الإصحاح الثاني من سفر التكوين[1] ونصها: "وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل... وشجرة الحياة في وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشر".

ومن هذا النص يفهم أن الجنة كانت على الأرض، ولم تكن في السماء... ويفهم أيضاً أن شجرة الحياة غرست في وسط الجنة... أما شجرة معرفة الخير والشر فقد تكون غرست في وسط الجنة، وقد لا تكون في وسطها، فالنص يحتمل أكثر من معنى...

ويفهم من رواية حواء في الإصحاح الثالث من سفر التكوين آية ٢ وما بعدها ونصها: "فقالت المرأة للحية: من ثمر شجرة الجنة نأكل، أما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا".. وبذلك فإن هذا النص يذهب أولاً إلى أن التحريم كان لشجرة الحياة التي كانت في وسط الجنة، و إلى ذلك أشار نص رواية سورة طه في قوله تعالى على لسان الشيطان: (قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى

---

[1] التوراة، سفر التكوين ٢ -٩.

شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى)(طـه: من الآيـة١٢٠) وهـذا مـن مواضيع خلافـات أهـل الكتـاب علـى الشـجرة المحرمـة، وهـل كانـت شـجرة الحيـاة أو شـجرة معرفـة الخـير والشر، وسبب هذا الخـلاف يعود إلى أن شـجرة الحيـاة قد نـص في التوراة على أنهـا في وسط الجنة، وحواء تقول: إن الله حرم عليهما أن يأكلا من ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، أي شجرة الحياة... وقد يفهم أن التحريم كان لشجرة معرفة الخير والشر، إذا كانت في وسط الجنة، وكانت مجاورة لشجرة الحياة ... ومن هـاتين الـروايتين نشأت البلبلة، فاختلط أمر الشجرة المحرمة في الروايات المختلفة، فكانت تعني شجرة الحيـاة أحياناً، وشجرة معرفة الخير والشر أحياناً أخرى...

وبينت إحدى روايات التلمود مـا يمكـن أن يفهـم منـه أن لمس الشـجرة يـؤدي إلى الموت فهي بذلك تنقض قول الإصحاح الثاني من سفر التكوين على لسان حواء، من أن الإله قال لهما: إن لمس الشجرة يؤدي إلى الموت، بدليل أن الشيطان[1] دفع حواء متعمداً فأصابت الشجرة ولم تمت.

وتختلف الرواية المسجلة في إنجيل برنابا عما سبق، إذ تجعل الشـجرة المحرمة شجرتين وهما شجرة التفاح وشجرة الحنطة...

أمـا روايـات بيئـة النبي العربيـة اليهوديـة، فهـي خليط مـن روايـات يهوديـة أبـو كريفية عربية معاً تستقى أسسها من التلمود والتوارة والأناجيل معاً، وتقول: اختلف في الشجرة التي نهى آدم عنها، فقيل السنبلة[2]، وقيل: هـي الكرمـة، وقيل: هـي شجرة الكافور، وقيل: هي شجرة معرفة الخير والشر، وقيل: هـي شجرة الخلد التي كانت تأكل منها الملائكة، وتقول بعض المراجع إنها شجرة الموز[3].

وأشار تسجيل سورة الأعراف بقوله تعالى: (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} ٢٠{ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} ٢١{)

---

[1] روايات اليهود لجنزيرغ ج١ صفحة ٧٢ -٧٣.

[2] بدائع الزهور لمحمد بن إياس، ومجمع البيان ج١.

[3] Le Bananier, et Son Exploitation, page 7, par Prudhomme.

(الأعراف ٢٠، ٢١) أشار إلى كيفية إسقاط آدم في الخطيئة من قبل الشيطان، إلى رواية تلمودية تقول بأنه أراد أن يظهر لهما عوراتهما ليهيجهما وذلك للغيرة الجنسية التي كانت بين الحية وحواء حسب رواية التلمود[1]... أما قوله: إن الشيطان أقسم لهما أنه من الناصحين، فهي من روايات البيئة العربية اليهودية، ووردت بأشكال مختلفة، منها أن آدم لما دخل الجنة، ورأي ما فيها من النعيم قال: "لو أن خلداً" وكان إبليس بقرب الباب فاغتنم الفرصة ووسوس إليه من قبل الخلد، فقيل: إنه لما دخل الجنة بواسطة الحية، وقف إبليس على آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس، فبكى إبليس[2] وناح نياحة أحزنتهما، فقالا: مايبكيك؟ قال أبكي عليكما لأنكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة، فوقع ذلك في نفسيهما، واغتمّا، ومضى إبليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد؟ فأبى أن يقبل منه، فأقسم إبليس لهما بالله إنه لمن الناصحين، فاغترا وما ظنا أن أحداً يحلف بالله كاذباً، فبادرت حواء إلى الأكل من الشجرة، ثم ناولت آدم فأكل منها أيضاً على أنها من شجرة الخلد... ولما كانت شجرة الخلد (الحياة) غير محرمة عليهما (راجع التوراة تكوين ٢ - ١٧) فإن أكلهما منها لا يعتبر خطيئة لآدم وحواء، وإذا كان أكلهما من شجرة معرفة الخير والشر خطأ أوقعهما فيه الشيطان، فإن ذلك خطأ منهما، وليس خطيئة، ويكون المؤلف بذلك قد أظهر آدم لا يفرق بين الخير والشر بدليل أنه نسي الشجرة التي حرمها الله عليه، بينما أظهره في أوج المعرفة والذكاء في مشهد تسمية الأشياء بمسمياتها....

ويختلف ما سبق مع روايات أخرى وردت في المراجع الكتابية، فمن ذلك أن إنجيل حنا الإنجيلي[3] يقول بأن الشيطان دخل في ثعبان شرير، وأغرى الملاك الذي كان في المرأة، وهيج شهوة حواء في غناء ثعبان.

أما الرواية التي وردت في إنجيل برنابا[4] فتقول: ان الشيطان أغوى حارس الجنة، وكانت الحية، فقبلت الحية إدخاله في جوفها ووضعته بعد ذلك بجانب حواء،

---

[1] روايات اليهود لجنزبرغ ج١ صفحة ٧١، ٧٢.

[2] تفسير الخازن مجلد ١ صفحة ٤٠ -٤٤.

[3] إنجيل حنا الإنجيلي صفحة ١٨٩.

[4] إنجيل برنابا ص٦٢ -٦٣.

لأن آدم كان نائماً فتمثل لها ملاكاً جميلاً وقال لها: لماذا لا تأكلان من هذا التفاح، وهذه الحنطة؟ فأجابت حواء، "قال لنا إلهنا إنا إذا أكلنا منها صرنا نجسين، ولذلك يطردنا من الجنة" فقال الشيطان: إنه لم يقل الصدق... ويجب أن تعرفا أن الله شرير وحسود، ولذلك لا يحتمل أنداداً، ولكنه يستعبد كل أحد، وهو إنما قال لكما ذلك لكيلا تصيران ندين له... ولكن إذا كنت وعشيرك تعملان بنصيحتي فإنكما تأكلان من هذه الأثمار – كما تأكلان من غيرها، ولا تلبثان خاضعين لآخرين، بل تعرفان الخير والشر كالله، وتفعلان ما تريدان، لأنكما تصيران ندين لله.

وتختلف الرواية العربية عن الروايات الأخرى في أنها تجعل الإغراء لآدم وحواء معاً، كما أشارت إليه روايات التوراة، بينما كان الإغراء لحواء في أغلب الروايات الأخرى، وكان من بينها رواية تقول: إن آدم كان نائماً، وأخرى يفهم منها أنه لم يكن حاضراً إغراء الشيطان لحواء.

هذا وسجلت سورة طه في نفس المشهد رواية تختلف عن رواية الأعراف، وعن غيرها من الروايات الكتابية في قوله: (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}١١٧{إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى}١١٨{ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى}١١٩{ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى}١٢٠{) (طه ١١٧ -١٢٠) وفي هذا المشهد يبدو الله محذراً آدم من الشيطان بأنه عدو له ولزوجه فلا يخرجنهما من الجنة، وما كانا فيه من النعيم، مما يؤدي إلى شقاء آدم لأن عبء الحياة وحياة زوجه يقع عليه وحده، وبذلك يكون شقاؤه... ووعده ربه في الجنة ألا يجوع ولا يعرى ولا يظمأ فيها، ولا تؤذيه الشمس....

والرواية الأخيرة في الغالب يهودية عربية... والإشارة في الوحدة القرآنية إلى أكثر من موضوع... فإبليس حسب روايات أهل الكتاب التي مرت معنا - طرد من الجنة فكيف سيطرد آدم منها... وفي هذا بيان تهافت القصة التي أعاد المؤلف فيه الشيطان إلى الجنة برغم طرد الإله له منها، ومكن المؤلف إبليس من دخولها برغم حراستها، وبذلك أظهر فشل إدارة مملكة السماء وفسادها في أكثر من ناحية... فكبير الملائكة (إبليس) ثار على الإله، وتبعه فريق كبير من الملائكة...والإله أحرق فريقين من الملائكة على حسب رواية التلمود... وتهكم الملائكة على الله في خلق

آدم، وحارس الجنة وهو الحية خانه... وإبليس تغلب عليه حتى في إفساد آدم، فكأنما يقول للإله إن هذا الذي طلبت منا أن نسجد إليه عصاك كما عصيناك نحن، فأي فضل كان له علينا حين طلبت منا السجود إليه؟ وهكذا كان هذا الخيال اليهودي السقيم بالنسبة لمملكة السماء حتى بدا الإله في آخر مشهد من هذه الكوميديا الإلهية ضعيفاً رعديدا إذ أظهره بأنه خاف على مملكته من الإنسان، فوضع حراسة من الكروبيم على شجرة الحياة، ولهيب سيف متقلب، ثم طرد آدم وطرد الشيطان معه ليأمن على نفسه من حبائلهما، وجعل عداوة بينهما حتى لا يتفقا عليه... فأية لوحة تبدو هذه للفكر البشري النير عن مملكة السماء...

هذا وشملت رواية سورة طه نصين مختلفين، الأول: وعد الرب الإله لآدم في الجنة أنه لا يعرى فيها: (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ) (طه:١١٨) والثاني: نفس الوعد بتعريته بعد الأكل من الشجرة المحرمة: (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا) (طه: من الآية ١٢١) وفي هذا تناقض واضح، ولقد ذكرت الرواية القرآنية هنا بالصورة المتعارضة متعمدة بذلك إظهار التناقض في المشهد الواحد...

كما أن هذه الرواية تختلف عن روايات أهل الكتاب المختلفة الأخرى التي تشير إلى أن آدم على حسب وعد الرب له كان مكسوا قبل أكله الثمرة المحرمة، وأنه تعرى بعد ذلك، لسقوط كسوته الجميلة عنه... ويقول التلمود[1]: إن جسدي آدم وحواء كانا مغطين بجلد حيوان قرني، وملتفين بسحاب المجد... وقد يفهم من هذا أن الثوب قد سقط عن كل منهما بعد أكلهما من الثمرة المحرمة... ولا تؤدي رواية التوراة إلى هذا المفهوم وإنما تؤدي إلى أنهما كانا عريانين أصلاً، ولم يكونا يعلمان ذلك لجهلهما الخير والشر...

وتقول الروايات العربية التلمودية الأصل: إن الله كسا آدم وحواء بحلل ثمينة في الجنة، فلما أكلا من الشجرة المحرمة زالت كسوتهما عنهما، وبذلك فإن الشيطان حين أراد أن يتعريا كان يفعل ذلك حسداً[2] من بهاء كسوتهما.

---

[1] روايات اليهود لجنزبرغ ج١ صفحة ٧٤.

[2] بدائع الزهور لابن إياس صفحة ٤٧ -٤٩.

وأظهر القرآن تناقض أخبار سقوط آدم الكتابية بصورة أوضح في قوله تعالى: (قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى} ١٢٠{فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا } ١٢١{)(طه: من الآية١٢٠ -١٢١) وبذلك سجل الخلط بين أهل الكتاب بين شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر إذ كان الأكل هنا صريحاً من شجرة الحياة (شجرة الخلد)... ويبدو لنا أنها هي التي يجب أن تبدي السوءات فعلاً وأن ثمرتها هي التي أثارت عوامل الجنس في آدم وحواء، فتعريا للجماع، وأدى ذلك إلى تكاثر الجنس البشري وخلوده باستمرار، حتى تحين عودته إلى الجنة الخالدة... ولا يفهم هذا المنطوق من شجرة معرفة الخير والشر، إذ لو بقي آدم وحواء في الجنة دون علاقة جنسية لبقيا دون نسل، ولبقيت الجنة موحشة ودون عمل.

ولقد أدى الخلط بين أهل الكتاب بين شجرة الحياة وشجرة الخير والشر، إلى نشوء روايات عديدة عنهما، وكان منها القول بأن الشيطان خدع آدم بأن جعله يأكل من شجرة المعرفة على أنها شجرة الحياة... ومهما يكن من الأمر فإن نص التوراة كما ألمعنا سابقاً هو الذي أدى إلى هذا الالتباس الذي يمكن أن يفهم منه أن قول حواء[1] في التوراة: إن الله حرم عليهما الأكل من الشجرة التي في وسط الجنة، وهي شجرة الحياة قد يكون خطأ من حواء، أي أنها هي التي خلطت بين الشجرتين، فقالت هذا القول الذي أدى إلى هذه الخلافات، أو أن تكون حواء قد قالت الصدق بأن الشجرة المحرمة هي شجرة الحياة، وليست شجرة معرفة الخير والشر بدليل أنها هيجت الناحية الجنسية في حواء وآدم معاً حتى بديا عريانين، وبدت لهما سوءاتهما على اعتبار أن العلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى هي في نظر الكثيرين السبب في تقصير عمر الإنسان، فاعتبروا أن عدم التزاوج الجنسي هو طريق الحياة الأبدية، كما ذهبت إلى ذلك فئات الرهبان والإسينيّون* وغيرهم... إن جميع هذه التفسيرات تضيع في بطن مؤلف القصة.

---

(1) سفر التكوين ٢ -٣.

* الإسينيّون: طائفة دينية متشددة معتزلة، يربط البعض تأسيس (القبالا) اليهودية – الصوفية – بهذه الطائفة التي عاشت في منطقة قمران قرب البحر الميت بين القرنين الأول قبل الميلاد، والقرن الأول الميلادي، والتي تركت المخطوطات المعروفة بمخطوطات قمران، التي يعتقد بأنها أول نسخ للتوراة يعثر عليها، بالإضافة إلى كتابات دينية أخرى.

وسجلت سورة البقرة رواية أخرى في نفس المشهد، وقد مرت معنا في أثناء بحث هذا المشهد في رواية سورة الأعراف، ورددناها إلى مصدرها الأصلي، ولا حاجة للرجوع إليها ثانية.

لنعد إلى مشهد آخر من مشاهد سقوط آدم وهو يبحث في أكله من الثمرة المحرمة...

تصف رواية سورة الأعراف في قوله: (**فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ**) (الأعراف: من الآية٢٢) أي فأسقطهما الشيطان للغرور الذي انتابهما في محاولتهما أن يصبحا ندين لله، فلما ذاقا من الشجرة ظهر لهما بأنهما عريانان إذ وضحت لهما عوراتهما فاستَحَيا وأخذا يستتران بالتغطية بأوراق الأشجار في الجنة... ويشير قوله: (**فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ**) إلى قول المسيح في الرواية التي ذكرها إنجيل برنابا[1]: هكذا أخطأ الشيطان وآدم بسبب الكبرياء... أما أحدهما فلأنه احتقر الإنسان، وأما الآخر فلأنه أراد أن يجعل نفسه نداً لله...

ويشير قوله تعالى: (**فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا**) إلى رواية توراتية تخالف رواية تلمودية تقول: إن آدم وحواء لم يأكلا في بداية الأمر من الشجرة المحرمة، وإنما ذاقتها حواء أولاً، ثم آدم وهذا يخالف التوراة[2] التي تقول: إنها أكلت منها، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل... .

وتخالف هذه الروايات رواية أوردها إنجيل برثولوميو على لسان الشيطان في إغراء حواء في قوله:" ولما أهبطنا إلى الأرض لبثنا أربعين سنة في حالة إغماء، ثم أيقظت ابني[3] سالبسان وتشاورنا في كيفية خديعة الإنسان الذي طردنا بسببه ونفذت الخطة كما يلي:

"أخذت قارورة معي ونزحت فيها العرق من صدري ومن تحت شعر ذراعيّ، واغتسلت ثم أخذت أوراق تين في يدي ومسحت أيضاً العرق من صدري، ومن تحت

---

[1] نهاية الفصل الحادي والأربعين من إنجيل برنابا.

[2] راجع سفر التكوين ٣ -٦.

[3] إنجيل برثولوميو صفحة ١٧٨ -١٧٩.

ذراعيّ، ثم رميت بالقارورة بجانب تيار المياه التي تجري من مياه الأنهار الأربعة، فشربت حواء منها وتحركت شهوتها، وكان يجب أن تشرب لأستطيع غوايتها...".

١٤- إضافة أخرى:

ونزيد الباحث إطلاعاً بذكر ما قالته المراجع الكتابية في سقوط آدم، (ولو أن فيه تكراراً لكثير مما سبق):

فقد ورد في الإصحاح الثالث آية ١ -٢٤ من سفر التكوين ما نصه" وكانت الحية أحيل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب فقالت للمرأة: أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة، فقالت المرأة للحية من ثمر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا" (يلفت نظر القارئ إلى أن الشجرة التي في وسط الجنة هي شجرة الحياة حسب الآية ٩ من الإصحاح الثاني من سفر التكوين)....

فقالت الحية للمرأة لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر (تأمل... الشيطان يتكلم عن شجرة الخير والشر، وحواء تتكلم عن شجرة الحياة).

فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها، فأكل منها فانفتحت أعينهما، وعلما أنهما عريانان....

أما التلمود فنصت[1] روايته على أن آدم بقي في الجنة مع زوجته حواء، وكانت الحية شهيرة بين الحيوانات، وكانت لديها أحسن الصفات (وهذا يناقض وصف التوراة أعلاه)... وكانت تشبه الإنسان في بعض صفاتها... وكان ذكاء الحية سبباً في كفرها، إذ كانت حسودة للإنسان وخاصة من الناحية الجنسية، وكان هذا هو السبب في تفكيرها بتسبيب الموت لآدم... وكانت على معرفة عظيمة بأخلاق

[1] روايات اليهود لجنزبرغ ج١ صفحة ٧١ -٧٢.

الإنسان، وهذا دفعها إلى أن تحاول خديعته بالإغراء، ولذلك اتصلت بحواء لأنها تعرف أن النساء تسهل خديعتهن....

فقالت الحية لحواء: أصحيح أن الإله قال لا تأكلا من جميع شجر الجنة؟

فقالت حواء: نستطيع أن نأكل من جميع شجر الجنة ما عدا الشجرة المغروسة في وسط الجنة، وأنا لا يجوز حتى أن نلمسها وإلا موتاً نموت... ولقد قالت حواء ذلك، إذ كان آدم لخشيته من أن تخرج حواء على أمر الرب، قد منع حواء من لمس الشجرة، مع أن الإله نهى عن الأكل منها فقط...

فدفعت الحية حواء فلمست الشجرة رغماً عنها فقالت الحية: أنت ترين أن لمس الشجرة لم يسبب لك الموت... وكذلك فإن الأكل منها سوف لا يؤذيك إن الإرادة الشريرة هي التي فرضت هذا التحريم، لأنك إذا أكلت من الشجرة فستصبحين كالإله، وكما أنه يحي ويميت فستصبحين أنت قادرة على أن تحي وتميتي... إنه هو نفسه أكل من ثمر الشجرة، ثم خلق العالم (يلفت نظر القارئ إلى أن الكلام بأسره هنا عن شجرة الحياة، وليس عن شجرة معرفة الخير والشر).

واستعجلت الحية حواء لتأكل من ثمر الشجرة، فهزت الشجرة هزاً عنيفاً فأسقطت من أثمارها، وأكلت الحية منها، وقالت: كما أنني لا أموت من الأكل منها فكذلك أنت سوف لا تموتين...

فقالت حواء: الظاهر أن جميع ما حرم آدم على كذب... ولم تأكل حواء من الثمرة، بل ذاقت قشرتها فقط، تأمل قوله تعالى: **(فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا)** (الأعراف: من الآية٢٢) واختلافها هو اختلاف الإصحاحين الثاني والثالث من سفر التكوين، ثم جاء التلمود ليوفق بين الخلاف فجعل حواء تتذوق أولاً، ثم تأكل وبذلك زاد الاختلاف.

عود إلى رواية التلمود... ولما لم تمت حواء فإنها أكلت فتمثل لها ملاك الموت أمامها، فظنت أن حياتها انتهت، وقررت أن تجعل آدم يأكل منها بدوره حتى لا يتزوج غيرها... وتطلب إغراء آدم منها دموعاً وانتحاباً لتغريه بالأكل... ولم تكتف بإغراء آدم وحده، ولكنها أعطت من الثمرة المحرمة جميع المخلوقات الحية، فأكلت ما عدا الطير ملحم...

وسجل إنجيل حنا الإنجيلي[1] المشهد في صورة تختلف كلياً عما سبق، فيما يلي... والقول على لسان المسيح...

"ثم صمم مدبر الشر (الشيطان) في عقله أن يصنع جنة، وأدخل الرجل والمرأة فيها وأمر بإحضار قصبة وغرسها الشيطان في وسط الجنة، وبذلك أخفى الشيطان مقصده، فلم يعرفا خديعته وجاء إليهما وقال: من كل ثمر الجنة تأكلان، ولكن من شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكلا... ودخل الشيطان في ثعبان شرير، وأغرى الملاك الذي كان في المرأة، وهيج شهوته في حواء في غناء ثعبان... ثم نفث الشيطان في الملاك الذي كان في آدم سموم الشهوة...

تعليق:

ولن يلتقي كل ما سبق لتعارضه... والشيطان في الرواية الأخيرة هو خالق الإنسان وهو صاحب فكرة خديعة الإنسان... وعجيبة هذه السماء التي يأتمر الملائكة فيها بأوامر الشيطان بالاتفاق مع الرب الإله؟ وعجيب هذا الخيال من أهل الكتاب يسجله كتاب كان يعتبر إنجيلاً كبقية الأناجيل، وينسب إلى حنا الإنجيلي الذي كان المسيح يحبه كثيراً... ويلفت نظر القارئ هنا إلى أن الشيطان في هذه الرواية هو الذي أسكن آدم وزوجه الجنة، وإلى هذا أشارت رواية سورة الأعراف: (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأعراف:١٩) ولا تشير الآية إلى مصدر القول، أما رواية سورة البقرة فتعين أن الذي أسكن آدم وزوجه الجنة هو الله: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)(البقرة: من الآية٣٥) وهي تشير بذلك إلى الرواية الكتابية التوراتية والتلمودية التي تقول: إن الله هو الذي أدخلهما الجنة، فنسبت رواية القرآن الفعل إلى الله كما يقول المرجع الكتابي. (راجع الإصحاح الثاني من سفر التكوين وكذلك قصة آدم وحواء في الجنة من صفحة ٦٤ -٧١ في كتاب روايات اليهود لجينزبرج ج١).

---

[1] إنجيل حنا الإنجيلي ١٨٩.

١٥- عود إلى الروايات الكتابية:

ونص إنجيل برثولوميو[1] على أن غواية حواء كانت بتهييج شهوتها من قبل الشيطان، وذلك بعد طرده من الجنة إلى الأرض... ويقول الشيطان بأنه أخذ قارورة ونزح العرق من صدره ومن تحت ذراعيه واغتسل ثم أخذ أوراق تين ومسح العرق من صدره ومن تحت ذراعيه (أي مرة أخرى) ورمى القارورة بما فيها من العرق بجانب تيارات مياه الأنهار الأربعة (أي أنهار الجنة) فشربت حواء منها وتحركت شهوتها... وكان يجب أن تشرب منها ليستطيع غوايتها....

وتلك رواية جديدة تختلف تفاصيلها عن الروايات السابقة، ولكنها تتفق معها في أن غواية الشيطان لآدم وحواء كانت لكشف عوراتهما للغواية الجنسية...

وسجل إنجيل برنابا[2] المشهد في صورة أخرى في قوله: " وأقام الرب الزوجين سيدي الجنة وقال لهما انظرا إني أعطيكما كل ثمر لتأكلا منه خلا التفاح والحنطة... ثم قال لهما احذرا أن تأكلا من هذه الأثمار لأنكما تصيران نجسين، فلا أسمح لكما بالبقاء هنا، بل أطردكما ويحلّ بكما شقاء عظيم... فلما علم الشيطان بذلك تميز غيظاً فاقترب إلى باب الجنة حيث كان الحارس حية مخوفة لها قوائم كجمل، وأظافر أقدامها محددة من كل جانب كموسى (سكين) فقال لها الشيطان اسمحي لي بأن أدخل الجنة... أجابت الحية... كيف أسمح لك بالدخول وقد أمرني الله بأن أطردك؟ أجاب الشيطان: ألا ترين كم يحبك الله إذ أقامك خارج الجنة لتحرسي كتلة من الطين وهي الإنسان... فإذا أدخلتني الجنة أجعلك رهيبة حتى إن كل واحد يهرب منك فتذهبين وتقيمين حسب إرادتك....

وقالت الحية: كيف أدخلك؟

فأجاب الشيطان: إنك كبيرة فافتحي فاك فأدخل بطنك، فمتى دخلت الجنة ضعيني بجانب هاتين الكتلتين من الطين اللتين تمشيان حديثاً على الأرض.

---

[1] إنجيل برثولوميو صفحة ١٧٨ -١٧٩.

[2] إنجيل برنابا صفحة ٦١ -٦٥.

فقبلت عندئذ الحية ذلك، ووضعت الشيطان بجانب حواء، لأن آدم زوجها كان نائماً، فتمثل الشيطان للمرأة ملاكاً جميلاً وقال لها: لماذا لا تأكلان من هذا التفاح وهذه الحنطة؟

أجابت حواء: قال لنا إلهنا إنا إذا أكلنا منها صرنا نجسين ولذلك يطردنا من الجنة، فأجاب الشيطان: إنه لم يقل الصدق... فيجب أن تعرفي أن الرب شرير وحسود، ولذلك لا يحتمل أنداداً ولكن يستعبد كل أحد، وهو إنما قال لكما ذلك لكيلا تصيران ندين له... ولكن إذا كنت وعشيرك تعملان بنصيحتي فإنكما تأكلان من هذه الأثمار كما تأكلان من غيرها ولا تبقيان خاضعين لآخرين، بل تعرفان الخير والشر كالله، وتفعلان ما تريدان لأنكما تصيران ندين لله!! فأخذت حواء وأكلت من هذه الأثمار... ولما استيقظ زوجها أخبرته بكل ما قال الشيطان فتناول ما قدمته له وأكل!!

وسجلت سورة طه رواية تقول: (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (طه:١٢١) والإشارة هنا إلى الشجرة التي قال الشيطان لآدم إنها شجرة الخلد (الحياة) فأكلا أي آدم وحواء منها، وقد شرحنا ذلك في حينه (فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا) (طه: من الآية١٢١) وهنا تكثر الروايات في هذا المشهد، إذ تقول الروايات اليهودية العربية إن الشيطان (الحية) كانت شديدة الغيرة من بهاء ألبسة آدم وحواء التي كان الإله ألبسهما إياها في الجنة، فدبر خديعة ليزيل عنهما بهاءهما، ولذلك فإنهما ما إن أكلا من الشجرة حتى زال عنهما لباسهما، ووجدا نفسيهما عاريين...

وتقول رواية التلمود[1]: إن جسدي آدم وحواء كانا مغطيين بجلد حيواني قرني، وملتفين بسحاب المجد... وتقول التوراة (تكوين ٣ -١ -٢٤) فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان... وتقول رواية إنجيل برنابا[2]: "حينئذ علم كلاهما أنهما كانا عريانين".

---

[1] روايات اليهود لجنزبرغ ج١ صفحة ٧٤ -٧٥.

[2] إنجيل برنابا صفحة ٦٣.

وتؤدي رواية التوراة وإنجيل برنابا إلى القول بأن آدم وحواء كانا عريانين في الجنة، ولم يكونا يعرفان ذلك حتى أكلا من شجرة معرفة الخير والشر، بينما تقول الروايات اليهودية العربية[1] والتلمود: إنهما كانا مكسيين، وإلى ذلك أشارت رواية سورة طه إشارة إليهما: (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى) (طه:١١٨) والتعارض واضح....

وسجلت سورة البقرة رواية في قوله: (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا) (البقرة: من الآية٣٦) أي عن الجنة، وهي بذلك تشير إلى الروايات التي تختلف في الوسيلة التي اتبعها الشيطان في إغوائهما، والتي أوردها إنجيل برثولوميو والتي نقلناها قبل قليل، وكذلك تلك التي رواها إنجيل حنا الإنجيلي...

أما موضوع خصف آدم وحواء عليهما من ورق الجنة، فقد اختلفت الروايات الكتابية، وغير الكتابية على ذلك كثيراً فالتوراة[2] تقول بأن آدم وحواء خاطا لأنفسهما مآزر من أوراق التين... والتلمود[3] يقول: إن جميع أشجار الجنة رفضت السماح لآدم بالأخذ من ورقها ما عدا شجرة التين التي كانت هي شجرة محرمة...

ويقول إنجيل برنابا[4]: إنهما أخذا أوراق التين وصنعا ثوباً لسوآتهما... وتقول الروايات العربية[5] بأن شجرة العود هي التي غطتهما بأوراقها، وقيل هي شجرة التمر حناء، وقيل هي شجرة التين... وقيل هي شجرة الموز[6]...

ولم تعين رواية القرآن الوارد بنص واحد تقريباً في سورتي الأعراف وطه: (وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) (طه: من الآية١٢١) نقول لم تعين ورق الجنة، لأنه هو المختلف عليه، وهما تشيران إلى الموضوع المختلف عليه فقط كما مر معنا في هذا البحث بأسره...

---

[1] بدائع الزهور لان اياس صفحة ٤٦.

[2] سفر التكوين ٣ -٧.

[3] روايات اليهود لجنزبرغ ج١ صفحة ٧٥.

[4] إنجيل برنابا صفحة ٦٣.

[5] بدائع الزهور.

[6] Le Bananier et Son Exploitation P.7, par: Prudhomme.

١٦- محاكمة آدم في الجنة:

سجلت سورة الأعراف رواية تقول: (فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ}٢٢{قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}٢٣{ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}٢٤{) (الأعراف:٢٢ -٢٤) وهذه الآيات تشير إلى أكثر من رواية كتابية فقوله: (وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ) تشير إلى رواية التوراة التي نصت على نهي الإله لآدم أن يأكل من الشجرة المحرمة في الآية ١٧ من الإصحاح الثاني من سفر التكوين، وتقول رواية يهودية عربية[١]: إن الله أشهد الملائكة على هذا التحريم...

وأما قوله: (قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (لأعراف:٢٣) فلم يرد مثل هذا القول في التوراة التي نص مشهدها فقط على طرد آدم من الجنة، وليس فيه ما يشعر بندم آدم... ويقول التلمود[٢] إن آدم وحواء جدفا على الرب في الجنة وأصرا على خطيئتهما، ولم يندما عليها، ولذلك قرر الإله إدانتهما بعد أن ظهر إصرارهما عليها... إلا أن التلمود[٣] ذكر رواية أخرى تقول بأن آدم عندما انصرف هو وزوجه من عند الرب، قال الرب: أنه من المؤسف أن لم يستطيع تنفيذ الأمر الذي عهدنا[٤] به إليه ولو لفترة قصيرة... وأخذ آدم وحواء يبكيان ويستدران رحمة الرب بمرارة، فأشفقت الملائكة عليهما، ولم تنفذ أمر الرب حتى تسترحم منه أن يخفف الحكم عليهما، لكن الرب الإله تشدد وقال: "هل كنت أنا المخالف للعهد؟ وهل أصدرت حكماً ظالماً!!"

---

[١] بدائع الزهور لابن إياس.

[٢] روايات اليهود لجنزبرغ ج١ صفحة ١ -٧٦.

[٣] روايات اليهود لجنزبرغ ج١ صفحة ١ -٨١.

[٤] راجع قول القرآن في رواية سورة طه (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) (طه:١١٥).

والتلمود[1] في هذه الرواية يناقض نفسه إذ أشار في موضوع آخر إلى أن آدم وحواء لو طلبا من الله الغفران لغفر لهما مع أنهما في روايتهما طلبا رحمة الرب!! إن في رواياته تعارضاً واضحاً...

أما رواية سورة الأعراف فتشير إلى تعارض التلمود مع التوراة ويشير قوله تعالى: (قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) (الأعراف:٢٤) إلى رواية التوراة[2] التي لم تذكر غفران الله لآدم، بل ذكرت قراره البات بطرده من الجنة، وسنرى في الروايات الأخرى التلمودية ما يشير إلى أن الله اجتبى آدم وغفر له، وبذلك يزداد التعارض بين الروايات الكتابية...

وسجلت سورة طه رواية في قوله: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} ١٢١{ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}١٢٢{) (طه ١٢٢، ١٢١) وهي تشير إلى رواية التلمود التي أشرنا إليها قبل قليل، والتي ذكرت إصرار آدم على العصيان، وغوايته في تجديفه هو وزوجه على الله (ثُمَّ اجْتَبَاهُ) أي اصطفاه فتاب عليه (وَهَدَى) وهي تشير بذلك إلى توبة آدم وقبول الله توبته وهدايته التي أوردها التلمود، ولم تذكرها التوراة أصلاً، ولا الأناجيل المختلفة...

وكان مما ذكره التلمود[3] أن الله أرسل إلى آدم الملاك رازيل بعد طرد آدم من الجنة، ومعه كتاب مقدس من الله، بين الله له فيه جميع ما سيحدث في العالم حتى موته، وفيه معلومات عما سيحدث لأولاده وأحفاده، وقد علم الملاك رازيل آدم جميع ما فيه، وأخبره بأن أحفاده إذا قرأوا كتابه بطهارة وقلوب مخلصة، وتواضع ذهني، وأطاعوا أوامره، فسيكونون أبراراً مثله، وسيعلمون حوادث المستقبل بالتفصيل، من حيث الكوارث والوحوش الكاسرة، والفيضانات والخصب والمحل والجفاف...الخ فقرأ رازيل الكتاب على آدم... ولما سمع آدم كلمات الله فيه وقع مغشياً عليه من الخوف، فأعاده الملاك إلى وعيه وشجعه وقال له: خذ الكتاب مني واحفظه، لأنك ستأخذ العلم منه، وتكون عاقلاً، وستعلم محتوياته إلى الذين يستحقون أن يتعلموها.

---

[1] روايات اليهود لجينزبرج ج١، ص ٧٦.

[2] راجع سفر التكوين إصحاح ٣ آية ١٧ -١٩ وآية ٢٤.

[3] روايات اليهود لجينزبرج، ج١، ص٩٠ -٩٢.

وأشارت رواية سورة البقرة إلى هذه الرواية في قوله: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ)(البقرة: من الآية٣٧) دون أن تذكر شيئاً عن تجديف آدم على الله المشار إليه في قوله: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) وبذلك يكون هناك خلاف في هل غوى آدم أي عصى وجدف على الله، وأصر على عدم خطيئته أم لم يحدث شيء من ذلك، وكان عصيانه محصوراً في الأكل من الشجرة المحرمة...

ولا يمكن أن تلتقي جميع هذه الخلافات، ولا يمكن الوصول إلى اتفاق، لأنه من ذا الذي كان حاضراً جميع هذه المشاهد في السماء، والله يقول في القرآن الكريم تنديداً بجميع هؤلاء المضلين (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً) (الكهف:٥١).

ونرى أن قوله في سورة البقرة بأن آدم تلقى كلمات من ربه تشير إلى ما ذكره التلمود عن كتاب آدم الذي سلمه إياه من ربه الملاك رازيل كما مر معنا في الرواية التلمودية، وهذا يدل على أن الله تاب عليه، وليس لهذه التوبة ذكر في التوراة، وهي بنفس الوقت تنفي روايات التلمود التي تؤكد إحداها إصرار آدم على خطيئته، وتقول أخرى بأنه تاب وطلب من الله أن يغفر له فأبي الإله ذلك، وتقول الثالثة بأنه تاب بعد خروجه من الجنة[1] وبذلك كانت هناك توبتان لآدم إحداهما رفضت وهي بعد غوايته وقبل مغادرة الجنة، وهذه نفسها تناقض قول التلمود بأن آدم لو استغفر ربه بعد أكله من الشجرة المحرمة لغفر له فلماذا لم يغفر له بل أصر على طرده من الجنة؟ أما التوبة الثانية وهي واردة أيضاً فلا يفهم منها هل كانت مقابة الملاك رازيل لآدم في الجنة بعد قزار الإله برفض بقاء آدم في الجنة أو كانت بعد اهباط آدم إلى الأرض؟ وإذا كان الله قد غفر لآدم كما يقول التلمود، فأين تذهب نظرية الفداء المسيحية التي صلب المسيح بحسبها كما يدعون ليفدى الجنس البشري من خطيئة أبيه آدم... ألا تغدو في حكم المفترى على الله، وتدخل تحت قوله تعالى: (وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً).

---

[1] روايات اليهود لجينزبرج، ج١، ص٩٠، ٩١، ٩٢.

١٧- طرد آدم من الجنة

سجل القرآن في ثلاث سور منه ثلاثة نصوص تشير إلى عدد كبير من روايات أهل الكتاب المختلف عليها في طرد آدم من الجنة وهي:

سورة الأعراف: (قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}٢٤{قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ}٢٥{) الأعراف ٢٥، ٢٤)

سورة طه: (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} ١٢١{ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}١٢٢{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}١٢٣{) (طه١٢١ -١٢٣)

سورة البقرة: (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}٣٦{ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}٣٧{ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}٣٨{) (البقرة ٣٦ -٣٨)

تقول التوراة:[1] إن الطرد من الجنة بعد عصيان آدم كان للإنسان فقط، وبذلك كان الهابطون أثنين فقط، آدم وحواء، مع أن نص محاكمة آدم وحواء في الإصحاح الثالث من سفر التكوين يشير إلى أن المحاكمة كانت في الجنة، وأن الجنة كانت على الأرض... ويفهم منها أيضاً أن الحية طردت من الجنة، فإذا اعتبرنا نص الطرد للإنسان على أنه فريق شمل آدم وحواء، فإن الحية تعتبر فريقاً آخر...

إلا أن التلمود والأناجيل الأبوكريفية أشارت إلى طرد آدم وحواء، وإبليس والملائكة المنشقين مع إبليس، وبذلك فإن الخلاف على المطرودين بين نصوص الكتب الكتابية كبير، ولا يمكن تلافيه... وإنك لتجد إشارة إلى ذلك في رواية سورة طه في قوله: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)(طه: من الآية١٢٣) إذ يعتبر قوله: (اهْبِطَا) المثنى موجهاً إما إلى شخصين، وإما إلى فريقين.

---

[1] سفر التكوين ٢٤:٣.

وهذا يشير إلى أكثر من رواية منها الرواية التي تقول بأن الطرد كان للإنسان أي آدم وحواء وهما اثنان... ومنها الرواية التي تطرد آدم وحواء وهم فريق... وتطرد الحية وإبليس وملائكته المنشقين معه على الرب الإله وهم فريق آخر، وبذلك يصبح قوله: (اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً) شاملاً كل هؤلاء في فريقين....

أما تسجيلات سورتي الأعراف والبقرة فتتضمن أن أمر الطرد في سورة الأعراف: (قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) (الأعراف:٢٤) كان هذا الأمر موجهاً من رب الجنة وهو إبليس حسب نص إنجيل حنا الإنجيلي، وهو الذي وضع آدم وزوجه في الجنة، وهو الذي طردهما منها.... بينما أمر الطرد في رواية سورة البقرة كان من قبل الله حسب الرواية التلمودية، ولذلك قالت رواية القرآن على لسان الله: (وقلنا) أي قال الله حسب قول أهل الكتاب أنه قال كذلك: (اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ).

والنصان الواردان في سورتي الأعراف والبقرة، يكادان يكونان متطابقين لفظاً ومعنى، ويشكل فهمهما على أذكى المفسرين لما يتطلبه ذلك من اطلاع تام على تفاصيل القصة ومشاهدها المختلفة في جميع المراجع الكتابية... إن هذين النصين يشملان أيضاً في الطرد جميع المشتركين في مشاهد خلق آدم المختلفة، وهي التي كان يختلف عليها أهل الكتاب اختلافاً عقائدياً، لأنها كانت خلافات كتب، كانت تعتبر منزلة لدى أتباعها في أوساطها المسيحية واليهودية قبل غيرها من الوسط العربي المتأثر بعقائدهما عن طريق الوسط اليهودي في الجزيرة واليهودي والمسيحي في الجزيرة وسوريا والعراق، بما فيها من عقائد الكنائس النسطورية وغيرها...

إن رواية سورة الأعراف تشير إلى رواية إنجيل حنا الإنجيلي ورواية سورة طه تشير إلى رواية التوراة، إن كانت لآدم وحواء والحية، ورواية التلمود إن كانت لآدم وحواء وإبليس ومن تبعه من الملائكة، بينما تشير سورة البقرة إلى رواية إنجيل برثولوميو التي قالت بطرد إبليس مع ملائكته الستمائة الذين ناصروه...

هذا ويظهر تعارض القصة الكتابية في المراجع الكتابية فيما يلي:

١ - كان الطرد لآدم وحواء والحية، ولم يشمل إبليس، ذلك حسب رواية الإصحاح الثالث من سفر التكوين في التوراة.

٢ - كان الطرد لآدم وحواء والحية وإبليس، حسب روايات التلمود وإنجيل برنابا.

٣ - كان الطرد لإبليس ومن تبعه مستقلاً قبل خلق آدم، حسب رواية إنجيل برثولوميو.

٤ - كان الطرد لإبليس وملائكته قبل خلق آدم، ثم كان لآدم وحواء وإبليس بعد سقوط آدم في إنجيل برنابا.

٥ - كان الطرد لآدم وحواء فقط، وكان إبليس هو الذي طردهما من الجنة باعتباره مصمم الجنة ومبدعها، وخالق آدم وحواء، حسب إنجيل حنا الإنجيلي.

٦ - كان الطارد لآدم وحواء وإبليس وملائكته هو الله، حسب روايات التلمود وإنجيل برثولوميو وإنجيل برنابا.

٧ - كان الطارد لآدم وحواء والحية هو الله، حسب التوراة.

٨ - كان هناك طردان لإبليس: أحدهما قبل خلق آدم، وثانيهما بعد دخول آدم الجنة.

٩ - لم يكن هناك طرد لإبليس من الجنة، ولا ذكر لإبليس في قصة خلق آدم في التوراة إلا في طرد آدم من الجنة، ولم يكن ذكره صريحاً، بل تلميحاً عن طريق الحية.

١٠ - لم يكن هناك ذكر لطرد إبليس ولا لمحاكمته أصلاً من قبل الله في قصة سجوده لآدم في كثير من الروايات.

١١ - أشارت تسجيلات القرآن إلى الخلاف في جميع هذه المشاهد بإيجاز بليغ، وبدون تفصيل أو حتى ترتيب سردي يوحي بتتابع المشهد أحياناً، فكانت الآية تشير إلى مرجعين، وثلاثة مراجع أحياناً معاً، إذ كان غرض التسجيل الإشارة إلى مواضع الخلاف فقط، وليس بيان الصحيح منها تفصيلاً لقوله تعالى: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (النحل:٦٤)

وعملا بقوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}٧٦{وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}٧٧{إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ}٧٨{فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ}٧٩{) (النمل:٧٦ -٧٩).

١٨- نهاية تسجيلات مشهد الطرد

ورد في نهاية رواية سورة الأعراف قوله: (اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) (لأعراف: من الآية٢٤)

وورد في نهاية رواية سورة طه قوله: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)(طه: من الآية١٢٣)

وورد في نهاية رواية سورة البقرة قوله: (وَقُلْنَا اهْبِطُوا[1] بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)(البقرة: من الآية٣٦)

وجميعها تشير إلى عداوة اليعض للبعض الآخر، فمن تعني هذه الروايات؟

١ - إنها قد تعني عداوة الإنسان للإنسان على اعتبار أن طرد آدم من الجنة، وحرمانه من الإقامة فيها، كان مسبباً من حواء.

٢ - إنها قد تعني عداوة الإنسان للحية.

٣ - إنها قد تعني عداوة الإنسان للشيطان وأتباعه، والحية بصفتها ترمز إلى الشيطان...

وهي جميعاً تبين قرار رب الجنة، سواء أكان هو الرب الإله حسب التوراة والتلمود وإنجيل برنابا أو إبليس حسب إنجيل حنا الإنجيلي... وكان القرار أن جميع هذه الفئات مشمولة في عداوة بعضها بعضاً... ولا بد أن تؤدي هذه النصوص المختلفة إلى خلاف في الرأي بصددها، إذ ما حكمة عداء الإنسان للإنسان بقرار من الله، وقد يفهم عداء الشيطان للإنسان على اعتبار أن الإنسان كان السبب في حرمان الشيطان من رحمة الله، وقد يفهم عداء بقية المخلوقات للإنسان على اعتبار حق الدفاع عن

---

[1] وقد يفهم منها عداء الملائكة المنشقين للملائكة غير المنشقين.

الجنس... أما عداء الإنسان للإنسان فلو كان صحيحاً لما تكاثر البشر، ولما قامت الحضارة، ولا تعاون الناس.

تشير الآية القرآنية في كل من السور الثلاث إلى روايات مختلفة، منها رواية التوراة التي تقول في الإصحاح الثالث من سفر التكوين في عقوبة الشيطان (الحية): "وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها"... ويقول التلمود: بأن الله قرر أن يجعل للحيوانات سلطة على الإنسان وقوة عليه (وهذا يعني عداوة فتتمكن من قتله)... ويقول إنجيل برنابا[1]: "إن الله نادى الشيطان بعد خديعته لآدم وحواء، فأتى الشيطان ضاحكاً فقال له: لأنك أيها الرجيم خدعت هذين وصيرتهما نجسين، أريد أن تدخل في فمك كل نجاسة فيهما، وفي كل أولادهما متى تابوا عنها وعبدوني حقاً، فخرجت منهم فتصير مكتظاً بالنجاسة". وهذا قرار عداوة أبدية بين الشيطان والإنسان، إذ جعل كل نجاسة يرتكبها الإنسان مردها إلى الشيطان...

أما قوله تعالي في رواية سورة الأعراف: (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) (الأعراف: من الآية٢٤) وهي بنصها في سورة البقرة، فإشارة إلى ما ورد في التوراة عن ذلك في الإصحاح الثالث من سفر التكوين ونصه: "فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها".

وليس في هذه الرواية إشارة إلى بعث أو يوم الحساب.. و يخالف التلمود التوراة في ذلك إذ نص على أن الإله وعد آدم بأنه إذا عاش حياة تقية في الدنيا، فإنه سيعطيه من شجرة الحياة يوم القيامة حيث يعيش إلى الأبد[2]. وإلى ذلك أشارت رواية القران الكريم في سورة الأعراف في قوله (إِلَى حِينٍ).

أما قوله في رواية سورة الأعراف: (قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ) (الأعراف:٢٥) فهو إشارة إلى ما ورد عن ذلك من خلاف بين التوراة والتلمود، حيث نصت الأولى في الإصحاح الثالث من سفر التكون على الحياة والموت فقط، ولم تنص على الخروج (أي البعث) في قوله: "بعرق وجهك، تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود". كما وأعطى نفس المعنى ما ورد في إنجيل

---

[1] إنجيل برنابا صفحة ٦٥.

[2] روايات اليهود لجنزبرغ ج١ صفحة ٨١.

برنابا (الفصل الحادي والأربعون) في قوله "وأذكر أنك تراب وإلى التراب تعود" دون ذكر شيء يتعلق بالبعث.. أما التلمود[1] فأشار إلى البعث في وعد الرب الإله لآدم بأن يعطيه من شجرة الحياة يوم القيامة، حيث يعيش إلى الأبد.. والخلاف بين أهل الكتاب على ما يبدو لنا هو خلاف من يقولون بالبعث، ومن يقولون بعدم البعث، وهم الصدوقيون والأبيقوريون.

ونختم بحث طرد آدم من الجنة بما ورد في رواية سورة طه من قوله: (**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى**) (**طه: من الآية١٢٣**) وهي تشير إلى ما ورد عن ذلك في التلمود[2] عن كتاب آدم الذي أعطاه إياه الملاك رازيل، وأخبره بأن أحفاده إذا قرأوا هذا الكتاب بطهارة وقلوب مخلصة، وتواضع ذهني، وأطاعوا أمره فسيكونون أبراراً مثله (أي مثل آدم) وليس لهذه الرواية ذكر في التوراة.

وأوردت سورة البقرة رواية في قوله: (**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**) (**البقرة: من الآية٣٨**) وهي تشير بذلك إلى ما ورد في إنجيل برنابا[3] من قول الرب الإله لآدم وحواء "أخرجا من الجنة وجاهدا أبدانكما، ولا يضعف رجاؤكما" وهي كذلك تشير إلى رواية التلمود التي أشرنا إليها في رواية سورة طه وليس للروايتين ذكر في التوراة ولا في الأناجيل التي بين يدي.

---

[1] روايات اليهود لجنزبرغ ج١ صفحة ٨١.

[2] روايات اليهود لجنزبرغ ج١ صفحة ٩٠، ٩١، ٩٢.

[3] إنجيل برنابا ص ٦٥.

الفصل السادس

الخلاف على جغرافية جنة آدم وموقعها

جغرافية جنة آدم وموقعها

لم تشر الروايات التي سجلها القرآن إلى مكان الجنة أكان في السماء أم كان على الأرض، لأنه موضوع خلاف بين أهل الكتاب. والقرآن في رواياته يسجل على أهل الكتاب خلاف رواياتهم عليها.

ويفهم من روح المشاهد التي مرت علينا في هذا البحث ونصوصها المدونة في التلمود والأناجيل المحرمة وغيرها، أن الجنة كانت في السماء، وأن المشاهد كلها دارت فيها إلا أن التوراة تختلف في هذا مع بقية المراجع الكتابية، إذ يقول الإصحاح الأول من سفر التكوين: إن الإنسان خلق ذكراً وأنثى على الأرض ... وينص الإصحاح الثاني منه على أن الرب غرس جنة في عدن شرقاً ووضع فيها آدم، فالجنة في هذه الحالة كانت على الأرض في موقع يسمى عدن، وكان في مكان مرتفع في الغالب، حتى يكون الاهباط إلى مكان منخفض ... وقد يذهب القارئ في ذلك إلى اعتبارها في عدن اليمنية، إلا أن ذكر أنهار الجنة الأربعة في القصة، وأنها كانت تخرج من عدن يبعد أن تكون عدن اليمنية مقراً للجنة لخلوها من الأنهار... وقيل إن جنة عدن كانت في دلمون، وهي جزيرة البحرين في أيامنا.

أما أنهار الجنة حسب التوراة، فهي نهر فيشون، واختلف فيه فقيل: إنه دجلة، وقيل: النيل، وقيل: الكنج، وقيل: السند ... ثم نهر جيجون، واختلف فيه أيضاً والمشهور أنه أحد أنهار بلاد إيران، إلا آن بعض الباحثين يذهبون بالظن إلى أنه أحد روافد دجلة والفرات ...

ثم نهر حداقل (ايدجل) وهو دجلة، ثم نهر الفرات وهو معروف، وبذلك تكون الجنة قسماً من الأرض، يشمل إيران وبلاد ما بين النهرين ومصر (أو الهند على رأي)، أو أنها كانت محصورة في بلاد ما بين النهرين، إما في وسطها الشمالي أو في السهول الساحلية الجنوبية على رأي آخر.

لا شك في أن مؤلف قصة الخلق التوراتية يخلط في الكلام عن الجنة، وهو في الغالب يسجل روايات شائعة قديمة في زمانه، مع عدم معرفته إلا بالقليل من أوصاف المنطقة التي يتكلم عنها، فتأمل قوله في الإصحاح الثاني من سفر التكوين: "وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس، اسم الواحد

فيشون، وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب، وذهب تلك الأرض جيد ... هناك المقل وحجر الجزع ... واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش، واسم الثالث حداقل وهو الجاري شرقي آشور، والنهر الرابع الفرات".

فإذا اعتبرنا هذه هي أنهار الجنة الأربعة، وقبلنا برأي الذين يحاولون أن يجعلوا نهر فيشون ونهر جيحون من الأنهار الموصلة لدجلة والفرات، فإن وصف المؤلف للنهر غلط، لأنه يقول: إن هناك نهراً رئيسياً واحداً في عدن يخرج من الجنة، ثم يصير النهر أربعة رؤوس أي أن النهر الرئيسي هو الذي يغذي الأنهار الأربعة الأخرى ... في الوقت الذي نرى فيه الأمر على العكس من ذلك ... فالدجلة والفرات ليسا من نهر واحد أصلاً وإنما يلتقيان ليكونا شط العرب ... أما الرافدان فيشون وجيحون، فإن كانا موصلين فهما من الروافد التي تغذي النهرين ولا تأخذ الماء منهما ...

هذا ولا يمكن أن تخرج الأنهار الأربعة من نهر واحد، إلا إذا كان جريانها على عكس جريانها الحالي، أي من الجنوب إلى الشمال، فيكون بدؤهما في شط العرب، وهذا هراء، لأن واقع الحال غير هذا، فجميع الأنهار الأربعة ذات اتجاه جنوبي وتصب جميعاً في شط العرب بعد اتحادها في نهر واحد، أي أن هذا النهر هو اتحاد الأنهار الأربعة وليس مغذيها ... إن هذا وحده كاف لإظهار أن المؤلف يهرف بما لا يعرف ...

لقد أدى هذا الخلط إلى اختلاف مفسري التوراة على هذه الأنهر اختلافاً كبيراً، إذ يقول الدكتور بوست في قاموس الكتاب المقدس ج٢ -ص ١٩٠ عن نهر فيشون: "واختلف بخصوص موضع هذا النهر كالاختلاف في موضع عدن ... فإذا كانت عدن في الجبال بقرب ينابيع الفرات ودجلة، كان فيشون هو فاسس ... وإذا كانت عدن بقرب مصبي النهرين المذكورين، كان نهر الزاب المنسكب إلى دجلة بقرب القرنة هو فيشون ... ومن الأنهر التي ظن أنها فيشون النهر الهندي ونهر[1] الكنج، والنيل وهيفاسس وغيرها ...

ويقول قاموس الكتاب المقدس لأنجرز صفحة ٨٦٨ ما معناه أن فيشون أحد الأنهار الأربعة التي تنبع من عدن، وإنه ونهر جيحون افترض أنهما كانا رافدين

---

[1] روايات اليهود لجنزبرغ ج١ صفحة ٧٠، ويوسيفوس انتيكي ١ -١٣ وغيرهما من المراجع التلمودية.

يوصلان بين دجلة والفرات، والروافد تسمى في العراق أنهاراً ... ويقول بعض الباحثين: أن نهر فيشون هو نهر بالاكوتسوس القريب من المدينة السومرية القديمة ، أريدو، غير بعيد من بلدة إبراهيم، أور الكلدانية...

إن ما سبق أدى بالمفسرين إلى أن يختلفوا في التفسير، ذلك أن الأنهار الأربعة التي اعتبرها بعض الباحثين أنهاراً للجنة، وهي النيل والكنج والسند والدجلة والفرات، كانت أكبر أنهار معروفة لسكان العالم القديم، وهذا ما حدا ببعض الباحثين إلى اعتبار الجنة واقعة في أراضيها، فالجنة حسب ذلك مشمولة في أراض مصر، ووادي النيل بما فيه الحبشة المعبر عنها بأرض كوش أحياناً، وتشمل أيضاً أراضي ما بين النهرين، وهي أراضي دجلة والفرات، وتشمل إيران باعتبار نهر جيحون من أنهار أراضيها، وهو يصب في بحر قزوين، وقد تشمل الهند، وبذلك فإن الجنة قبل ثلاثين أو أربعين قرناً* كانت الأرض المعمورة في ذلك الزمان ... إن هذا الرأي سيسقط لان قول مؤلف القصة إنه كان هناك نهر في الجنة يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس... الخ. وإن الرؤوس كما ذهب إليه بعضهم هي: النيل والفرات والدجلة وجيحون أو السند، فليس هناك من يقول بأن هذه الأنهار تستمد مياها من نهر واحد أو حوض واحد، وهذا دليل أيضاً على أن الذين يتعبون أنفسهم من مفسري التوراة للوصول إلى الحقيقة إنما يضيعون وقتهم هباء، فلا سبيل إلى تجميع معلومات منسقة تصحح الخطأ الحاصل، لأن المؤلف كما بينا يكتب عن شيء هو يجهله، فكيف إذن نقدر أن الله هو الذي أوحى به إليه...

ويميل بعض مفسري الكتاب المقدس إلى اعتبار الجنة محصورة في أراضي ما بين النهرين، على اعتبار أن دجلة والفرات هما نهرا الجنة الرئيسان، ويحاولون جعل جيحون وفيشون من روافد دجلة والفرات، لتصديق قول التوراة بأن هذه الأنهار الأربعة تنبع من الجنة في أعالي العراق حسب نظريتهم وبذلك تكون قصة اهباط آدم تشير إلى طرده من الجنة التي كانت في أعالي العراق إلى الأرض الواقعة في شرقي العراق، أو الجنوب الشرقي لأن الرب الإله حسب الإصحاح الثالث من سفر التكوين وضع حراسة

---

* بدأت الخليقة، حسب التوراة، قبل حوالي ثمانية وخمسين قرناً.

من الكروبيم ولهيب سيف متقد على الجهة الشرقية من عدن، أي الجهة التي طرد آدم

منها خوفاً على شجرة الحياة من أن يمد آدم يده إليها، كما فعل مع شجرة الخير والشر...

وسيسقط هذا الرأي بطبيعة الحال بعد أن بينا أن الأنهار الأربعة لا تستقي مياهها من نهر رئيسي واحد، كما وصفته التوراة، والعكس هو الصحيح، فالأنهار الأربعة هي التي تكون نهراً واحداً بعد أن تلتقي في مجرى واحد منه.

ويقول ج. ب. بيكي في كتابه أراضي وسكان الكتاب المقدس[1] صفحة ٨١ (طبع سنة ١٩١٤) إن كلمة عدن سومرية ومعناها السهل، فجنة عدن معناها جنة السهل .. ويمكن أن يكون السهل شديد الخصب إن كان من سهول هضبة عالية مثلاً ... ويمكن أن يكون كذلك خصباً إذا كان من سهول المنخفضات كأراضي الدلتا أو أراضي ضفاف الأنهار في المناطق المنخفضة ... فإذا كانت عدن في السهول العراقية السفلى كشط العرب، فإنه لمن الصعب تحديد مكانها حالياً لتغيير المنطقة توبوغرافيا بعوامل الفيضانات منذ ذلك التاريخ البعيد...

ونحن لا نستبعد أبداً أن تكون كلمة عدن عربية الأصل، وأنها كانت تشير إلى عدن اليمانية، وبانتقال الساميين والعرب منهم من الجزيرة العربية إلى الجزيرة الفراتية، أطلقوا اسم عدن على منطقة فيها لتشابه في المعالم كما هي عادتهم، حيث كانوا يطلقون أسماء البلاد التي هاجروا منها على البلاد التي حلوا فيها في فلسطين وسوريا وشمال أفريقيا وغيرها، مع لفت النظر إلى أن عدن اليمانية تعتبر سهلية بالنسبة لليمن الجبلية، كما أن عدن العراقية يشير معناها إلى نفس الشيء بالنسبة لجبال العراق وكردستان الشمالية...

والغالب أن قصة الخلق سومرية الأصل أو بابلية، وأن الكاتب اليهودي الذي اقتبسها كما اقتبس غيرها من قصص الطوفان وغيرها سجل ما استطاع منها دون أن يكون ملماً بالمنطقة التي اشتملتها القصة، بدليل خلطه في منابع الأنهار الأربعة، فجعلها تنبع من نهر واحد، وخلط كذلك في أرض كوش وهو لا يعرف مكانها،

---

[1] .Lands and Peoples of the Bible, P. 81, 1914, by G.B. Baiky

فأدى بذلك إلى اختلاف المفسرين التوراتيين عليها إذ جعلها البعض تشمل المنطقة الممتدة من جنوب مصر، وتحتوي على بلاد النوبة وسنار وكردفان وشمالي بلاد الأحباش "أثيوبيا" وجعلها البعض الآخر بلاداً بقرب نهر جيحون في إيران، واعتبروا تخميناً منهم أن كلمة كوش تحريف عبري لكلمة الكاسيين[1]، والغالب أن المؤلف نفسه لم يكن يفرق بين هذه أو تلك، والفرق بين منطقة كوش الإفريقية والأسيوية كبير جداً...

وواضح جداً أن مسجل القصة التوراتية كان ينقل ما سمعه من أفواه الناس، فأسلوبه التسجيلي أسلوب سامع لا محقق، فاستمع إلى قوله الذي يشعر بالسماع، لا بالتأكد، مما يروى عن منطقة الحويلة ونهر فيشون، وهما المختلف عليهما، وكما بينا قبل قليل لقد قيل عن فيشون إنه نهر النيل، أو نهر الكنج، أو نهر السند، ويقول المؤلف أو الكاتب "اسم النهر الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب، وذهب تلك الأرض جيد، هناك المقل وحجر الجزع " وهذا كلام غير دقيق يدل على أنه يصف سماعاً وليس عن معرفة أكيدة، وأما أرض الحويلة التي أشار إليها فالغالب أنه لا يعرف أين هي ولذلك اختلف مفسرو التوراة عليها...

ويقول الدكتور بوست في قاموس الكتاب المقدس ج١ ص٣٩٨ حويلة بلاد يكثر فيها الذهب والمقل وحجر الجزع، ذكرت على أنها تخم بني إسماعيل. وزعم كالشي، أنها البلاد الواقعة بين خليج العجم وخليج العرب (أي البحر الأحمر، وكان يسمى خليج العرب)...

ولا يمكن أن تكون الجزيرة العربية هي أرض حويلة لعدم انطباق وصف التوراة لنهر فيشون عليها، إذ تقول بأن نهر فيشون محيط بجميع أرض الحويلة، فأين فيشون من جزيرة العرب التي لا يحيط بها أي نهر من الأنهار، فضلاً عن أن فيشون اعتبر من روافد دجلة أيضاً، وبذلك لا ينطبق عليه هذا الوصف. وأعتبره بعضهم النيل أو الكنج، ولا يحيط أي منهما بجزيرة العرب أو بغيرها فأي خلط هذا من كتّاب التوراة ومفسريها؟!

[1] Unger's Bible Dictionary P. 231.

ويقـول قـاموس الكتـاب المقـدس لانجـرز صـفحة ٤٥٩ Unger's Bible Dictionary Page 459

"قد يكـون معنـى حويلـة رمليـة، ويشـار إليهـا علـى أنهـا مـن بـلاد الـذهب والمقل والجزع ولا يجوز خلطها مع حويلـة اليقطانيين (العـرب) أو حويلـة الكوشيين، وهـي علـى ما يظهر الإقليم الذي جاوز بابل وكان علـى حدها في إتجاهك نحو آشـور، وهـو بذلك يناقض ما ذكره بوست في قاموسه المشـار إليـه أعـلاه، ولا يشـفي غليلاً. إذ لا يشـير إلى مراجع عن المنطقة التي يقترحها تقول بشهرتها بالذهب والمقل والجزع.

والمشهور عن المقل أنه نـوع مـن الصـمغ منـه العربـي ومنـه الهنـدي، وهـو معـروف علمياً بـاميريس كوميفـورا Amiris Commiphora وهـو مـن الفصيلة النباتيـة المسـماة روتاسـية، ويقـول الـدكتور بوسـت في قـاموس الكتـاب المقـدس ج٢ ص٣٦٤ عـن المقـل أيضـاً: "وظـن بعضـهم بـأن المـراد بالكلمـة العبرانيـة الأصـلية هـو الـدر" ويقـول قـاموس الكتـاب المقـدس لانجـرز ص٧٣٣ بـأن المقـل ذو عـبير يحصـل عليـه مـن شـجرة مـن بـلاد العرب وبابل وميديا والهند، وقيل إنه بنفس لـون المن، وتجعـل النسـخة السـبعونية للتـوراة المقل بأنه العقيق، والفرق بين الصمغ والدر والعقيق كبيرة، فأوصـافها غـير متشـابهة، ومواطنها ليست واحدة وتعتبر هذه الأقوال جميعاً تخميناً....

وتأمل أيضاً قول الكاتب أو المؤلـف:" واسـم النهـر الثـاني جيحـون وهـو المحيط بجميـع أرض كـوش" والخـلاف علـى النهـر وعلـى أرض كـوش واقـع أيضـاً، إذ يقـول الـدكتور بوسـت في قـاموس الكتـاب المقـدس" ج١ ص ٣٤٦ "جيحـون اسـم نهـر في جنـة عدن، يظن أنه نهر أركسس الذي يصب في بحر قزوين، ومعنـى جيحـون سـريع السـير، وذلك من خصائص نهر أركسس...ويظن البعض أنه نهر أركسـس الـذي يسـمى أيضـاً جيحون... ويقول قاموس الكتـاب المقدس لانجرز ص ٤٠٦ عن جيحون: "يظن بأنه ونهر فيشون نهيران كانا يصلان الفرات بالدجلة، وكانا يعتبران من حوض النهر".

ونعلق نحن على جميع ما سبق ونقول: سـواء أكانـت جنـة عـدن في العـراق أو في الدنيا القديمة، فهلا تبادر إلى أذهان رجال الـدين اليهـود أن يتسـاءلوا مـاذا كـان مصـير هذه الجنـة الـتي غرسـها الـرب بنفسـه في عـدن؟ وكيـف بـادت إن كانـت مـن صـنعه هـو كما يبيد ما يصنعه الإنسان؟ ومـاذا كـان مصير شـجرة الحيـاة الـتي غرسـها الـرب في

وسط الجنة، والتي تقول القصة التلمودية: إن الله أكل منها، وكذلك الملائكة، تلك الشجرة التي كانت تعطي الحياة الأبدية للآكل منها، ماذا حدث لها بعد أن حرسها الله بالكروبيم ولهيب سيف متقد في الجهة الشرقية من عدن؟ فهل ماتت شجرة الحياة هذه؟ وكيف ماتت إن كانت شجرة الخلود؟ ولماذا لم تمت شجرة معرفة الخير والشر التي قيل إنها شجرة التين، وقيل إنها الحنطة أو التفاح أو الموز أو العود أو الكافور، فهي جميعاً معروفة وموجودة لم تندثر، بل ما زالت تتكاثر على الأرض؟ وماذا حل بلهيب السيف المتقلب وبالكروبيم الذين وضعهم لحماية شجرة الحياة من آدم ومن ذريته طبعاً. قد يقول قائلون دون سند:

إنها لم تمت ولكن الله رفعها إلى السماء فهي في السماء، وبذلك تكون الجنة في السماء، وليست على الأرض، وسيؤدي هذا القول بدوره إلى تكذيب التوراة... إن روايات التلمود المختلفة، ومشاهده ومشاهد أناجيل حنا الإنجيلي، وبرثولوميو تجعل الجنة ومشاهد الخلق في السماء، وبذلك فهي تناقض التوراة التي ناقضت نفسها في إصحاحيها الأول والثالث من سفر التكوين كما مر معنا مراراً في هذا الكتاب، وبذلك يزداد التعارض بين هذه الكتب في أخبار خلق آدم وحواء، وطرد إبليس وطرد آدم وحواء من الجنة، تلك الأخبار التي أوردتها مراجع أهل الكتاب على أنها ليست قصة تعليمية وإنما هي وحي كل كلمة فيها صحيحة، وكل كلمة فيها من قول الله، فكانت من العقائد ولم تكن من القصص، وحاشا لله أن يقول مثل هذا التهافت، وتعالى الله وتبارك حيث يقول في رسالة الإسلام الخالدة، منذ أربعة عشر قرناً تنديداً بهذه الأقوال: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (الكهف:٥١).

الفصل السابع

حقيقة الخليقة وغاياتها

حقيقة الخليقة وغاياتها

انتهينا من تحليل قصة الخلق كما وردت في التوراة والتلمود، وما كان بين أيدينا من كتب أهل الكتاب من الأناجيل المعتبرة والأبوكريفية، وكما سجلها القرآن في سوره المختلفة، مع تعليقاته اللاذعة عليها، وعلى أمثالها من القصص الكتابي، وكان تسجيله لها بأمانة علمية حتى لا يتهم بالإفتراء على محيط النبي، وبذلك حفظ للمؤمنين في زمانه، ولغير المؤمنين في غير زمانه، صورة طبق الأصل لمعتقدات بيئة النبي، فأدى بعمله هذا أجل خدمة للفكر البشري، وحافظ على هذا التراث الضخم من الضياع، وقدم لنا صورة عما كان هذا المحيط غارقاً فيه من تفكير سقيم وجهالة بعيدة وبعد عن إعمال الفكر في اكتشاف الصحيح من الضلال، وما كان فيه من وثنية مقيتة، وعناد يهودي صلف، وتكبر شامخ على جميع الأمم، واحتكار للوحي الإلهي المدعى، وللنبوة، وتحقير لغيرهم من البشر، ففضحهم القرآن وأظهر متناقضات كتبهم ورواياتهم وشهّر بجهالتهم ونعتهم بالمضلين، وبيّن أن ما كانوا يتيهون به على الناس بأنه وحي من الله لم يكن إلا زيفاً أصيلاً وخداعاً للعالم بأسره، وكم يعجب المرء كيف استطاع اليهود أن يضلوا العالم في قصة خلق آدم بمثل هذا التضليل.

لقد جعلت قصة خلق آدم في الكتاب المقدس وغيره من الكتب الكتابية الخلق يشبه عملية جبل الطين لعمل الفخار، فالرب الإله حسب زعمهم اتبع نفس الأسلوب الذي يتبعه الفخارون، فأحضر التراب وأسقط المطر، أو أحضر المياه من مياه أنهار الجنة الأربعة، وصبه على التراب وجعله طيناً، ثم تركه مدة اختلف فيها حتى بلغت على حد قول المسيح في إنجيل برنابا خمسة وعشرين ألف سنة، وكان الطين من ألوان مختلفة فيه الخبيث والطيب، والمنتن والمالح والحلو، حتى يخرج الناس بألوان مختلفة وطبائع مختلفة... بهذه السهولة تصور مخترع القصة التي قد تكون في حقيقتها أكثر من قصة في أصلها، ولكنها جمعت حتى خرجت قصة واحدة تصور عملية الخلق التي لا يزال إنسان القرن العشرين يحاول برغم مضي أكثر من ثلاثة آلاف عام على القصة لاكتشاف سر الخلق، وبالرغم مما أقامه من مختبرات، ووصل إليه

من تقدم في علوم الأحياء والطب والطبيعيات والكيمياء والذرة والكهرباء، فإنه لا يزال بعيداً جداً عن اكتشاف سر الخلق... إلا أن مؤلف أو كاتب قصة الخلق في سفر التكوين، ورجال الكنيسة وأحبار اليهود، يدعون أن الله هو الذي أوحى بهذا السفر، وأن المعلومات المدونة فيه هي من علم الله الباهر، الذي أوحاه إلى كتبته، فتاهوا فخراً على الدنيا وشعوبها، وأصبح عقيدة يؤمن بها عشرات الملايين من البشر...

يقول أحد علماء الأنثروبولوجي في كتابه (طبائع البشر وعلاقاتهم بالنشأة الحيوانية الأولى وتطورها) واسمه لويس ليكي[1]، في محاضرة ألقاها في إحدى أكاديميات العلوم والإنسانيات، سنة ١٩٦٧، يقول بأن الإنسان كان يعيش على سطح الأرض منذ عشرين مليون سنة، وقد اكتشف الإنسان الأول في كينيا وأسمه (كيني بيثيكس أفريكانوس) Kiny Pithecus Africanus. وإنه كان إنساناً لم يتطور من بابون (قرد)... وإذا قدرنا أن الإنسان عرف الكتابة والتسجيل منذ ستة وثلاثين قرناً فإن من المستحيل على إنسان القرن السادس عشر قبل الميلاد، أن يكتشف كيف كان الخلق قبل عشرات الآلاف من القرون قبل الميلاد... فإذا كان الله هو الذي أوحى إليه بكيفية الخلق، فإن المعلومات التي يوحيها الرب يجب أن تتناسب وكرامة علم الرب، ويجب أن تكون فوق شبهات العلم في جميع العصور، وهذا ما لا يتوافر في تفاصيل الخلق التي روتها التوراة، وأشاعها أهل التوراة في العالم حتى عمت وأصبحت من العقائد الدينية حتى اكتشف أخيراً ما فيها من إدعاء بالعلم، ومن زيف جعل مروجيها أقرب إلى المضلين منهم إلى رجال الدين والعلم الصحيح...

إن قصة الخلق كما وردت في التوراة وغيرها، تسيء إلى الوحي الإلهي كثيراً إذ اعتبرت وحياً من عند الله، وهي من التهافت بحيث تنهار في الحال أمام البحث العلمي، إلا أنها من ناحية أخرى تعتبر طريفة وهامة بالنسبة لتطور التفكير البشري، وتقدم أبحاثه، فهي تعطينا صورة لطيفة وأمينة لما كان يقوله الناس قبل ثلاثين قرناً عن الخلق، وهي بذلك تظهر مستوى الفكر البشري في ذلك الزمان، فننظر إليه اليوم بابتسامة فيها الكثير من الإرتياح لما فيها من طرافة وسذاجة، ومحاولة جعلت قصة الخلق تبدو في نظرنا اليوم كأنها كوميدية تراجيدية بدأت مرحة في جلسة الإله مع

---

[1] راجع ما نشر عن ذلك في صحيفة طهران جورنال بتاريخ ١٩٦٧/١/٩.

الملائكة في مجلس السيرافيم، ويبدا فيها الحكم في السماء ديموقراطياً حيث يستشير الإله الملائكة في خلق آدم، ثم تتجه نحو الكوميديا حينما يتهكم الملائكة على الرب، فيغضب عليهم ويحرقهم، ثم يخلص الملاك لابيل فريقه من الإحراق بموافقته على فكرة الخلق هو وملائكته، ثم تأتي عملية الخلق وانشقاق إبليس وملائكته على الرب، فيطرده من مملكة السماء لرفضه السجود لآدم فيهبط إلى الأرض، ثم يدخل الإله آدم وزوجه في جنة عدن، ويحذره من الأكل من الشجرة المحرمة، ثم يعود إبليس في كوميديا جديدة إلى الجنة، ويغوي حارس الجنة، ويدخلها ويفسد آدم ويوقعه في الخطيئة، ثم تتجه إلى التراجيدي في سقوط آدم ومحاكمته والكوميك تراجيك في محاكمة إبليس، وتكون النهاية مبكية ومضحكة معاً فآدم وحواء ينتحبان وإبليس يضحك، والإله حانق على آدم وإبليس فيقرر إدخال كل نجاسة في البشر في إبليس إذا تابوا عنها، وتنتهي المأساة بفشل الرب الإله في إدارة مملكته حيث عصاه رئيس ملائكته، وكذلك عصاه فريق من الملائكة، كل ذلك لعدم قبولهم السجود لآدم الذي خلقه الرب على أنه أحسن منهم، إلا أن آدم عصاه بدوره، وكانت الخاتمة كما تقول القصة طرد الجميع من مملكة السماء، وعودة الإله إلى وحدته فيها مع من بقي على ولائه له، مع استمرار خوفه على شجرة الحياة، ولذلك تنتهي كل المشاهد بالكروبيم يحرسونها، والسيف الملتهب يتقلب حولها حتى لا يصيبها الإنسان .. يالها من نهاية فاشلة.

يبدو الأمر عجيباً حقاً فكيف نشر اليهود والنصارى هذه الخرافة في العالم، حتى غدت من العقائد البشرية، وقامت عليها دياناتان، فاعتبرت خطيئة آدم سبباً في شقاء الجنس البشري وحرمانه من رحمة خالقه الذي لم يغفر له خطيئته قروناً طويلة، حتى اضطر الإله – حسب زعمهم – إلى إرسال ابنه الحبيب إلى الأرض، فضحى به وتركه يسقط في يد أعدائه في تفاصيل عجيبة أيضاً. إذ يقع ابن الإله في يد أعدائه ويراقبه أبوه من السماء، فيتركه في يدهم يضربونه ويبصقون في وجهه، ويصفعونه ويركلونه ويسوقنه إلى الصليب مهاناً محقراً، والرب الإله يبسم راضياً لأنه يضحي بابنه ليغفر خطيئة آدم، وليخلص الجنس البشري من خطيئة أبيه وأمه، وهو الذي لا

يسأل عما يفعل، ولو غفر للجنس البشري أو لآدم بعد خطيئته لوفر على الدنيا هذه المأساة التي يتذكر فيها الابن أباه فيناديه وهو على الصليب:

"إلهي لم شبقتني؟!!"، فلا يستجيب الأب له، ويتركه ليصلب، ثم تقول القصة بعد ذلك إنه أحياه ورفعه إلى السماء ليكون بجانبه ... وهكذا تنتهي هذه المأساة التي ليس لفلسفتها أول من آخر، قامت على أسطورة آدم، وانتهت بمذابح وشرور لم تنته برغم مرور عشرين قرناً عليها، وكان من حصادها خلود الحقد والكراهية بين الناس، وحدوث مجازر لا تزال آثارها ملموسة برغم انقضاء قرون عليها، ووصول الشيطان إلى أوج مجده في مملكة الدنيا، وأخشى أن يمتد مجده قريباً إلى مملكة السماء فيفسدها كما أفسد الأرض ...

وإني لأتساءل: ماذا أفاد الجنس البشري من تعميم خرافة قصة الخلق في الدنيا، وفساد مملكة السماء، وانقسامها على الإله؟ إلا أن شملت لعنتها البشر في ظروفهم الحياتية بأسرها، وتطرقت إلى سيكولوجية التربية، وتعمقت في العقائد البشرية، حتى أثرت في تهذب الإنسان فأصبح الشيطان ذا وجود حقيقي في العقائد المسيحية واليهودية، حتى كاد الإنسان أن يكون هو الشيطان على الأرض. ولقد تطرق ذلك آلياً إلى العقيدة الإسلامية، واعتبره اليهود مكوناً أساسياً في حياة الإنسان، ويدونه ينقرض الجنس البشري، وهو لدى المسيحيين إله الدهر، وزاد الطين بلة القول بأن الرب الإله قرر طرد آدم وزوجه إلى الأرض مع الحية (الشيطان)، على أن يكونا أعداء بعضهم البعض، فتأصل هذا المفهوم في نفوس البشر، وتهذب الإنسان مع أخيه على أنه عدوه، وليس أخاه، فقويت عناصر الشر، وأنّت الإنسانية من مفاهيم العداوة القائمة بين الإنسان وأخيه، وأصبح الإنسان والشيطان والرب أعداء بعضهم البعض، فحلت المصائب على الأرض، فبقعت بالدماء، وعم الظلم والفساد... ألا ليت شعري لو انقلبت الآية، فكانت قصة الخلق تمثل الله أستاذاً لآدم، وأظهرت أن خطأ آدم كان ضرورياً لصقل جهازه التفكيري (عقله)، واعتبرت أن الله هو الذي يهديه في حالات خطئه، وأنه يعده لحمل رسالة تعمير الكون، بل الأكوان، وأن في هذه الرسالة كل الخير لآدم وأحفاده من بعده، لأن الخلق أصلاً إنما قام على الخير ولم يقم على الشيطنة وعمل الشر، إذن لكان للإله صورة غير الصورة التي أخرجها من أخرجها في سفر

التكوين، ولكان للبشرية والإنسانية أيضاً تاريخ أكثر زهاء، وأقل شقاء من تاريخها الذي سطرته للآن...

هذا وبالرغم من العقيدة الشائعة بأن الإنسان عدو للإنسان، فإن عوامل الخير الكامنة في الإنسان تكذب هذا بصورة واضحة، إذ يدل كل شيء في الوجود على أن ما حققه الإنسان في ميدان الرقي والحضارة، لم يكن وليد شيطنته، وإنما كان حصيلة بذار الخير المتأصلة في نفسه منذ خلقه، فكان تعاون الإنسان مع أخيه هو العامل الأول في استمرار الحضارة وازدهارها.. ان تعاون الذكر مع والأنثى يمثل تعاون البويضتين المتحدتين، فلولا اتحادهما لا ندثر الجنس البشري... ولولا تعاون الفرد مع أخيه لما قامت الأسرة، ولولا تعاون الأسرة لما قام المجتمع ووجدت الشعوب، ولولا تعاون الشعوب لما قامت الحضارة... ولم يكن تقدمه الباهر، واكتشافاته العظيمة الا بهدي خالقه، وليس من فعل عناصر الشر فيه، وإنما هو من حصيلة مواهب ذهنه الذي أعطاه الله القدرة على التفهم والبحث والاكتشاف والإفادة مما يكتشف، حتى يتم تطوره حسب ما قدر له...

أما ما يبدو أمامنا من عداء الشعوب للشعوب في سبيل السيطرة، فهو نتيجة حتمية لتربية الصغار بأن الله بعد أن طرد ابويهم من الجنة، قرر أن يوقع العداوة بينهم، وأن كبير الملائكة عصى الله، وأن الإنسان يجاهد في هذه الحياة ضد الله، ليصبح إلهاً مثله، وأن الإله يخاف من الإنسان، ولذلك أبعده من مملكته خوفاً على نفسه منه، وجاء زمان كانت بعض الفرق[1] المسيحية تقول بأن الشيطان هو الذي خلق الإنسان على صورته، ووجد من البشر من يعبد الشيطان، ولا يزال يعبده، ان مثل هذه التعاليم تعلم الإنسان الطفل العصيان، وتقتل في نفسه كل احترام للمثل الأعلى، بل وتعمل على إلغاء وجوده، فما يكون البشر دون مثل أعلى يتطلعون إليه، ويحاولون الوصول إليه، باحتذاء مثاله الذي لا يمكن إلا أن يكون لوحة محببة من الخير والجمال والحنان، والمحبة والعلم، كل ذلك في نور الإله العليّ القدير، الذي هو نور السماوات والأرض... والإنسانية على حقيقتها هي روح الله في الإنسان الذي يهديه للخير في ظل علم نافع وحياة رغده ومجتمع متآخ متعاون، يبني للمستقبل، ولقد بدأ البناء في مملكة السماء

---

[1] إنجيل حنا الإنجيلي ص١٨٩.

على الأرض التي هي في حقيقتها الفلكية من أزهى ممالك السماء...إن مثل هذه الصورة تجعل الله يقرب الإنسان منه ولا يبعده عنه... إنها صورة تظهر علاقة الخالق بالمخلوق، وهل يخلق الله المخلوق ليخرج عن الطوق، ويكون مثلاً لفشل تحقيق أهداف الخلق...

وما دام هذا المخلوق لم يخلقه الله راقياً طفرة واحدة، فإن علينا أن نفهم سر التطور والترقي للإنسان، وهل يمكن ذلك دون خطأ مستمر ومغفرة مستمرة، ولكن جعل الخطأ خطيئة لا يجوز إلا إذا كان مرتكب الخطأ يعاوده، وهو يعلم يقيناً أنه يرتكب خطأ مؤذياً. لم يتوفر ما سبق في قصة آدم التي أظهرت آدم واقعاً في الخطيئة لذنب لا يستحق كل هذا الغضب من الإله، فيحمل ذريته أيضاً خطيئته، ويترك أحفاده دون مغفرة مئات القرون، بل وآلافها، بينما تدل تشاريع الله على غفرانه ذنوباً أين منها خطأ آدم بأكله من الثمرة المحرمة، وما أروع التشريع الإسلامي حيث يقول: "لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار"...

إن أسلوب التربية الذي يزيل أثر الشيطان من الذهن البشري ويوقف تصرفه بأساليب الشيطان التي ابتدعها الحمقى، هو الذي يعيد إلى الإنسان كرامة خلقه، لترقيته وإخراجه من حيوانيته، وكم يأسف المرء أن يرى الفكر اليهودي يشوه الصور الكريمة الواجبة لله، حيث أظهر المثل الأعلى يتصرف بأخلاق الطغاة الأقدمين من ظلمة الملوك الذين كانوا يحكمون البشر على أنهم آلهة، فجعلوه يغضب ويندم ويحزن وينتقم، ويصارع ويأكل، وجعلوه يقوم بنفسه بدفن أحبائه، ويستشير حاخامات اليهود لحل المشاكل، وجعلوه يدرس ثلاث ساعات كل يوم في التوراة، وجعلوا منه عجيبة حقاً لا تتلاءم مع ما تمثله كلمة إله من معاني الحكمة والعظمة، والقدرة والعلم والمحبة والرحمة والحنان، والإدراك العظيم، والإبداع في الخلق، وتدبير الكون، فهو المثل الأعلى اللانهائي للكمالات العقلية. فأي فارق هائل جبار بين ما يقدمه فكر منحل أسطوري، وهذا الذي يقول به الفكر الإسلامي العظيم.

الفصل الثامن

موقف الفكر الإسلامي من خلق الإنسان

- نشأة الخلق جرثومية
- الخلق من الأرض
- النظر في بدء الخلق
- بناء المجتمع
- خلق لكم من أنفسكم أزواجاً
- الخلق من الطين
- التطور والطفرة
- الخلق من الماء
- خلق كل دابة
- الإنسان لم يكن شيئاً مذكوراً
- البعث
- خلق الموت والحياة
- الحض على الأخذ بأسباب العلم

موقف الفكر الإسلامي من الخلق
كما أراه بعد هذه الدراسة

نشأة الخلق جرثومية:

أعلن الفكر الإسلامي موقفه مما كان يردده محيط النبي عليه السلام من أهل الكتاب والعرب عن خلق الإنسان وذلك في الآيتين الأوليين من أول سورة أوحيت إلى النبي عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}١{خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ}٢{**) (العلق: ٢،١) وفي هذا القول تقرير بأن الإنسان نشأ نشأه جرثومية على هذه الأرض من منشأ صغير حقير، في نظر الجهلاء من الناس وهم أغلبيتهم، وأن الله الحكيم العظيم جعل منه أعجوبة الخلق بأسره في مخلوقاته الحية، وعلى رأسها الإنسان...

الخلق من الأرض

ثم تلا ذلك في سورة النجم: (**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ**)(النجم: من الآية٣٢) وفي ذلك تنبيه للسامعين بأن الله أعلم بهم من أنفسهم، إذ هم يجهلون في الواقع كيف أنشأهم من الأرض، أي من عناصرها وعلى ظهرها، وكيف سيّر حياتهم وهم في دور الجنين حينما كانوا أجنة في بطون أمهاتهم، فلا شك في أن الذي قدر تنظيم هذه الدورة الحياتية أعلم بها من أنفسهم لأنهم يجهلون كيف قدر هذا التنظيم.

ثم ذكرت سورة "عبس" تنديد القرآن بالإنسان الكافر وهو الجاهل الذي غطى الجهل على نور بصيرته فيقول: (**قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ}١٧{ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ}١٨{ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ}١٩{ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ}٢٠{ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ}٢١{ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ}٢٢{**) (عبس: ١٧ -٢٢) وكان هذا التنديد به لأنه لا يفكر من أي شيء خلقه خالقه، ويجيب القرآن على ذلك كأنه يشرح لمن لم يكن يريد أن يفهم بأن الخالق قدر خلق الإنسان من نطفة جرثومية، فقدر دورة حياته على الأرض، وفي الأرض ثم وهبه عقلاً نما نموه الجسماني، ينير له طريقه في الحياة، ثم قدر له انتهاء طاقته

الحياتية فيعيده إلى التراب مقبوراً مكرماً في موته، وغير متروك للسباع والطير تنهش جسده بعد موته، فالذي يفعل ذلك ولا يدري الإنسان كيف يفعله باستطاعته أن يعيد إحياءه إذا شاء ومتى شاء، لأن القادر على فعل الشيء قادر على إعادة فعله متى شاء... وكان ذلك لتقريب فكرة ممكنات البعث إلى عقول السامعين....

ثم قرر القرآن في سورة التين في قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}٤{ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}٥{) (التين: ٥، ٤) إن خلق الإنسان صمم على أن يكون على أحسن تقويم من حيث الخلق عملياً وواقعياً، وهدفاً وغاية، فهو قائم على الخير أولاً، وهذا يشمل أهم عناصر الخير، وهي عقل ينتج الحب والحنان والرابطة الإنسانية، وجمال الخلق، والعدالة في الخلق، وإبداع الخلق فسيولوجياً ومورفولوجياً وسيكولوجياً في رسالة تهدف إلى إعمار الكون يستطيع حملها ... وأعطاه الله في نفس الوقت حرية التصرف بحيث يمكن أن يرتد إلى أسفل سافلين إذا لم يكن من الذي آمنوا بخالقهم ورسالات رسله، وعملوا الصالحات فيحق له الثواب، ويحق عليه الجزاء حسب تصرفه ...

وورد في سورة المرسلات قوله تعالى: (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ}٢٠{ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ}٢١{ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ}٢٢{ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ}٢٣{) (المرسلات: ٢٠ -٢٣) وفي ذلك سؤال تعجب باستنكار للسامعين من المنكرين يقول ألم يخلقكم خالقكم من ماء مهين محتقر في نظركم، فأصبح هذا الماء بتقدير الخالق يستقر في قرار مكين هو رحم المرآة إلى وقت معلوم، يحدث خلاله عملية اتحاد بويضة الذكر ببويضة الأنثى خلال وقت مقرر، ثم يحدث نشوء الكائن الحي متدرجاً في بيئته هذه في بطن أمه إلى وقت معلوم، ثم يخرج هذا الكائن منه، ويستمر نموه حتى يصل إلى نهاية مراحله المقدرة، فأنعم بالمقدر القادر وهو الله على تقديره وقدرته....

النظر في بدء الخلق

وتحض سورة الطارق الإنسان المخلوق على النظر في خلقه، ومم كان خلقه فتقول: (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ}٥{ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ}٦{ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ}٧{ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ}٨{) (الطارق: ٥ -٨)

وهي تحضه على النظر العميق في كيفية خلقه وتعطيه الوسيلة في البحث كمن يعطي مصباحاً لتلميذه ويقول له اكتشف المجهول في الكهف الذي أمامك، وستجد طريقاً على يمينك، وآخر على يسارك للخروج منه بعد الفراغ من الأول، فانظر ماذا ما ترى، لتعلم سر طلبنا إليك أن تدخل فيه...

إن في هذه الآيات دفعاً للسامع لأن ينظر في خلقه بإمعان، مع بيان أن خلقه كان من ماء دافق (المني) وهو يعرف من أين يتدفق ... وبين له مخرجه فكأنما يطلب منه أن يكتشف بقية المراحل، وهي كيفية تكوين المني، وعناصر تكوينه، ومنطقة تكوينه، وسريانه ومجاريه وكيفية تدفقه، فإذا فهم ذلك علم أن الذي قدر كل ذلك وحققه في خلقه للإنسان قادر على إرجاعه مرة أخرى إذا شاء ومتى شاء ... لقد بين القرآن كل ما سبق بأسلوب مختصر مفيد يتحمله عقل الناس في ذلك الزمان، وما بينه بالنسبة لزماننا هذا يكون دائرة اختصاص بأسرها في فرع من فروع الطب من المعرفة الإنسانية.

وفي سورة يس تقرير للخلق الجرثومي، وتوجيه للإنسان بشيء من التأنيب وإيقاظ الوعي لدى المتغطرسين، في قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) (يس:٧٧) إن في الآية تقريعاً للملحدين الخارجين عن طريق الإنسانية المميزة بالعقل الفاحص إلى طور الحيوانية المميزة بقلة الإدراك، لضعف عامل التعقل، فهي تقول للإنسان ألم تر أن الله الخالق خلقك من نطفة هي نقطة ماء (وهي المني) بمنتهى القلة والضعف، يقتلها أضعف العوامل كتعرضها للهواء والشمس والتلوث والمكروبات وغيرها، فإذا بخالقك يجعلها حسب تقديره ذات قوة خارقة في جسدها، وعقلها بعد اكتمالها، أي بعد أن تصبح إنساناً فإذا الإنسان يخيل إليه أنه أصبح خصيماً لخالقه بدلاً من أن يكون شكوراً، إن هذا لهو الغباء الشنيع....

بناء المجتمع

وبينت سورة الفرقان في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً) (الفرقان:٥٤) إن خلق الإنسان كان جرثومياً وكان من الماء (أي المني) وهو جرثومي يظهر للناس على أنه كالماء، وأنه بعد خلقه جعله نسباً ينتسب

إليه أبناؤه وأحفاده، وصهراً لغيره مما يقوي أواصر القرابة والرحم والإنسانية، وكان الله بطبيعة الحال قديراً ولا حد لقدرته وحكمته.

خلق لكم من أنفسكم أزواجاً

وبينت سورة فاطر في قوله تعالى: **(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (فاطر:١١).**

أي أن الله خلق الإنسان من تراب، أي من عناصر الأرض التي تمسك الماء (إذ لم يقل من رمل، والرمل أجرع لا يمسك الماء ولذلك لا يصلح لظهور الحياة) ... ثم قدر الله تكاثر الإنسان الجرثومي من نطفة أي من مني صغير الحجم، يبدو قليل الكمية في عين الناظرين ثم جعل من هذه المادة الذكر والأنثى يتزاوجون فيجهل الإنسان ما يكون حمل أنثاه ومتى يكون وضعها، ويجهل الإنسان كم من العمر سيعمر، أو كم سينقص من عمره المقارن بأعمار غيره من أشباهه، والله يعلم ذلك بسهولة لأنه هو الخالق المقدر لكل ذلك.

الخلق من الطين

وبينت سورة الأنعام في قوله تعالى: **(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) (الأنعام:٢)**، إن الله هو الذي خلقكم أي خلق الكائنات الحية ومن ضمنها الإنسان من طين أي عناصر الأرض التي تمسك الماء ومن المادة الحية وغير الحية التي تغذي النبات والحيوان والإنسان، وتلعب أهم دور في استمرار خلقه... ثم قرر الإله للإنسان عمراً وللكائنات كذلك عمراً محدداً في الحياة الدنيا، ويشبه ذلك الدورة الحياتية... كما وان لديه أجلاً مقرراً لا يعرفه إلا هو للحياة الأخرى... الآية تخاطب الكافرين خطاب إيقاظ لوعيهم وكأنما تقول لهم إن للكون ولكم دورة حياتية في هذه الدنيا أنتم تجهلون كل شيء عنها كما أنكم تجهلون الدورة المجهولة الأخرى الشاملة للمصير بعد الموت والبعث والنشور والحساب فكيف بعد هذا وأنتم أجهل الجاهلين تمترون، أي تشكون في الله وقدرته، وتكذبون، مع أن

الذي وهبكم الحياة قادر على إحيائكم بالصورة والكيفية التي يقررها، والتي تجهلونها كما جهلتم كيف خلقكم أول مرة برغم أنكم أحياء تشعرون بذلك....

التطور والطفرة Evolution and Mutation

وورد في سورة "المؤمنون" قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ}١٢{ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ}١٣{ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}١٤{ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ}١٥{ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ}١٦{) (المؤمنون: ١٢ -١٦)، إن في هذه الآيات تقريراً بخلق الإنسان من الأرض وعناصرها في نشأه جرثومية، وبياناً بأسلوب جميل للمستمعين من مجتمع النبي عليه السلام، في كيفية تطور الإنسان من نشأته الأولى من الأرض وعناصرها إلى النشأة الجرثومية المعتمدة على الأرض في غذائها، والمستمر بقية حياته، والمتطورة من البويضة إلى النشأة الكاملة، وفيها تحفيز لرجال العلم لمتابعة الكشف عن أسرار الدورة الحياتية والإنسانية وغيرها، بعد أن أعطاهم الله المفتاح فبين أن النشأة هي من الطين، أي من عناصر التراب والماء، وهما شرطان أساسيان لنمو الكائن الحي، وبعد ذلك يبين أن النشأة هي من نطفة تتكون بعد اتحاد بويضة الذكر مع بويضة الأنثى في بيضه واحدة، تتحول إلى علقة، ثم تطور العلقة إلى مضغة (أي كتلة صغيرة من اللحم) ثم تنبت عظامها، وتكتسي لحماً حتى يكتمل تكوين الجنين في نظام آلي دقيق، وإلهام عجيب تبنى فيه بقية مكونات الجسد من الرأس والبطن والمعدة والشرايين واليدين والقدمين، وأعجب ما فيه أن الخلايا الحية تنسج خلايا من غير نوعها، فإذا بالعلقة إنسان كامل في آخر مرحلة من تطوره وفي أجمل وضع وأكمله، فتبارك الله أحسن الخالقين ...

هذا والعلم برغم تقدمه لم يكتشف للآن أسرار مركبات المادة الحية التي في الإنسان وسر آليتها، ويتفق العلماء على أن الإنسان لا يزال بعيداً جداً عن اكتشاف سر الخلق ولكنه توصل إلى الوقوف على كثير من آلية الخلق... إن في هذه الآيات بالنسبة لعقلية القرن السادس والسابع إعجازاً بيانياً، وبالنسبة لعقليات القرن العشرين لبنات من أسس الخلق الإنساني تقوم عليها علوم الأجنة والفسيولوجيا والتشريح الطبي

وغيرها، فكأنها كانت تدعو الإنسان الواعي لأن يسير في الكشف العلمي الدقيق عن كل طور منها فلا عجب أن يكون الأطباء المسلمون في القرن العاشر وما بعده أساتذة العالم في جميع العلوم والطب على رأسها ...

ونختم آيات سورة "المؤمنون" بأن الله قدر بعد اكتمال نشأة الإنسان الجسمانية والإدراكية أن تخبو طاقته الحياتية، وتنحل وتموت، ثم يصير بعد ذلك البعث يوم القيامة لحياة أخرى لا يعلم كنهها ولا كيفيتها ولا تفاصيلها إلا هو....

من الماء كل شيء حي

أكدت سورة الأنبياء أن الماء هو عنصر الحياة الأساسي للكائنات الحية في قوله تعالى: **(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)(الأنبياء: من الآية٣٠)**، ولقد قام علم الأحياء على أساس هذه الآية وهي في حد ذاتها تشمل علماً واسع الفنون، بعيد الغور، وتحتوي كل عجيب مبدع في كافة مظاهر الحياة الكونية ... والماء يشمل مركباته، وهي تحوي في أسرارها العجيب العجاب، وحسبك أن تعلم أن هناك اليوم من يقول بأن الله خلق الكون المادي من بروتونة متعرية من ذرة الأيدروجين، وأن ذرة الأيدروجين هي التي صنع منها الأكسجين والماء المكون منهما ...

ورد في سورة غافر ما يشبه ما ورد في سورة "المؤمنون" في قوله تعالى: **(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (غافر:٦٧)** والمعنى واضح لا يخرج عما سبق مع تفصيل جديد يؤدي إلى نفس المعنى والغاية ...

وأكد القرآن مرة أخرى في سورة الزمر أن الإنسان خلق من نفس واحدة (وهي البويضة) الملقحة من بويضتي الذكر والأنثى، وأن هذه البويضة منها الذكر ومنها الأنثى، وبذلك جعل زوجها منها، ويتزاوجان وتستمر الحياة الإنسانية بهذه الطريقة ... وذلك بقوله تعالى: **(خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) (الزمر:٦)**.

وبينت سورة السجدة في قوله تعالى: **(ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ**

الرَّحِيمُ}٦{ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ}٧{ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ}٨{ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ}٩{) (السجدة ٦ -٩).

إن الله هو الوحيد الذي يعلم الغيب والخفاء والشهادة وصدقها، وهو القوي الذي لا حد لقوته وعزّته، والرحيم الذي لا حد لرحمته، الذي أحسن كل شيء خلقه فأبدع في خلقه، فخلقه على الخير المطلق مادة حية وغير حية... وهو الذي بدأ خلق الإنسان من طين، أي من تراب الأرض الذي يمسك الماء حتى يسهل قيام الحياة والغذاء اللازم لقوت الإنسان، وتكوين مادة الحياة في جسده.

ثم جعل نسل الإنسان يستمر خلقه من نشأة جرثومية، هي عبارة عن ماء أنتم تعتبرونه مهيناً في نظركم، ثم سواه أي في بطن أمه، فحوله من ماء إلى كائن حي، ونفخ فيه من روحه، بأن وهبه الحياة في هذه البيئة، وكون لكم أعضاءكم كافة، فأصبحتم تسمعون وتبصرون وتعقلون، ولكنكم قليلاً ما تشكرون... وهذا منتهى التبكيت في إيقاظ الوعي لمن يحتاج إلى هذا الأسلوب، ولقد استعمل القرآن لفظة من ماء مهين تبكيتاً للمكابرين من الملحدين، فكأنه يقول لهم أنتم من ماء أنتم تحتقرونه في عيونكم، فكأنكم بهذا تحقرون أنفسكم، وتحقرون خلقكم، ومن حقر نفسه وخلقه فإنه جاهل ولئيم، وقليل الشكر بطبيعة الحال...

وبينت سورة الروم في قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ}٢٠{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}٢١{) (الروم: ٢١، ٢٠)، إن من عجائب الله المحيرة أنه خلق الإنسان من تراب، أي من عناصره في الأرض فإذا به يصنع من هذا إنساناً، هو أنتم، تنتشرون في الأرض وتتكاثرون، ومن عجائبه أنه خلق من أنفسكم، ومن نفس مصدركم أزواجاً، أي خلقكم ذكوراً وإناثاً من المني الذي يخلق فيكم لتتزوجوا، ويكون بينكم وبين أزواجكم جاذبية نفسانية تجعلكم مطمئنين بعضكم للبعض الآخر، فيكون في ذلك سكون نوازعكم وتهدئتها، وجعل بينكم مودة ورحمة وأنتم لا تدرون كيف نشأ كل ذلك مع أنكم تحسون به ... إن كل ذلك بتقدير من الخالق العظيم الذي لا يستطيع أحد أن يقوم بمثل آياته، وأن في

ذلك براهين على عظمته لقوم يتفكرون، أي يعملون عقولهم لتفهم ما يجري حولهم من آيات الله.

خلق كل دابة

وبينت سورة النور بصورة ليس أوضح منها في قوله تعالى: **(وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** (النور:٤٥) إن خلق الكائنات الحية بأسرها كان من ماء حامل للجرثومة الحية، وبدونه لا حياة فالماء هو أساس الحياة.... وبين أن الكائنات الحية منها من يمشي على بطنه وهي الزواحف، ومنها من يمشي على رجلين وهو الإنسان ومنها من يمشي على أربع وهي الأنعام وغيرها من ذوات الأربع.... وأن الله يخلق ما يشاء، أي من حشرات وهوام وجراثيم وفيروسات وغير ذلك مما نراه وما لا نراه بالأعين المجردة، والله على كل شيء قدير....

ويبين القرآن في استعماله (من) الكائنات الحية في الآية أن الحيوانات رغم أنها محدودة العقل، إلا أنها تعي ما يتعلق بمتطلبات المحافظة على وجودها من عقلانية واضحة في أساليب دفاعها عن النفس، وبحثها عن غذائها، وتنظيم مجتمعاتها حتى إنك لتعجب كيف قسمت الوحوش مناطق تجمعها في مواطنها بحيث لا تجوب الأسود مناطق النمور، أو الفيلة مثلاً وكيف تتعاون الذئاب على مهاجمة عدو إذا داهمها، وكيف مكن الخروف من حماية نفسه رغم ضعفه وكثرة أعدائه، حيث أتاح له حماية الإنسان لحماية تكاثره والإفادة منه.

وبينت سورة النساء في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)** (النساء:١)، بينت في دعوة عامة للناس جميعاً أن يتقوا ربهم أي يحذروا نواهيه، وهو الذي خلقهم من نفسٍ واحدة، وبذلك رد الجنس البشري إلى منشأ واحد هو النفس الحية والواحدة الناتجة من بويضة ملقحة، منها الذكر ومنها الأنثى، وبث فيهما أي في تزاوجهما رجالاً كثيراً ونساء بهم وبهن يعمر الكون ... إن في الآية مجالاً لأن يفهم منها أن النفس حينما خلقها الله كانت تتكاثر بالانقسام لا بالتزاوج (هرما فروديت) .. ثم انقسمت في طفرة، الله يعلم

متى حدثت، فكان الذكر وحده والأنثى وحدها فأصبح التزاوج بعد ذلك وسيلة تكاثر الجنس البشري، وخرج من هذا التزاوج ما حافظ على الجنسين بصورة تتضمن استمرار الجنس فخرج منهما رجال كثيرون ونساء كثيرات، ولا داعي لإتمام تفسير الآية فلا علاقة له ببحثنا هنا.

الإنسان لم يكن شيئاً مذكوراً

وبينت سورة الدهر (الإنسان) في قوله تعالى (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً}١{ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً}٢{ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً}٣{) (الإنسان ١ -٣)، في تساؤل يراد به التقرير أن قد أتى على الإنسان من زمن بعيد ما يبين أنه لم يكن شيئاً هاماً يستحق الذكر ... إن هذا التقرير يمكن أن يؤدي إلى معان بعيدة وعديدة، فقد يقصد بذلك التطوير الخارجي من حالة مجهولة إلى الحالة الإنسانية، وقد يقصد تطويره من حيوان بدائي جاهل، إلى حيوان ناطق عاقل، وهو التطور الداخلي ولا يزال الإنسان يحاول الوصول إلى حقيقة نشأته ... وقد بينت الآيات أن الإنسان خلق من نطفة ماء مكونة من خلائط مجهولة (أمشاج) خرج منها الإنسان السميع البصير، ذو العقل الذي يهتدي به إلى الطريق القويم، فيصبح شاكراً خالقه الذي وهبه إياه، وبه أيضاً قد يسلك الطريق المعوج إذا أساء استعماله، فيصبح كافراً بنعمة ربه ... وبالرغم من وجود الإنسان على ظهر الأرض منذ ملايين السنين، فلقد جهل كنه نفسه، ولا يزال يجهله وهو جاد للوصول إلى شيء من المعرفة بوقفه على أسرار الخلق ... إن في هذه الآية وحدها حضاً على قبول أية نظرية علمية عن نشأة الإنسان الأول وتطوره، مادام البحث العلمي يؤيدها ...

البعث

وبينت سورة الحج في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى

﴿الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج:٥)
لقد بينت في بيان للناس كافة إن كانوا يشكون في ممكنات بعثهم فالله يقول لهم إنه خلقهم من تراب (مر تفسيره)، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة، أي منها ما هو قابل للنمو في بيئته إلى تمام المرحلة ابتداء من الجنين حتى الرجل الكامل، وذلك لاستيفاء شروط الحياة كافة فيها، وهذه هي المخلقة، ومنها غير مخلقة وهي قابلة للنمو المؤقت، لأن عناصر إتمام الخلق فيها ناقصة لكنها قد تؤدي إلى حياة مؤقتة يعقبها موت الجنين في رحم أمه أو حامله[1] أو خارجه، وإسقاطه، ويشمل ما سبق ما يتعلق ببويضة الأنثى الملّقحة (جاميت) في نفس المعنى.....

وتقول الآيات إن الله يقر في الأرحام ما يشاء له أن يحيا إلى أجل مسمى، أي محدود بوقت معلوم لديه هو وقت نضجه وخروجه من بطن أمه، حيث يخرج المولود طفلاً ثم يشتد ويمر في أدوار الصبا والرجولة والكهولة، ومن الناس من يتوفى أجله في دوره، ومنهم من يصل إلى أرذل العمر، وهو الخرف، فيصبح أجهل من طفل كأنه لم يكن يعلم شيئاً مما مر به في حياته....

وتحض الآيات في معناها الناس على أن يدرسوا الدورة الحياتية ويستخلصوا منها ممكنات البعث، إذ يقفون على بدء حياة الإنسان والأدوار التي يمر عليها حتى تنتهي طاقته، وبانتهائها يموت، فما المانع إذن من إعادة ذلك بنفس الأسلوب أو أسلوب آخر إذا اقتضت مشيئة المقدر الأول لهذا النظام العجيب... لا شيء يحول دونه فلسفياً، فالذي بيده ممكنات الخلق بيده ممكنات البعث، وهو إعادة الحياة متى شاء... والفكر الإسلامي يتخذ من استمرار الحياة برهاناً على ممكنات البعث... والبحث العلمي في أيامنا هذه يؤيد ممكنات البعث التي لم يكن يؤمن بها الكثيرون في القرون الماضية، ويقول الدكتور ايان ماك تاجارت كوان إن كروموزرمات بعض الحيوانات البائدة احتفظت بالحياة رغم تجلدها في الثلج القطبي، وقد يكون من السهل على العلماء في المستقبل بعث النوع....

[1] المضغة غير المخلقة التي تؤدي إلى حياة مؤقتة داخل حاملها ذكراً أو أنثى، هي في الغالب المسماة طبياً تيراتوما، ومن أحسن الأمثلة عليها الجنين الذي حمله طفل القلوبية (راجع جريدة الأهرام عدد يوم الأحد ٧٢/٧/٩ تحت عنوان حكاية الجنين في بطن طفل القلوبية).

ولقد ظن أن الحمض النووي D.N.A هو المادة الأساسية في الكروموزم... ولما كانت اللحمة المجمدة في الثلاجة تحفظ جيداً في هذه العملية (عملية التبريد) كالحيوانات المتجمدة في جبال الثلج القطبية، فليس من المستبعد أن الحمض النووي الخاص بالكروموزمات قد بقي سليماً... هذا وقد وجدت بعض الحيوانات كالماموث في حالة محفوظة وسليمة تماماً في المناطق القطبية...

وقد أعاد العلماء بعض الأنواع إلى الحياة بإعادة تربية نظائرها (نقلاً عن برقية من فنكوفر في كولومبيا البريطانية بتاريخ ١٩٦٧/١/١٩م عن جريدة كيهان الإنجليزية في طهران).

وبينت سورة الحجرات في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**) (الحجرات:١٣) ما أروع هذا القول إذ يبين للناس كافة أنهم جميعاً متساوون في الخلق، وأنهم من نتاج تزاوج الذكر والأنثى، وأنهم برغم ارتدادهم إلى أصل واحد فإنه الله فرقهم شعوباً وقبائل مختلفي الألسن، مختلفي الألوان مختلفي الطبائع والنزعات، كل ذلك ليتيح لهم فرصة التعارف والتسابق في العمل الصالح، والسير في طريق الله، وهو طريق الوصول إليه بالاقتباس من علمه وحكمته ولم يقل (لتعادوا بعضكم بعضاً) وإنما لتتعايشوا وتتعارفوا، واعلموا أن أكرمكم عنده وأنتم بمنزلة واحدة، أولئك الذين يتقونه، أي يتحاشون ما نهى عنه في تشاريعه، وما بطن من أسرار خلقه فيما خلق، والتي تؤذي البشرية، والله سبحانه وتعالى عليم لا حد لعلمه، وخبير لا نهاية لخبرته، وان شئتم الاقتباس من حكمته في خلق الكون ومن فيه، والتمتع بما أوجده من النعم والإفادة من كل ما هو مفيد فافعلوا...

ولست أرى في القرآن آيات أخرى تتعلق بالخلق تخرج عن هذا النطاق[1]، ولقد تبين معنا أن العلم لا يخالف القرآن في جميع ما ذهب إليه من تقرير خلق الإنسان والأحياء عامة خلقاً جرثومياً وغير جرثومي، متطوراً في خلقه داخلياً وخارجياً، وتبارك الله العظيم الذي بين كل ذلك في قرآنه الكريم.

---

[1] مثل قوله تعالي في سورة الواقعة (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ}٥٨{أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ}٥٩{) (الواقعة٥٨ -٥٩).

أما ما رود عن الخلق في القصص فلا يخرج عن الإطار الذي بيناه في بحثنا هذا.

خلق الموت والحياة

نختتم بحثنا عن موقف الفكر الإسلامي كما تبين لنا بصدد الخلق بالنسبة لما كان ذائعاً في محيط النبي صلى الله عليه وسلم من العقائد والروايات الكتابية وغير الكتابية، ليقف القارئ على الفارق الكبير بين مستوى الرسالة الإسلامية الفكري، ومستوى هذه البيئة، وكم يعجب الباحث في زماننا هذا حينما يلاحظ أن ما يهيم به العلماء الماديون من أبحاث المادة، توجد أسسه في الفكر الإسلامي فتأمل قوله تعالى: (**خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ**)(**الملك: من الآية٢**) ولا بد أنك ستقف أمام قوله (خلق الموت) وتتساءل هل الموت مادة تخلق؟ فإذا أعملت فكرك في غرابة التعبير، وجدت نفسك تكتشف أن الموت في حقيقته بالنسبة للإنسان وغيره من الكائنات الحية هو تحول الكائن الحي بعد فراغ طاقته الحية، إلى كائن مادي بحت تنحل عناصره في التربة، فالموت في هذه الحالة هو المادة البحتة، وهو مخلوق، فكأن الله سبحانه وتعالى يقول "خلق المادة والحياة لتتعاونا" وهي المادة البحتة المميزة باحتوائها الذري، وصفاتها الطبيعية والكيماوية، والمادة الحية المميزة بالروح ممثل الحياة في المادة الحية.... ثم بيّن الله سبحانه وتعالى بتفصيل أكثر شيئاً من تعاون المادة البحتة، وممثل الحياة في المادة في قوله تعالى: (**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ**)(**الأنعام: من الآية٩٥**) إن هذا التعاون يعبر عنه بمظاهر الاستحالة الغذائية في الكائن الحي (متابولزم) ويعبر عن آليته بالأيض البنائي والأيض الهدمي، فالمادة الحية في الأول تستخرج من المادة غير الحية مادة تحولها إلى مادة حية تساعدها على استكمال بنائها حسبما هو مقدر لها أن تكون (ASSIMILATION) وتفرز في الثاني بنفس الوقت مادة حية وغير حية ليست هي بحاجة إليها (DISSIMLATION) ويمكن أن نفهم من نص الآية: (**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ**)(**الأنعام: من الآية٩٥**) ممكنات توليد حياة من المادة غير الحية بطريقة الله أعلم بها إذ لم يكتشف سرها للآن، وبذلك تشير الآية إلى أن بدء حياة الكائنات الحية، ومن ضمنها الإنسان كان بخلق حياة في المواد اللازمة لخلق الإنسان، أو الكائن الحي، ومنها كان تكوينه واستمرار نشأته الجرثومية فيما بعد.... على أن الكائن الحي في وضعه الجرثومي هو وضع مادي أيضاً، فالخلية في

الجسد الإنساني على اختلاف أنواعها مكونة من مادة بحتة وممثل للحياة هو الذي يعمل على تحويل عناصر المادة الصالحة ضمن نظام آلي خفي موجه، مصمم ليخرج منه هذا البناء الرائع وهو الإنسان.... فما أعظم الخالق جل شأنه في إبداعه...

وتأمل جمال قوله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ}٧{وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ}٨{) (الزلزلة:٧،٨) فإذا قلنا إن العمل هو النتاج المادي لطاقة الفكر الروحية، فإننا نحول بذلك هذه الطاقة إلى نتاج مادي، وبذلك فالفكر الإسلامي حول حتى المفاهيم الحسية إلى مادية ملموسة، فالخير مفهوم فكري تلمس أثره وهو اتجاه فكري ينتج عنه عمل ذو أثر يفيد المجتمع إفادة مادية أحياناً وروحية أحياناً أخرى،تبدو آثارها مادياً، والله سبحانه يقول: من يعمل مثقال ذرة من الخير يرى أثر طاقته الخيرة في المجتمع وفي نفس الفاعل، فالخير والشر في الفكر الإسلامي ذرات روحية ذات طاقات مادية توزن آثارها يوم الحساب، ولو كانت بمقدار ذرة خير واحدة فيثاب الإنسان عليها أو ذرة شريرة واحدة فيجازى عليها.....

ونستطيع القول بأن جميع آيات القرآن التي تستعمل ألفاظ أولي الألباب - ويتفكرون ويعلمون ويذكرون ... الخ. تحض على استعمال الفكر، وعلى التأمل والتصميم والبحث واكتشاف ما أودع الله في الكون من عجائب علمه، وبين في آية الكرسي أن الله أباح للإنسان أن يحيط من علم الله بما يشاء الله، أي بما يقدره، وبذلك فإن الإنسان لا يمكن أن يقف على علم الله طفرة واحدة، بل بالتدرج إلى المدخل إلى ما يوصله إلى صميم العلم، قال تعالى: (**وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)(البقرة: من الآية٢٥٥).**

وكم يأسف المرء أن يرى بعضاً من الناس يتنكرون للخالق، وينكرون خلقهم من الله، وهم يجهلون كل شيء، عن تفاصيل الخلق وأسراره في أنفسهم ... وإذا كان الإنسان خالق نفسه، فكيف يجهل مِمَ كان خلقها، ومتى كان خلقها، وكيف كان خلقها، ولماذا قدر على نفسه الموت والجنون والقبح والمرض إذا كانت قدرة الخلق متوفرة فيه تلك القوة الجبارة الهائلة التي لا يمكن أن يصل إليها إلا من كان المثل الأعلى للكمال العقلي في العلم والقوة والحكة، ولماذا لا يزال الإنسان يحاول جاهداً

الوقوف على كيفية الخلق وأسراره إذا كان هو موجد نفسه ... لا شك أن في الادعاء غباء الغباء ...

والفكر الإسلامي كما وضح لنا في هذه الدراسة بين أولاً أن نشأة الإنسان جرثومية وترك الوقوف على تفاصيل ذلك لرجال العلم ليكتشفوا ما يستطيعون من علم الله بعد أن أعطاهم المبدأ؟...

الفكر الإسلامي يحض على الأخذ بأسباب العلم

وشجب الفكر الإسلامي كل ما كان سائداً من فكر يتعلق بتفاصيل خلق السماوات والأرض، والإنسان والكائنات الحية، كما كان يذيعه اليهود في قوله تعالى: (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً) (الكهف:٥١) وترك ذلك لرجال الفكر والبحث، وترك للمسلم أن يبحث ويتابع العلماء المسلمين وغيرهم بهذا الصدد، فالفكر الإسلامي على حسب توجيه القرآن يجب أن يكون متطوراً وآخذاً بأحدث ما يصل إليه العلم في زمانه كما يجب عليه أن يشترك في ميدان البحث والتطوير وأن تكون بيده القيادة — هذا ما يحض الإسلام عليه .. تأمل قوله تعالى:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الألْبَابِ} ١٩٠{ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} ١٩١{) (آل عمران: ١٩٠، ١٩١).

وفي هذه الآيات دعوة للبحث في خلق السموات والأرض وأسباب اختلاف الليل والنهار، ففيها عجائب وأسرار من علم الله لذوي العقول الذين يذكرون الله في جميع أحوالهم قياماً وقعوداً، وفي فراشهم وهم يحاولون الوصول إلى علم الله في خلق السموات والأرض، ويعتبرون أن هذا الخلق لم يكن باطلاً (أو قام على صدفة كما يدعي البعض)، وإنما قام على علم صحيح لا حد له، ويطلبون إلى الله أن يقيهم عذاب النار، وهي هنا الجهل وهو بالنسبة للفؤاد الذكي أشد عذاباً من النار.

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ٢١{ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}٢٢{ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}٢٣{) (الروم: ٢١ -٢٣).

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (العنكبوت: ٢٠)

الفصل التاسع

تاريخ التوراة ومصادرها

- تاريخ التوراة ومصادرها
- الحضارة السومرية
- قصة آدم مأخوذة من الأساطير البابلية
- ملحمة جلقامش

تاريخ التوراة ومصادرها
كلمة أخيرة

يعتبر كثير من الأثريين المطلعين، أن التوراة وضعت مصنعة بعد السبي البابلي، وكان المقصد الأول من تدوينها الإدعاء بحق اغتصاب أرض كنعان، وبموجب وعد إلهي، وجعل الشعب اليهودي متصلاً بالخالق عن طريق جعل أبرام (إبراهيم) يتصل بآدم، حتى يصبح في أذان الشعب اليهودي وأذهان غيره بمضي الزمن أنه شعب الله المختار، لتأدية رسالته على الأرض... ولقد أدى هذا بالفكر اليهودي إلى أن سطا على تراث السومريين والساميين والكنعانيين في بابل وغيرها وادعاه لنفسه... ولقد ظهر بوضوح أن نصوص الإصحاح الأول من سفر التكوين وغيره من إصحاحاته المتعلقة بالخلق، وخلق آدم وحواء، وقصة هابيل وقابيل، وقصص الطوفان مقتبسة من السومريين والأكاديين والكنعانيين، وأن ما ورد في الإصحاح الأول عن أن الله خلق في البدء السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على المياه...الخ هو نص مقتبس من نشيد عربي يعود إلى أزمنة قديمة جداً قبل الوجود اليهودي، ففي نشيد أونوما إيليش الأكادي تصوير للتكوين، كما هو وارد في التوراة، جاء فيه أن المياه كانت تغمر الأرض، ثم ظهرت أريدو (الأرض) وأن الروح الإلهية كانت ترف على وجه المياه الخ..(راجع ما ورد عن ذلك في كتاب جيمس بيكي (أراضي وسكان "الكتاب المقدس" ص ١٥١، والملحق الأسبوعي للأنوار اللبنانية بتاريخ ١٩٦٨/٦/٢٣م، وكتاب "المفسدون في الأرض" لسليمان ناجي ص٥٨، وص ٦٨٤ (التحليل الخاص لقصص الأسفار)).

كما أن نشيد جلقامش صور التكوين بروعة لا تقل عن روعة النشيد الأكادي، وجاء فيه أن القوة الإلهية خلقت رجلاً وامرأة في أعماق البحار، ثم خرجا إلى اليابسة، وكانت المرأة والرجل في أوضاع متساوية، ولم تخلق المرأة من ضلع الرجل كما ورد في التوراة، وهذا الخلاف واضح في الخلاف بين الإصحاحين الأول والثاني من سفر التكوين في التوراة، إذ نص في الأول على خلق الذكر والأنثى في يوم واحد، ونص في الإصحاح الثاني على خلق الأنثى من الذكر بعد خلق الذكر ووضعه في

الجنة... إن هذا الخلاف يدل على أن كلا من الإصحاحين يحوي معلومات من قصة الأخر، ويؤيد ذلك الاقتباس المصطنع من قبل مسجلي السفر دون التدقيق في محتويات المقتبسات، مما يدل على ضعف المقتبسين، وليس هذا بغريب على اليهود في تلك العهود البعيدة، فلقد كانوا أمة بدوية بدائية، تقتبس عن أمة عريقة في الحضارة موغلة في التاريخ الإنساني بالنسبة لليهود وغيرهم.

ويقول مقال ملحق جريدة الأنوار اللبنانية بتاريخ ١٩٦٨/٦/٢٣م بقلم ف. انجل أيضاً: إن لفظة آدم عربية قديمة تعني الإنسان (كجسد) وهي من الأديم الذي يعني في اللغة العربية قشرة الأرض، والتي أطلقت على الجلد والبشرة أيضاً، ثم على الجسد عامة، وجسد الإنسان خاصة... وقد وردت في النقوش العربية القديمة، ولعل كاتبي التوراة ظنوها اسم علم فأطلقوها على آدم، وهم لم يكونوا يعرفون معناها أو دلالتها الأصلية... إن كلمة أدماه في اللغة الكنعانية معناها الأرض، وأدام معناها الإنسان، ثم أطلقت على الرجل... أما لفظة حواء أوحوا أوحي فمعناها الحياة في الكنعانية...

ويضيف المقال: "ثم جعل كاتبو التوراة لآدم وحواء عمراً وأبناء، مثل أنوش ومتوشالح ونوح، وقصدوا بهذا التسلسل أن يصلوهم بإبراهيم الذي جعلوه جداً لهم" ويقول المقال بأن اليهود جعلوا لأبناء آدم أعماراً طوالا، فجعلوا بذلك أزمنة طويلة تمر حتى وصلوا إلى إبراهيم، ولذلك اقتصدوا في تزييف أسماء أشخاص وهميين عديدين...

ويزيد التلفيق وضوحاً أنهم لم يذكروا من أبناء آدم الذين أشارت التوراة إلى أنه ولدهم، إلا أسماء من أرادوا إيصالهم بإبراهيم... ولو كان لآدم أولاد كما يدعون لذكروا أسماءهم كما فعلوا في كثير من أخبارهم، حيث أرادوا إظهار كتبتهم بمظهر الواسعي الإطلاع في علم الإنسان خاصة... كل ذلك يدل على سذاجة المسجلين، ولا يدل على صدقهم...

ولقد فعلوا ما سبق في قصة خروجهم من مصر[1] فأعطوا تفاصيل عجيبة من الدقة في أخبار إبراهيم في سفر التكوين، ولم يذكروا شيئاً عن إقامتهم المزعومة في

---

[1] يقول العالم هوجو ونكلر إن إدعاء الأسفار بإقامة اليهود في مصر ما هو إلا خطأ جغرافي. (راجع هوجو ونكلر، Hugo Winkler Der Keilinschrift, Das Alter Testament ... Berlin, 1902.

مصر أربعة قرون طويلة، ثم عادوا إلى التفصيل في سفر الخروج من مصر، مما يدل على جهلهم المطلق بأحداث نشأتهم في مصر، وبأحداث مصر خلال أربعمائة سنة مما يطعن في صحة أخبار سفر التكوين بأسرها، ويجعلها من المسطو عليه من تراث الكنعانيين...

ولقد أدى هذا ببعض الأثريين أن يشككوا في صحة وجود إبراهيم[1] نفسه بعد ما تبين وجود صنم في بلدة الخليل باسم أبرام (أي إبراهيم) وبذلك فقد يكون إبراهيم، إذ كان قد وجد فعلاً، كنعانياً أَلَّهَهُ قومه بعد وفاته، فبقيت رواياته متداولة في قومه، فاقتبسها اليهود، وادعوا بأنه جدهم... ثم فعلوا نفس الشيء بيعقوب بعد أن تبين أيضاً أنه اسم لصنم كان يعبده أهل شكيم (نابلس) وبذلك فلا قرابة بينه وبين إبراهيم...

إن كل ما سبق يدخل في التاريخ، وليس في العقائد، ولقد اختلف اليهود بعد تدوين توراتهم وتلمودهم، وما تفرع منه من الكتب، اختلافاً كبيراً في تأريخ أنبيائهم، فأسبغوا الخرافة على بعضهم، والرذيلة على البعض الآخر، حتى أصبح الأثريون والمؤرخون لا يولون معظم أخبار التوراة اعتباراً كبيراً، وكفى بأسقف برمنجهام ارنست بارنز دليلاً إذ اعتبر أغلب أخبار التوراة غير صحيح، ولا يمكن اعتباره من التاريخ... ولقد وقف الفكر الإسلامي من التاريخ الإسرائيلي الموقف الصحيح، فندد القرآن العظيم باليهود وخلافاتهم في قوله تعالى: (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**}٧٦{ **وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**}٧٧{) (النمل ٧٦ -٧٧)

---

[1] يقول ادوارد ماير وبيرنارد لوثر وريمون واي: إن أكثر الأسماء التي أطلقها كتاب أسفار الكتاب المقدس على أبطال قصصهم هي في الأصل أسماء بعول كنعانية (آلهة أسطورية كنعانية) عرف كل منهم بوجوده في أحد الأماكن التي أقام اليهود فيها معابدهم فيما بعد تكريماً لأصحابها الذين أتخذهم كتاب الأسفار أسلافاً لهم ... ويقولون: إن بعل حبرون كان يدعى أبرام (إبراهيم)، كما أن بعل بئر السبع كان يدعى اسحق، وبعل شكيم (نابلس) كان يدعى يعقوب. ويختتمون نظريتهم بالقول بأن اليهود حاكوا حول هذه الآلهة الكنعانية وأماكن وجودها ما شاء لهم الهوى من القصص والأساطير، واحتكروها تحت اسم أسلافهم المزعومين (راجع كتاب المفسدون في الأرض – سليمان ناجي)

وفي قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل:٦٤)

وأباح النبي عليه السلام للمؤمنين التحدث عن اليهود ولا حرج، ونهاهم عن الخلاف في آيات الله فيما بينهم فقال عليه السلام: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج... ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" رواه البخاري والترمذي... ويقول التاج الجامع للأصول في الشرح في تكملة الحديث: "ولا إثم عليكم"، وهذا فيما لم يرد فيه نهي، وإلا فلا. كما قالوا في حديث البخاري الآتي في التفسير القائل:" لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا" وقال عليه السلام: "إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب" رواه مسلم.

الحضارة السومرية[1]*

كانت في بلاد الرافدين، ويرجع تاريخ نشوئها إلى الألف الرابع قبل الميلاد، وهي التي عاشت عهدها الكلاسيكي في الألف الثالث قبل الميلاد، وتجلت في شكلها الأكادي ما بين سنة ٢٣٠٠ وسنة ٢١٥٠ ق.م. وعرفت نهضة جديدة ما بين ٢٠٠٠ وسنة ١٩٠٠ ق.م. ووجدت وريثاً لها في العهد البابلي القديم (الأموري) ما بين سنة ١٧٥٠ق. م. وسنة ١٥٥٠ق. م. ثم امتدت إلى بلاد الكنعانيين من رأس شمراء إلى فلسطين ما بين سنة ١٤٠٠ و١٣٠٠ ق.م. وذلك قبل الإفتراس اليهودي لفلسطين: زهاء سنة ١٢٢٥ ق.م**.

---

[1] توضيحاً لما ورد في مقال للدكتور محمد عزت نصر الله تحت عنوان "الشجرة المحرمة في جنة عدن كانت مجرد شجرة لا رمزاً للجنس"، المنشور في ملحق جريدة النهار اللبنانية بتاريخ ١٩٧٢/١٢/٢٤ الذي بدا منه أن صاحبه ليس على اطلاع على الحضارات القديمة التي كانت في بلاد الرافدين كالحضارة السومرية، نورد هذه المعلومات.

* للمزيد راجع كتاب الدكتور فاضل عبد الواحد علي "سومر ...ملحمة وأسطورة"، ١٩٩٩م، طبعة أولى مطبعة الأهالي دمشق.

** . يشكك، بل وينفي كثير من علماء الآثار والمؤرخين الغربيين وعلماء الدين، ومنهم يهود ومسيحيون، بالإضافة إلى عرب ومسلمين، غزو اليهود لفلسطين في القرن الثالث والثاني قبل الميلاد، وسقوط أسوار أريحا كما يزعم التاريخ التوراتي. وأكثر من ذلك يثير بعضهم علامات استفهام كبيرة على وجود ما يسمى دولة أو مملكة أو كياناً سياسياً مستقلاً يزعمونه لهم في فلسطين. ناهيك عن دحض صحة هذه التوراة نفسها، ديناً وتاريخاً وجغرافيا.

تلك الحضارة السومرية العراقية أذهلت علماء الآثار وأساتذة اللغات السامية في الغرب لما تزخر به من الأساطير والملاحم الشعرية التي أجمعوا على أنها كانت (مع ما رافق بعضها من طقوس دينية) أدباً فولكلورية شائعة عندما سمع بها اليهود لأول مرة سواء في أيام إبراهيم (أواسط القرن الثامن عشر قبل الميلاد) الذي ولد في أور الكلدانيين في جنوب العراق أو في أيام السبي الأول، على أيدي نبوخذ نصر ملك بابل في القرن السادس قبل الميلاد*، فاقتبسها اليهود من غير أن يستطيعوا محو معالمها وجعلوا منها المحور الأساسي لديانتهم التي أطلقوا عليها اسم التوراة المعروفة باسم كتاب العهد القديم عند المسيحيين. وفي رأيي ان دمج كتاب العهد القديم اليهودي مع كتاب العهد الجديد المسيحي كان أكبر عملية غسل دماغ عرفها التاريخ حتى يومنا هذا ... وكان من نتائجه أن تسلط اليهود فكرياً وروحياً على المسيحيين في العالم، ولهذا الموضوع بحث آخر سأعود إليه في مناسبة أخرى بإذن الله.

قصة آدم مأخوذة من البابلية:

ولنعد الآن إلى القصص التي أخذها اليهود عن الأساطير السومرية الأصل وعلى رأسها قصة آدم وحواء، وقصة جنة عدن والشجرة، ولنبدأ أولاً بالقصة الأولى: قصة - آدم. يؤكد البروفيسور ابلينج المتخصص في الدراسات الآشورية أنها مأخوذة (عن أسطورة أدبا) البابلية. وتقول الأسطورة أن (أيا) ** إله الحكمة وملك أريدو أقدم المدن البابلية خلق أدبا على صورته وأعطاه الحكمة (العقل) ولكنه لم يمنحه الحياة الأبدية لأن الخلود وقف على الآلهة وحدها... وللإله (أيا) اسم آخر هو آنكى كما أن له قصة أخرى مع الإلهة الأم (نينهورساق)*** التي أنبتت ثماني نبتات في حديقة الآلهة... وقد اشتهى آنكى هذه النباتات فقام وأكلها مما أثار حنق نينهورساق التي دعت عليه

---

* حسب التاريخ التوراتي المزعوم.

** أيا (EA) : سومر ملحمة وأسطورة ص١١٥، فاضل عبد الواحد علي، مطبعة الأهالي، دمشق.

*** ننخرساك المرجع السابق، ص١٤٠.

بالموت... وكان من جراء ذلك أن تعرضت ثمانية أعضاء في جسم آنكى للمرض وأوشك على الهلاك...

ولتدارك الأمر عادت نينهورساق لتعالج هذا الموقف فأنجبت ثمانية آلهة إناثاً وشرعت كل منها تداوي عضواً من أعضاء جسم آنكى، وكانت إحدى هذه الإلهات تدعى (نين تي) أي سيدة الضلع وسيدة الحياة لأن كلمة تي السومرية لها معنيان "ضلع" و"حياة".

ولو عدنا إلى قصة التوراة التي تقول أن حواء ومعناها بالعبرية حياة خلقها الله من ضلع آدم لوجدنا مدى الترابط بين الأسطورتين.

ليس هذا فقط... ففي أسطورة الخلق البابلية أن الإله مردوك رمز النظام والقوة بعد ما انتصر على وحش الفوضى الملقب أيضاً بمحيط المياه المالحة (تيامات)* ومنها أخذت كلمة نيهوم العبرية، ومعناها الغمر في الترجمة العربية للتوراة، أو العالم السفلي ABSUS في الأصل السومري، والتي أصبحت ABYSS في اللغة الإنكليزية وهي تعني الهاوية السحيقة، أقول بعد ما انتصر مردوك على تيامات، شرع في خلق الإنسان من الطين أو التراب وكان الإله نيبور (ومنها اشتقت كلمة نبي العبرية) الناطق الرسمي باسم مردوك وسائر مجمع الآلهة عند البابليين، وعلى لسانه وجدت هذه الرواية محفورة على لوحات الخزف التي عثر عليها بين أطلال مدينة بابل...

وفي لوحات خزفية أخرى تقول الأسطورة: إن آنكى خلق إنساناً آخر ضعيف العقل والبنية، وطلب من نينماح** الآلهة الولادة أن تفعل شيئاً لتحسين حالة هذا المخلوق البائس، غير أن نينماح تعجز عن ذلك فتلعن آنكى على مخلوقه الضعيف!!

وتجدر الإشارة هنا إلى أن إحدى الكلمات العبرية لمعنى الإنسان هي عبارة (اينوش) وهي أيضاً تعني "ضعيف أو مريض"... وغالباً تميز الشعر العبري بالتشديد على ضعف الإنسان وعجزه عن بلوغ المكانة التي أتاحها له الخالق في عالمنا...

---

* تيامة (Tiamat).. انظر سومر ملحمة وأسطورة ص ١٢٩.

** نينماخ ... ومعناها السيرة العظيمة. نفس المصدر ص١٠٤.

ملحمة جلقامش*

قصة الشجرة وجنة عدن مأخوذة في الواقع من بعض المقاطع في ملحمة جلقامش التي ترجمت إلى معظم اللغات الحية... وأوجزها في السطور الآتية لمجرد الإطلاع على محتواها، مع ما في هذا الإيجاز الشديد من تجن على روعة هذه الملحمة التي سبقت أوديسة هوميروس بأكثر من ألف وخمسمائة عام ولا تقل عنها جمالاً كما يقول ساندرز.

وجلقامش هو ملك مدينة أروك أو عروق (ومنها اشتق لفظ العراق) وعاش في الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد... ولقد سمع بمجيء انكيدو ابن البادية فتصدى له وتصارع معه دون أن يستطيع التغلب عليه، فنشأت بينهما صداقة وثيقة...

وتتوالى أحداث هذه الأسطورة إلى أن يموت أنكيدو، فيحزن عليه جلقامش حزناً شديداً مما يدفعه إلى محيط الموت بحثاً عن سر الخلود... وما أن يجتاز محيط الموت حتى يلتقي بنوح ما قبل التوراة المعروف باسم أوتنابيشتيم**، والذي يفصح لجلقامش عن سر خطير للغاية تعده الآلهة للقضاء على الجنس البشري الذي ضاقت به ذرعاً، فقررت أن تطلق عليه طوفاناً عارماً لا يبقى ولا يذر... غير أن (أيا) أحد أعضاء مجمع الآلهة يفشى هذا السر لأوتنابيشتيم وينصحه بأن يبني سفينة ليأخذ عليها بذور كل شيء حي... وعرف بذلك (انليل) إله الحرب فغضب ولكن (أيا) يقنعه بأن يبقى على أوتنابيشتيم وأن يمنحه الحياة الأبدية... وهنا تقول الأسطورة إن أتنابيشتيم أطلع جلقامش على سر الخلود قائلاً له: إن هذا السر يكمن في شجرة في قاع البحر عند (دلمون)... ولا يلبث جلقامش أن يقوم بمغامرة فذة ويحصل على هذه الشجرة ويقرر أخذها معه إلى أوروك ليأكل منها المسنون فتعود إليهم الشبابية والنشاط.. وفي طريق عودته يتوقف جلقامش ليستحم في بئر للمياه العذبة، حيث تستغفله حية وتسرق منه تلك الشجرة التي تجشم الصعاب الجمة في سبيل الحصول عليها، ثم تتوارى في المياه تاركة وراءها جلدها الذي بدلته، وما أن يخرج جلقامش من البئر، ويجد أن الشجرة قد اختفت حتى يجهش بالبكاء يقينا منه بأن الآلهة أرادت للإنسان أن يشيخ ويموت!

---

* جلجامش (Gilgamish) ... (سومر ملحمة وأسطورة)، ص١٦٢.

** أوتنابشتم (Ultnapishtim) ... نفس المصدر السابق، ص١٩٠.

نتوقف هنا لنقول بأن دلمون هي البحرين، وقد كانت جنة الخلد في الأسطورة السومرية وما أعقبها من أساطير أكادية وبابلية... ومعروف أن البحرين تقع إلى الجنوب الشرقي من أوروك، والجنة في التوراة اليهودية تقع إلى الشرق في عدن "وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً" الإصحاح الثاني فقرة ٨ من سفر التكوين... وطبعاً لم يكن هذا بالتحديد الجغرافي الدقيق، بل مجرد إشارة عابرة إلى موقع جنة عدن... وكلمة عدن* مأخوذة عن عدينو الأكادية ومعناها السهل، وفي رأي أنه سهل العراق الشاسع الذي نشأ فيه إبراهيم وصحبه قبل أن يحط رحاله في جبال شيشم (شخيم، شكيم) أي (نابلس) أو جبال حبرون (الخليل) في فلسطين...

نلاحظ في ذلك كله أن عملية الاقتباس اليهودية لم تقتصر على سرقة الأساطير السومرية فحسب، بل تجاوزتها إلى استعارة الألفاظ ومعانيها أيضاً... كتاب العهد القديم (التوراة) هو أكبر عملية تزوير في التاريخ.

---

* انظر عدن، وبالسومرية Edin (سومر محلمة وأسطورة ص١٠٤)، د. فاضل عبد الواحد علي. وانظر أيضاً: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص٢٧١ -٢٧٧.

مصادر هذا الباب:

أمثال فرانكفورت (كامبريدج)

هوك (اكسفورد)

بريتشارد (برنستون)

مورتون سميث (كولومبيا)

جاكسون (هارفرد)

البرت وكريمر (رائدا هذه الأبحاث في أميركا)

كونتنو وشار (في فرنسا)

المراجع العربية

- القرءان والريانيون . مراد . القاهرة ١٩١٨
- قصة الطوفان و تطورها في ثلاث مدنيات قديمة. إسماعيل مظهر، القاهرة ١٩٢٩
- قصص الأنبياء المسمى ب (العرائس)، احمد بن محمد إبراهيم النيسابوري الثعلبي.
- محاضرات في تاريخ العرب، صالح احمد العلي، بغداد ١٩٥٥
- مروج الذهب، المسعودي
- مسامرة الأبرار و محاضرة الأخيار، محي الدين بن العربي
- تفسير المنار، الشيخ محمد عبده، الشيخ رشيد رضا
- المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني
- المفسدون في الأرض، سليمان ناجي
- ملوك حمير و أقيال اليمن، تحقيق علي المؤيد و اسماعيل احمد الجرافي

المراجع الأجنبية

- The Apocryphal New Testament, Book of John 1945.
- The Apocryphal New Testament, translated by W. R. James.
- Bible Dictionary, by Ungers 1966.
- Der Keilinschrift, Das Alter Testament, Berlin 1902.
- Das Clans Sux Empires, A Morel 1922.
- Bible Plants & Animals, by Alfred Knight.
- Everyman's Talmud, by A. Cohon, 1945.
- Enfancy Gospels Apocryphal New Testament, Oxford Clarendon Press 1945.
- Evolution de L'Humanitie, by A. lods.
- Folklore in the Old Testament, by Sir James Frazer 1923.
- Gospel of Bartholomcw.
- The Jewish Foundation of Islam, by Charles Cutler Torrery, 1993.
- Lands & peoples of the Bible, by G.B. Baiky.
- Les Lascetes, par Lewis Figwier 1867.
- The Legends of the Jews, by Ginzburg.
- Mohumed – Le Coraan, by Edward Plantet, Paris 1958.
- The Rise of Christianity, by E-Barnes 1948.
- Shorter Encyclopedia of Islam, by Gibb & Kwamers 1953.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المؤلف	٣
التقديم	٧
مقدمة الكتاب	١١
ترجمة حياة المؤلف	١٥
الفصل الأول : قصة خلاف الملأ الأعلى على خلق الإنسان في القرآن	١٩
تسجيلات القرآن الكريم لقصة الخلق	٢١
- سورة ص	٢٣
- سورة الأعراف	٢٤
- سورة طه	٢٦
- سورة الإسراء	٢٨
- سورة الحجر	٢٨
- سورة الكهف	٣٠
- سورة البقرة	٣١
الفصل الثاني: خلق الإنسان في كتب اليهود النصارى	٣٣
١ - خلق الإنسان في التوراة	٣٥
- الإصحاح الأول لسفر التكوين	٣٥
- الإصحاح الثاني لسفر التكوين	٣٦
- الإصحاح الثالث لسفر التكوين	٣٩
٢ - خلق الإنسان في التلمود	٤٢
٣ - خلق الإنسان في الأناجيل المحرمة (الأبوكريفية)	٥٢
- خلق الإنسان في إنجيل حنا الإنجيلي	٥٢
- خلق الإنسان في إنجيل برثلوميو	٥٤
- خلق الإنسان في إنجيل برنابا	٥٦

- الفصل الخامس والثلاثون ٥٦
- الفصل التاسع والثلاثون ٥٧
- الفصل الأربعون ٥٨
- الفصل الحادي والأربعون ٥٩
الفصل الثالث: خلق الإنسان في بعض الروايات العربية ٦١
١ - بدائع الزهور ٦٣
٢ - مجمع البيان ٦٦
٣ - تفسير الخازن ٦٨
الفصل الرابع: أهداف التسجيلات القرآنية لخلافات أهل الكتاب
حول قصص الخلق ٧١
١ - محيط النبي (صلى الله عليه وسلم) ٧٣
٢ - ادعاء اليهود بأنهم شعب الله المختار ٧٥
٣ - القرآن يسجل الادعاءات مع معرفته بالتناقضات ٧٦
٤ - القرآن يندد بضلالاتهم ٧٦
٥ - القرآن لا يفصل في خلافات أهل الكتاب ٧٨
٦ - تخرصات المستشرقين بشأن القصص القرآني ٨٠
٧ - دحض مزاعمهم ٨٢
٨ - خلافاتهم – هدى ورحمة للمسلمين ٨٣
٩ - مفسرونا يستقون من مصادرهم ٨٥
١٠ - نبأ خطير يهز المجتمع ٨٦
الفصل الخامس: الدراسة المقارنة للروايات المتباينة ٨٧
١ - خلق الإنسان ٨٩
٢ - مادة الخلق ٩٢
٣ - سجود الملائكة ٩٤
٤ - عصيان إبليس وماهيته ٩٧
٥ - محاكمته ١٠١

٦ - جوابه لله ١٠٣
٧ - طرده ١٠٥
٨ - طلب إنظاره ١٠٧
٩ - آدم في الجنة ١١٦
١٠ - آدم وحواء في الجنة ١٢١
١١ - الشجرة المحرمة ١٢٢
١٢ - سقوط آدم ١٢٥
١٣ - تفصيل الخلافات في سقوطه ١٢٦
١٤ - وإضافة أخرى ١٣٣
١٥ - عود إلى الروايات الكتابية ١٣٦
١٦ - محاكمة آدم ١٣٩
١٧ - طرده من الجنة ١٤٢
١٨ نهاية تسجيلات مشهد الطرد ١٤٥
الفصل السادس: الخلاف على جغرافية جنة آدم وموقعها ١٤٩
الفصل السابع: حقيقة الخليقة وغاياتها ١٥٩
الفصل الثامن: موقف الفكر الإسلامي من خلق الإنسان ١٦٧
- نشأة الخلق جرثومية ١٦٩
- الخلق من الأرض ١٦٩
- النظر في بدء الخلق ١٧٠
- بناء المجتمع ١٧١
- خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ١٧٢
- الخلق من الطين ١٧٢
- التطور والطفرة ١٧٣
- الخلق من الماء ١٧٤
- خلق كل دابة ١٧٦
- الإنسان لم يكن شيئاً مذكورا ١٧٧


- البعث ١٧٧
- خلق الموت والحياة ١٨٠
- الحض على الأخذ بأسباب العلم ١٨٢

الفصل التاسع: تاريخ التوراة ومصادرها ١٨٥

- تاريخ التوراة ومصادرها كلمة أخيرة ١٨٧
- الحضارة السومرية ١٩٠
- قصة آدم مأخوذة من الأساطير البابلية ١٩١
- ملحمة جلقامش ١٩٣

المراجع العربية ١٩٥

المراجع الأجنبية ١٩٦


Bibliotheca Alexandrina
0604637